الدكتور عصام خليفة

أحد أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية

أبحاث في تاريخ لبنان

المرحلة العثمانية



بيروت ١٦ لحفد

الدستور أوقاف المدارس ١٦

د. عصام كمال خليفة
احد أساتذة التاريخ
في الجامعة اللبنانية

أبحاث في تاريخ لبنان
المرحلة العثمانية

WEB OF KNOWLED
wokinfo.com

بيروت ٢٠١٠

الناشر: إصدار خاص
٠٣/٧٥٥٣٠٢
تنضيد الحروف: سميرة طحّان
الطباعة: مطبعة جوزف الحاج
سد البوشرية – تلفون: ٨٨٧٧٦٣–٠١

الترقيم الدولي

ISBN 978-9953-0-1695-5

التوزيع: دار نوفل

الطبعة الأولى
٢٠١٠

الفهرست

الإهداء

إلى المدينة التي تعلمت وعلّمت في مدارسها ومكتباتها وجامعاتها،
إلى العاصمة التي مارست في منتدياتها وشوارعها ووسائل إعلامها حرية الدفاع عن حقوق الوطن والمواطن،
إلى الحاضرة التي حملت مطابعها وقواها الاجتماعية همّ الثقافة والحرية والتقدّم في دنيا العرب،
إلى بيروت عاصمة الدولة اللبنانية،
بمناسبة إعلانها عاصمة عالمية للكتاب.

أهدي هذه الأبحاث

المؤلف
د. عصام خليفة
الفنار ٢٠١٠/١/٢١

توطئة

هذا الكتاب هو عبارة عن أبحاث متفرقة قدّمتها في مؤتمرات علمية داخل لبنان وفي الخارج. ما يجمعها أنها تتناول جوانب من تاريخ لبنان في المرحلة العثمانية، وأنها ترتكز على مصادر أبرزها دفاتر التحرير العثمانية وأوامر المهمة التي تعتبر من أهم الوثائق التي تساعدنا في عملية تجديد كتابة تاريخنا على صعد الديمغرافية التاريخية، والاقتصاد، والإدارة، والتربية، كما على الأصعدة السياسية والإدارية والعسكرية وغيرها.

وهي على كل حال استمرار لخيار التزمنا به منذ اطلاعنا على بعض وثائق الأرشيف العثماني المتعلق بلبنان وبعض مناطق المشرق العربي. وبرغم المصاعب الواضحة في قراءة ما ورد في هذه الوثائق، واحتمال وجود بعض الأخطاء في قراءة الكلمات والمصطلحات، فإن الإقدام على تطوير المدرسة الجديدة في كتابة تاريخ مجتمعنا، تتطلب الإقدام والمغامرة وتجشم المصاعب. وكم يبدو ملحّاً العمل على تخصيص أفواج من الطلاب والباحثين الشباب في مجال اتقان اللغة العثمانية، وكم يبدو ملحاً أن تبادر الجهات الرسمية (في الجامعة اللبنانية، وإدارة المحفوظات الوطنية، وزارة الثقافة وغيرها) إلى استقدام ما أمكن من الأرشيف العثماني إلى لبنان ووضعه في متناول الأساتذة والطلاب، والانطلاق منه كأحد أبرز المصادر لتحقيق نهضة واضحة في الأبحاث التاريخية. وإن لحظ الأموال اللازمة لمبنى مخصص للأرشيف الوطني يعتبر من أبرز متطلبات إعادة الاعمار.

في البحث الأول رصد لأوقاف المدارس ومردودها في مختلف النواحي اللبنانية في القرن السادس عشر.

والبحث الثاني يركز على بلدة عريقة في ناحية جبيل: لحفد في القرن السادس عشر. وقد قدّم هذا البحث في مؤتمر علمي عقد في صيف العام الماضي حول تاريخ مختلف الحقب لهذه البلدة.

والبحث الثالث يركز على التحولات الديمغرافية لمدينة بيروت في القرن السادس عشر من خلال خمسة إحصاءات عثمانية. وهذا البحث قدم في مؤتمر علمي عقد بمناسبة إعلان بيروت عاصمة عالمية للكتاب في الجامعة اللبنانية.

أما البحث الرابع فقد قدم في مؤتمر عقد في اسطنبول بمناسبة مرور مئة عام على تجديد إعلان الدستور العثماني (١٩٠٨–٢٠٠٨)، وهو يحاول أن يرصد ردود فعل النخب السياسية

والثقافية في بيروت وجبل لبنان من هذا الحدث. في هذا السياق يجدر بنا أن نحيّي ذكرى خليل غانم اللبناني الذي كان من كبار واضعي هذا الدستور، وكان قائداً للتيار الإصلاحي الليبرالي في السلطنة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

يبقى علي أن أشكر كل الأصدقاء الذين ساهموا في خروج هذا الكتاب الى النور، وكل الذين يشجعوني على الاستمرار في التأليف. وفي ظل النقاش القائم في مجتمعنا حول تعليم التاريخ حسبي أن أقدم، كل عام، مساهمة تشكل لبنة في تجديد البحث عن ماضي شعبنا في المرحلة العثمانية، وكذلك في مجال توسيع الوعي بموضوع حدود دولتنا اللبنانية. وهذا الجهد البحثي هو جزء من واجبي الأكاديمي تجاه طلابي في الجامعة اللبنانية، وتجاه زملائي الذين يدرّسون مادة التاريخ في مختلف المراحل التعليمية. وعلى أمل أن تساهم هذه الأبحاث في ترسيخ الذاكرة التاريخية الموحدة لدى شبيبتنا ونخب مجتمعنا، نؤكد عزمنا على الاستمرار في الدفاع عن قيم الحرية والعدالة، ونتطلع إلى مستقبل أفضل لأبناء شعبنا ولكل أبناء الإنسانية.

أول شباط ٢٠١٠

١ أوقاف المدارس في النواحي اللبنانية في القرن السادس عشر*

أولاً – مصادر البحث، ومقدمات عامة

يرتكز هذا البحث على عدد من دفاتر الطابو العثمانية الموجودة في أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول، وهي من دفاتر المفصّل:

١. الدفتر ٦٨ مفصّل العائد للعام ٩٢٥ هـ أو ١٥١٩م وهو يتناول نواحي ولاية طرابلس.
٢. الدفتر ٥١٣ مفصّل الذي يتناول أيضاً ولاية طرابلس، ويعود للعام ٩٦٩ هـ أو ١٥٧١م.
٣. الدفتر ٤٣٠ مفصّل الذي يعود إلى العام ١٥٢٥ تقريباً وهو يتناول لواء شام شريف.
٤. والدفتر ٣٨٣ مفصّل الذي يعود للعام ١٥٥٠ م تقريباً وهو يتناول نواحي من ولاية شام شريف.
٥. والدفتر المفصّل ٣٠٠ الذي استندنا إليه بالنسبة لناحيتي شقيف وتبنين بني بشارة، يعود بحسب د. خليل ساحلي أوغلى للعام ١٥٥٥ م مع العلم ان دليل أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول لا يحدد تاريخه.
٦. والدفتر المفصّل ٥٥٩ لا يحدد دليل الأرشيف تاريخ وضعه.
٧. والدفتر ٤٠١ مفصّل الذي يعود للعام ١٥٦٦ على وجه التقريب وهو يتناول نواحي من لواء صفد.

وهذه الدفاتر لا تتضمن وصفاً للأوقاف باعتبار أن ثمة دفاتر أخرى خاصة بالوقفيات. ما تضمنته هو اسم الوقفية، واسم المزرعة أو القرية، أو الحصة من المزرعة والقرية، مع كمية المال (بالآقجة) المخصصة للوقفية.

* بحث قدم في المؤتمر الذي نظمته الجامعة اللبنانية (قسم التاريخ – الفرع ٣) طرابلس والمعهد الألماني الشرقي في بيروت ١٣–١٤–١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٨.

كما لا تتضمن هذه الدفاتر عرضاً لمناهج التعليم أو لمن يعلّم، ولا إلى عدد الطلاب.
لكن نستطيع من مصادر موازية أن نتوصل إلى بعض المعطيات المتعلقة بالمدارس في الفترة العثمانية موضوع البحث.

ثانياً – بعض خصائص النظام التعليمي

١. جاء في مقدمة القانوننامة التي تنظم الحياة التعليمية في عهد السلطان سليمان القانوني «أعلم أن المناط في نظام العالم وصلاح أحوال بني آدم، والباعث على تدوين نسخ الخلائق والداعي لإنشاء الدولة والحقائق هو تحصيل المعرفة من جناب رب العالمين وتكميل علوم الأنبياء والمرسلين». هكذا يبدو أن التعليم هو أولاً إيضاح العلم والحكمة، ثم بالترتيب – الفضيلة والمعرفة، والدين والشريعة، وتطوير المواهب والملكات الإنسانية، ويرى السلطان نفسه مسؤولاً عن تحقيق ذلك[١].

٢. كان التعليم يجري في الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والخوانق والربط المنتشرة بكثرة في أغلب الولايات العربية إبان القرن السادس عشر. وكانت كل مؤسسة من تلك المؤسسات التعليمية تختلف عن الأخرى في حجمها ومعلّميها، وعدد طلابها، ومناهج تعليمها. ويرتبط هذا بصفة خاصة، بالأوقاف المخصصة لها من الهيئة التي أنشأتها، وبمستوى مدرسيها من العلم والمعرفة، وبطرائق تدريسهم[٢].

٣. إن العملية التعليمية كانت متروكة تماماً لتصرف المدرّس الذي يجري تعيينه ضمن الشروط التي يضعها الواقف جرياً على التقاليد الإسلامية السارية.[٣]

٤. كان الطالب يدرَّس اللغة (الصرف والنحو)، أي يتعلم القراءة والكتابة. ويتلقف مبادئ الدين الإسلامي ويحفظ القرآن. كما يتعلم قواعد الدين الإسلامية والتجويد والكتابة والعمليات الحسابية الأربعة. وهناك آراء متباينة حول ما إذا كانت لغة التدريس هي العربية وحدها، أم أن التركية (العثمانية) كانت تعلّم أيضاً.[٤]

١. اشراف أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، نقله إلى العربية صالح سعداوي، IR-CICA، استانبول، ١٩٩٩، ص ٤٦٧–٤٦٨ نقلاً عن كتاب جاهد بلطجي عن تاريخ التعليم عند العثمانيين في القرنين ١٥–١٦، اسطنبول، ١٩٧٦، ص ٦٢٣–٦٢٧ (بالتركية).
٢. المرجع السابق، ص ٣١١.
٣. المرجع نفسه، ص ٤٥٥.
٤. المرجع نفسه، ص ٤٥٠.

٥. عملية التدريس كانت تجري على مدى الأسبوع ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة حتى لا يدخل الملل نفوس الطلاب. وأن عدد سنوات الدراسة كان محدداً بخمس سنوات لا يتجاوزها.[١]

٦. الزوايا والتكايا هي الأخرى كانت مؤسسات تعليمية من نوع آخر ورثها العثمانيون عن الدول الإسلامية التي سبقتهم. ويجري فيها إلقاء الدروس في أمور الشريعة والطريقة والحقيقة للدراويش من أتباع طريقتها أولاً، ثم لمن يلجأ إليها من الأهالي المحيطين بها، كل حسب موهبته واستعداده[٢]. وكان لكل تكية أسلوبها الخاص في التعليم تبعاً للطريقة الصوفية التي تتبعها[٣]. ويبدو أن الزوايا قد احتلت مكانة هامة في الحياة التعليمية والدينية والصوفية والثقافية.

٧. كان المدرّسون يتلقون مرتبات من الأوقاف المخصصة للمدارس، كما كانوا يتناولون عادة بعض الهدايا والعطيات خلال مناسبات معينة.

٨. إن أوقاف بعض المساجد كانت ترتبط بعملية التعليم فيها، بينما أوقاف أخرى، لا سيما القليلة المردود، كانت مخصصة لشيخ المسجد أو العاملين فيه.

ثالثاً – أوقاف المدارس والزوايا والمساجد في النواحي اللبنانية الشمالية (الدفترين ٦٨ و ٥١٣)

١. أوقاف المدارس في ولاية طرابلس (من فتوح بني رحّال جنوباً إلى عرقا شمالاً)

أ) تبعاً لإحصاء ١٥١٩ (الدفتر ٦٨) بلغ مردود أوقاف المدارس ٦٠٠٠ آقجة. وأوقاف المساجد ١٩٢٧٠ آقجة. وأوقاف الزوايا ٢٤٧٠ آقجة.

وقد شكّل مردود هذه الأوقاف ما نسبته ١٩ ,٨٪ من مجموع مردود الأوقاف في النواحي اللبنانية من ولاية طرابلس.

١. المرجع نفسه، ص ٤٥١.
٢. المرجع نفسه، ص ٤٧٥.
٣. المرجع نفسه، ص ٤٧٦.

ب) أوقاف المدارس مصدرها مزرعة واحدة وخمس قرى (ثلاث يسكنها مسلمون، واحدة يسكنها مسيحيون، وواحدة مختلطة).

ج) أسماؤها:
- وقف مدرسة قول حسن (طرابلس) ١٠٠٠ آقجة.
- وقف مدرسة طوامين (طرابلس) ٣٠٠ آقجة.
- وقف مدرسة صحيحة (طرابلس) ١٥ قلة زيت من قرية علما أي ما يوازي ٩٠٠ آقجة.
- وقف مدرسة شمونية العمر (القاهرة) ٣٨٠٠ آقجة.

د) الأوقاف المخصصة للزوايا هي خمسة:
- وقف زاوية قول حسن (طرابلس) ٣٠٠ آقجة.
- وقف زاوية كنجبك (طرابلس) ٤٢٥ آقجة.
- وقف زاوية كوتلو ٢١٠ آقجة.
- وقف زاوية بركة الداوية (طرابلس) ١١٦٠ آقجة.
- وقف زاوية حبلص ٣٧٥ آقجة.
- المبلغ الإجمالي لأوقاف الزوايا ٢٤٧٠ آقجة.

بالنسبة لموارد أوقاف المدارس والزوايا والمساجد في النواحي اللبنانية من ولاية طرابلس:

تبعاً لإحصاء ١٥٧١ (الدفتر ٥١٣) يمكن الوصول إلى المعطيات التالية:

أوقاف المدارس مردودها ٨٧٥٣ آقجة.

أوقاف الزوايا مردودها ٥٠٠ آقجة.

أوقاف المساجد مردودها ٣٩٦٢٢ آقجة.

مجموع مردود هذه الأوقاف كان يشكل ٧,٦٥٪ من مردود مجموع الأوقاف في النواحي المعنية. وهذا الرقم يعتبر أقل من النسبة في الإحصاء السابق، مع الإشارة إلى أن نسبة مردود أوقاف المساجد وحدها زادت عن السابق.

رابعاً – أوقاف المدارس والزوايا والجوامع في النواحي اللبنانية من ولاية شام شريف (الدفتر ٤٣٠) عام ١٥٢٥

في نواحي صيدا وبيروت

إذا انطلقنا من الدفتر ٤٣٠ وحاولنا أن نركز على مردود أوقاف المدارس في نواحي صيدا وبيروت لتوصلنا إلى الجدول التالي:

موارد الاوقاف في بعض النواحي اللبنانية تبعاً للدفتر ٤٣٠ (ولاية شام شريف) عام ١٥٢٥

اسم الناحية	شوف ابن معن	غرب	جرد	متن	جبل كسروان والجردين	بيروت	اقليم خرنوب	اقليم شومر	صيدا	المجموع	النسبة %
أسماء علم	٤،٥٧١	١٠،٢٩٤	٢،٥٤٧		٣٥٠	١٣،٦٠٠	٦،٩٦٦	٤،٨٨٧	٤،٧٢٣	٤٧،٩٣٨	٨,٩٦٪
أسماء ورثة	٣٢،٠٣٩	٧،٥٠٠	١٩،٩٩٢			١،٨٩١	٢٦،٣٩١,٥	٢٠،٢١٣	٥٨،٥٧٢	١٦٦،٥٩٧	٣١,١٤٪
اسماء قضاة وأولادهم	٥،٨٨٠	٥،٦٨٦,٥٠	١٩٤,٠٠						٢٩،٦٦٧	٤١،٤٢٧,٥٠	٧,٧٤٪
حرمين الشريفين	٦،٠٦٩	١،٥٠٠						١،٦٢٤	٢٢،٩٠٠	٣٢،٠٩٣	٦,٠٠٪
مدرسة	٨،٩٦٨	٣٨،٩١٠	٦،١٧٢,٥٠				٢٠،٤٥٠		٢٠٠	٧٤،٧٠٠,٥٠	١٣,٩٦٪
جامع	١٥،٠٠٠		١،٥٨٣				١٦،٨٢٠	٥،٠٠٠	١،٣٤٨	٣٩،٧٥١	٧,٤٣٪
وقف ملك	١،١٧١,٥٠						١،٤٤٠		٤٤،٢٢٢	٤٦،٨٣٣,٥٠	٨,٧٥٪
برج		٦٦٦				٢١،٩٧٠	٣٣٤		٤،٧٥٠	٢٧،٧٢٠	٥,١٨٪
زاوية								١،٣٠٩		١،٣٠٩	٠,٢٤٪
مختلف				٥٠،٦٢٥				٣،٤٦٥		٥٤،٠٩٠	١٠,١١٪
تربة								٢،٥٠٠		٢،٥٠٠	٠,٤٧٪
المجموع	٧٣،٦٩٨,٥٠	٦٤،٥٥٦,٥٠	٣٠،٤٨٨,٥٠	٥٠،٦٢٥	٣٥٠	٣٧،٤٦٠,٥٠	٧٢،٤٠٠,٥٠	٣٨،٩٩٨	١٦٦،٣٨٢	٥٣٤،٩٥٩,٥٠	١٠٠,٠٠٪
النسبة%	١٣,٧٨٪	١٢,٠٧٪	٥,٧٠٪	٩,٤٦٪	٠,٠٧٪	٧,٠٠٪	١٣,٥٣٪	٧,٢٩٪	٣١,١٠٪	١٠٠,٠٠٪	

انطلاقاً من هذا الجدول يشكل مردود أوقاف المدارس ١٣,٩٦٪، ومردود المساجد والحرمين الشريفين ١٣,٤٢٪ والزوايا ٠,٢٤٪، ومن أبرز المدارس الموقوف لها:

- مدرسة مباركة في الصالحية بالشام: ١٧٠٤ آقجة من قرية فريديس في ناحية شوف ابن معن. وكذلك ٤٥٠٠ آقجة من قرية برجه في ناحية إقليم الخرنوب.
- مدرسة عونك المشهور بالجديد.
- مدرسة كحلا.
- مدرسة في الشام المحروسة.
- مدرسة أبي عمر.
- مدرسة في المغيرية.

في ناحية بعلبك (الدفتر ٤٣٠)

أ) أوقاف المدارس:

٢-١ الأوقاف في ناحية بعلبك أو آخر الربع الأول من القرن ١٦ بحسب دفتر التحرير ٤٣٠ – المدارس

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة (أو المطحنة)	المردود السنوي (بالآقجة)	النسبة %
وقف مدرسة	طاحون الخطيب (مدينة بعلبك)	١٦٠	٣,١٦٪
وقف مدرسة الرسول	مدينة بعلبك	٣٠٠	٥,٩٢٪
وقف مدرسة	قرية حربتا	٨٣	١,٦٤٪
وقف مدرسة الزيان	قطعة أرض (تابعة قرية العين)	١٢٠٠	٢٣,٦٩٪
وقف مدرسة شرقية في بعلبك	مزرعة جبع (تابعة يونين)	١٢٢	٢,٤١٪
وقف مدرسة بدرية في بعلبك	مزرعة مغراق (تابعة رعيان)	١٠٠٠	١٩,٧٤٪
وقف نور الدين الشهيد على مدرسة في بعلبك	مزرعة سبعل التحتا (تابعة فيكي)	٢٢٠٠	٤٣,٤٤٪
المجموع		٥٠٦٥	١٠٠,٠٠٪

ب) أوقاف الجوامع ومؤذنيها:

١-٣ أوقاف الجوامع ومؤذنيها

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة (أو المطحنة)	المردود السنوي (بالآقجة)	النسبة %
وقف مسجد حيان (بعلبك)	مدينة بعلبك	٢٥٠	٢,٠٥٪
وقف جامع رأس بعلبك	مدينة بعلبك	٢٦٠٠	٢١,٣٤٪
وقف جامع اموي	مدينة بعلبك	١٠٠٠	٨,٢١٪
وقف جامع	مزرعة زاوية جامع ايعات	٢٠٠	١,٦٤٪
وقف جامع الكبير في بعلبك	مزرعة دوبا (تابعة يونين وعمكا)	٢٠٠	١,٦٤٪
وقف منجك جامع في محلة مسجد القصير، وجامع ميدان في الحصن في نفس شام المحروسة	مزرعة عميق (تابعة قرية رعيان)	٥٠٠	٤,١٠٪
وقف موسى بن موسى على مسجد قنابلي بعلبك	مزرعة حربتا الشيخ (تابعة حربتا)	١٥٠	١,٢٣٪
وقف جامع مراسبان في الشام المحروسة	قرية ايعات	١٨٨٤	١٥,٤٦٪
وقف اولاد بكري بك وعلى مسجده في محلة مهران في نفس شام المحروسة	قرية يونين	٥٤٠٠	٤٤,٣٢٪
المجموع		١٢١٨٤	١٠٠,٠٠٪

انطلاقاً مما سبق نلاحظ جملة أمور:

- إن الأكثرية الساحقة من هذه المدارس تتركز في مدينة بعلبك.
- إن مردود هذه الأوقاف، يأتي، في أغلبيته، من المزارع المرتبطة بالقرى.
- مجمل هذه المدارس تتبع المذاهب الفقهية السنية.
- وقف نور الدين الشهيد، المخصص لمدرسة في بعلبك، يبدو أنه الأكثر أهمية (مردود ٢٢٠٠ آقجة).

ج) أوقاف الزوايا:

١-٤

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة (أو المطحنة)	المردود السنوي (بالآقجة)	النسبة %
وقف تيمار سيّد منجك	قرية مطرفه	٤٥٠٠	٥٦,٤١٪
وقف زاوية العمود في بعلبك المحروسة	قرية ايعات	٩٤٢	١١,٨١٪
وقف ابراهيم مالوش الفرفور ومصبغة علي شطح (سجل العين في الشياح)	قرية ايعات	١٣٥	١,٦٩٪
وقف زاوية الرحال	بعلبك	١٢٠٠	١٥,٠٤٪
وقف تيمار سباهية في بعلبك	مزرعة جبع (تابعة يونين)	٥٠	٠,٦٣٪
وقف مزارشيت نبي عليه السلام	مزرعة فروسيا (تابعة طليا)	٢٠٠	٢,٥١٪
وقف.....الشهيد	مزرعة تل الضيعة (تابعة ايعات)	٧٥٠	٩,٤٠٪
وقف (...)	بستان المشيمشة (تابعة ايعات)	٢٠٠	٢,٥١٪
المجموع		٧٩٧٧	١٠٠,٠٠٪

هكذا يتضح أن نسبة مردود أوقاف المدارس في ناحية بعلبك تشكل ١١,٤٪ من مجموع مردود أوقاف الناحية، وأوقاف الجوامع والمؤذنين ٨٩,٩٪، وأوقاف الزوايا والتيمار وغيرها ٦,٤٧٪.

خامساً – أوقاف المدارس والجوامع والزوايا في بعض النواحي اللبنانية من ولاية شام شريف (الدفتر ٣٨٣) عام ١٥٥٠

١. شوف ابن معن، غرب، جرد، إقليم خرنوب، متن، بيروت، جزين، إقليم شومر، إقليم التفاح

إن دراسة مدققة للأوقاف في هذا الدفتر، وفي النواحي المشار إليها أعلاه، توصلنا إلى الجدول التالي:

١–٥ موارد الاوقاف في بعض النواحي اللبنانية تبعاً للدفتر ٣٨٣ (ولاية شام شريف) عام ١٥٢٥

اسم الناحية	شوف ابن معن	غرب	جرد	اقليم خرنوب	متن	بيروت	جزين	اقليم شومر	اقليم التفاح	المجموع	النسبة %
أسماء علم	٥٧،٥٧٣,٥٠	١٦،٢٠١,٠٠	٣٠،٣٣٣	٣١،١٤٥	٦،٣٣٤	١٣،٦٠٠	١٩،٣٧٩	٣٩،١٠٠	٦٠،٣٦٧	٢٧٤،٠٣٢,٥٠	٤٢,٣٠٪
أسماء ورثة	١٦،٣٤٦,٥٠	١٨،٣٧٣,٠٠	١،٣٩٠	١٠،٩٨٢	٧،٦٨٧	٢،٠٠٠	٢،٧٨٠	٧،٨٧٥	٣٠،٩٩٤	٩٨،٤٢٧,٥٠	١٥,١٩٪
أسماء قضاة وأولادهم	٨،٤٥٢,٠٠	٢،٢٩٣,٥٠	٦،٣٠٦	٣،٣٢٨	-	-	١٢،٣١٨	-	٣٥،٩٠٦	٦٨،٦٠٣,٥٠	١٠,٥٩٪
حرمين شريفين	١٧،١٢٥,٥٠	-	٢،٤٦٠	-	-	-	١،٥٠٠	٢،٢٥٠	٢،٧٥١	٢٦،٠٨٦,٥٠	٤,٠٣٪
مدرسة	٨،٠٨٧,٠٠	١٧،٣٨٤,٠٠	٤،٠٠٨	١٥،١٥٤	-	-	١٥،٠٠٠	-	-	٥٩،٦٣٣,٠٠	٩,٢١٪
جامع	٢٠٠,٠٠	-	١،٠٠٠	٢٠٠	-	١،٠٠٠	٢،٠٦٠	-	-	٤،٤٦٠,٠٠	٠,٦٩٪
وقف ملك	٤،٩٩١,٠٠	-	-	٢،٠٤٨	-	-	٥،٢٥٠	-	٩،٦٠٠	٢١،٨٨٩,٠٠	٣,٣٨٪
مختلف	١،٨٠٤,٠٠	-	-	-	-	-	* ٣،٠٠٠	** ٢٢،٥٠٠	-	٢٧،٣٠٤,٠٠	٤,٢١٪
برج	-	٤٤٠,٠٠	-	٦٨٠	٩،٤٣٥	٥٦،٥٠٠	-	-	-	٦٧،٠٥٥,٠٠	١٠,٣٥٪
زاوية	-	-	-	-	-	-	-	٣٢٠	-	٣٢٠,٠٠	٠,٠٥٪
المجموع	١١٤،٥٧٩,٥٠	٥٤،٦٩١,٥٠	٤٥،٤٩٧	٦٣،٥٣٧	٢٣،٤٥٦	٧٣،١٠٠	٦١،٢٨٧	٧٢،٠٤٥	١٣٩،٦١٨	٦٤٧،٨١١,٠٠	١٠٠,٠٠٪
النسبة%	١٧,٦٩٪	٨,٤٤٪	٧,٠٢٪	٩,٨١٪	٣,٦٢٪	١١,٢٨٪	٩,٤٦٪	١١,١٢٪	٢١,٥٥٪	١٠٠,٠٠٪	

ملاحظة: لا ذكر للاوقاف في ناحية كسروان والجردين

انطلاقاً من هذا الجدول يمكن أن نسجّل الملاحظات التالية:

- شكل مردود أوقاف المدارس نسبة ٩,٢١٪ أي ما يقارب ٥٩,٦٣٣ آقجة.
- ومردود أوقاف الجوامع (ما عدا الحرمين الشريفين) ٠,٦٩٪ أي ما يقارب ٤,٤٦٠ آقجة.
- ومردود أوقاف الزوايا ٠,٠٥٪ أي ما يقارب ٣٢٠ آقجة.
- أوقاف الحرمين الشريفين قاربت ٢٦,٠٨٦,٥٠ آقجة أي ٤,٠٣٪ من مجموع موارد أوقاف الناحية.
- ناحية الغرب هي الأعلى في مردود المدارس، وجزين هي الأعلى في مردود الجوامع، بينما شوف ابن معن يدفع لأوقاف الحرمين الشريفين المبلغ الأعلى.
- ولا أوقاف للزوايا إلا في ناحية شومر.

أ) المدارس:

١–٦ الاوقاف في ناحية بعلبك منتصف القرن ١٦ بحسب الدفتر ٣٨٣

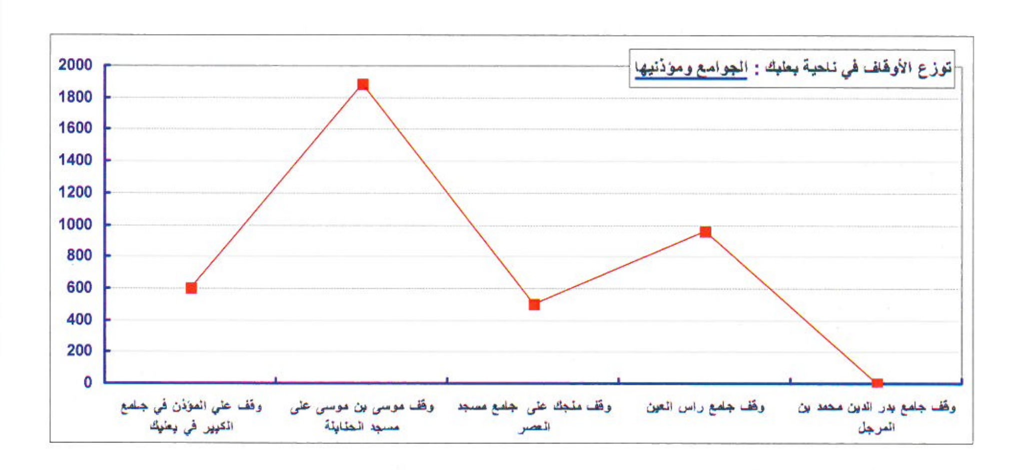
الوقف اسم	القرية الموقوفة أو المزرعة	المردود السنوي (بالآقجة)	النسبة%
وقف مدرسة كردية	مزرعة دير معيصر (بيد أهالي نحلة)	٤٥٠	٠,٩٤٪
وقف مدرسة نور الدين شهيد في بعلبك	بيد أهالي) مزرعة سبعين التحتا نحلة)	٨٠٠٠	١٦,٦٤٪
وقف مدرسة كروبي	قرية شعث	٣٩٤	٠,٨٢٪
وقف مدرسة مباركة	قرية نبحا	١٨٠٠٠	٣٧,٤٥٪
وقف مدرسة لولو	قرية حربتا	٣٩٠	٠,٨١٪
وقف مدرسة ابو كفية	نبحا قطعة أرض تابعة	٢٢٥٠	٤,٦٨٪
وقف مدرسة نور الدين الشهيد	قرية رعيان	٦٤٥	١,٣٤٪
وقف مدرسة نورية	مزرعة مغراق	٢٦٤٠	٥,٤٩٪
وقف مدرسة اسرمد	رعيان بستان بيد أهالي	٥٠٠	١,٠٤٪
وقف مدرسة ايعات	البركة قطعة أرض كوف تحفة	٢٤٠	٠,٥٠٪
وقف مدرسة أشرفية	أهالي مزرعة ضيعة (بيد كفردان)	٤٨٠	١,٠٠٪
وقف المدرسة	مزرعة تمنين قطعة أرض تابعة (الفوقا (بيد أهالي يونين	٢٠٠	٠,٤٢٪
وقف نور الدين شهيد على مدرسة النورية	قرية مقنه تماماً	١١٢٨٠	٢٣,٤٧٪
وقف مدرسة نور الدين	تابعة) مزرعة بدل الضيعة (وردين)	٦٠٠	١,٢٥٪
وقف مدرسة مالك في بعلبك	(تابعة عين) مزرعة مفرق كعدل	٢٠٠٠	٤,١٦٪
المجموع		٤٨٠٦٩	١٠٠,٠٠٪

انطلاقاً من هذا الجدول يبلغ مردود أوقاف المدارس، في ناحية بعلبك ٤٨٠٦٩ آقجة ويبدو أن مدرسة نورية تأتي في الطليعة (٢٣١٦٥ آقجة) ولها أوقاف في عدة قرى ومزارع. ولا نستطيع التأكيد أن جميع المدارس هي سنية، وربما كان هناك مدارس على المذهب الجعفري.

ب) أوقاف الجوامع ومؤذنيها (ما عدا الحرمين الشريفين)

مردودها **٣٩٤١** أو ما يوازي ١,٨٨٪ من مجموع مردود أوقاف الناحية.

الوقف اسم	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة	المردود السنوي (بالآقجة)	النسبة %
المؤذن في جامع الكبير وقف علي في بعلبك	مزرعة دوبا تابعة نيحا	٦٠٠	١٥,٢٢٪
وقف موسى بن موسى على مسجد الحنابلة	نيحا مزرعة دوبا تابعة	١٨٨١	٤٧,٧٣٪
مسجد جامع وقف منجك على العصر	قرية رعيان مزرعة فتقة تابعة	٥٠٠	١٢,٦٩٪
وقف جامع راس العين	مزرعة رابع	٩٦٠	٢٤,٣٦٪
وقف جامع بدر الدين محمد بن المرجل	طاحون الشيخ (تابعة قرية كفردان)	قيراط من ٩ > مردود الطاحون	
المجموع		٣٩٤١	١٠٠,٠٠٪

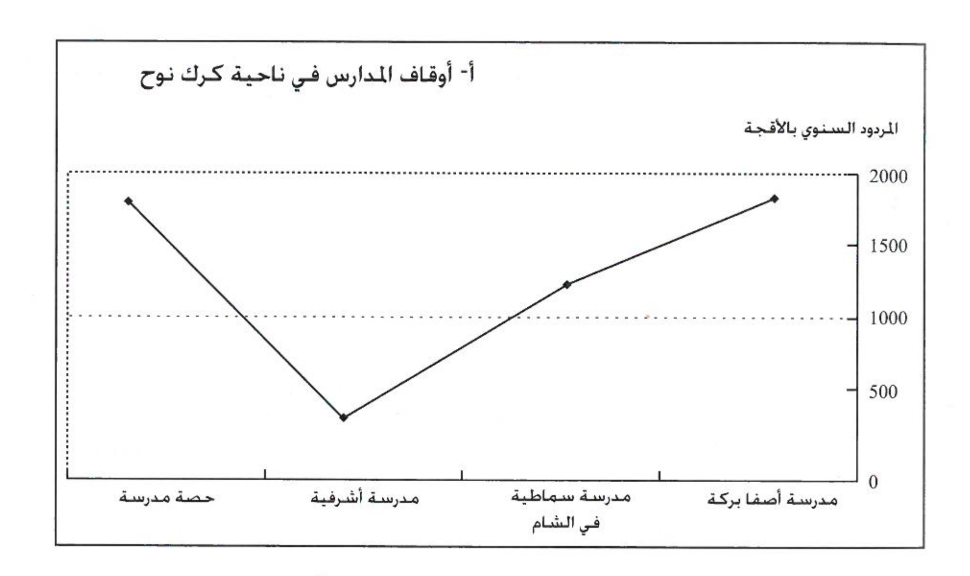


ج) أوقاف الزوايا مع بعض المختلف كان يصل مردودها إلى **١٤٧٥١** آقجة.

٢. أوقاف المدارس في ناحية كرك نوح وشوف البياض وحمّارة من خلال الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠)

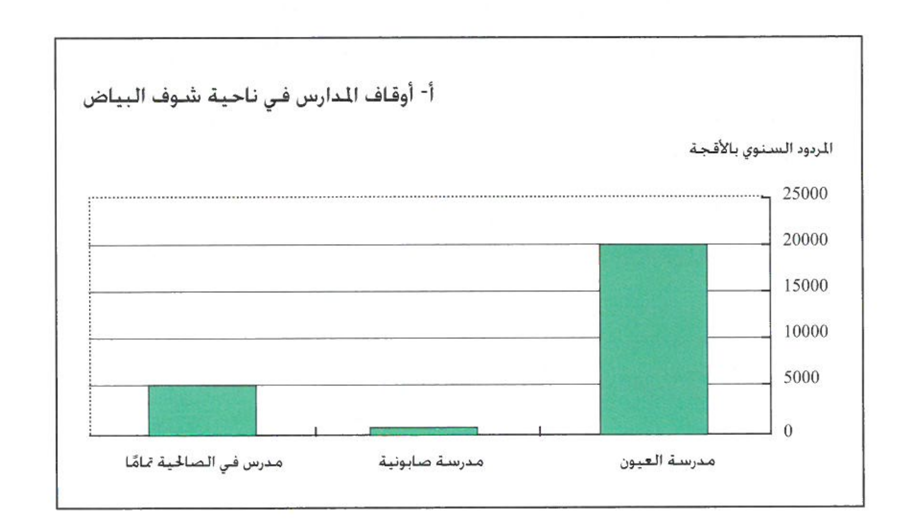
١-٨ أوقاف المدارس في ناحية كرك نوح من خلال الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠)

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة	المردود السنوي (بالأقجة)	النسبة ٪
مدرسة أصفا بركة	مزرعة جديدة ابو الهوا (بيد اهالي دير زنون) 12 ط	1880	33.75%
مدرسة سماطية في الشام	مزرعة دير النبطية 112 ط	1345 <	24.15%
مدرسة أشرفية	بودي (2 سهم من 27 سهم)	464 <	8.33%
حصة مدرسة	بشوات 12ط	1880	33.75%
المجموع		**5570**	**100 %**



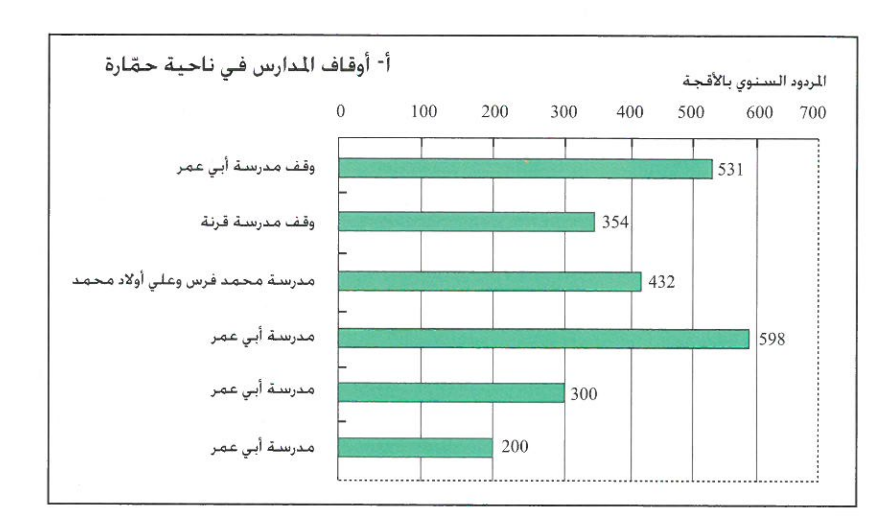
١–٩ أوقاف المدارس في ناحية شوف البياض

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة	المردود السنوي (بالأقجة)	النسبة ٪
مدرسة العيون	لالا 12 ط	20000	77.88%
مدرسة صابونية	قرعون 2 ط	682	2.66%
مدرس في الصالحية تمامًا	مزرعة دير العواد (بيد أهالي تل ذنوب)	5000	19.47%
المجموع		25682	100.00%



١–١٠ أوقاف المدارس في ناحية حمّارة

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة	المردود السنوي (بالأقجة)	النسبة ٪
وقف مدرسة أبي عمر	غزة > 1 ط	531	21.99%
وقف مدرسة قورنة	غزة 1ط	354	14.66%
مدرسة محمد فرس وعلي أولاد محمد	قرنانة > 2 ط	432 >	17.89%
مدرسة أبي عمر	ملول 3 ط وثلث وربع ط	598	24.76%
مدرسة أبي عمر	قطعة أرض في قرنانة	300	12.42%
مدرسة أبي عمر	ملول قطعة أرض تعرف بحقل المرابع)	200	8.28%
المجموع		**2415**	**100.00%**



من خلال الجدولين يتضح أن مجموع مردود أوقاف المدارس في ناحية كرك نوح يصل إلى ٥٥٧٠ آقجة.

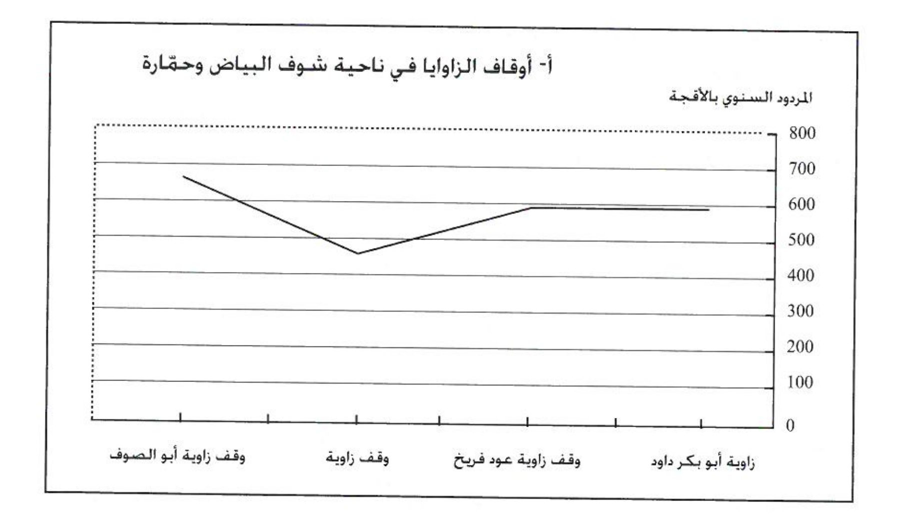
وأن مجموع مردود أوقاف المدارس في ناحية شوف البياض ٢٥٦٨٣ آقجة.

٣. أوقاف الزوايا في ناحيتي شوف البياض وحمارة (الدفتر ٣٨٣) (١٥٥٠)

على صعيد أوقاف الزوايا في الناحيتين المذكورتين يلحظ الدفتر **٣٨٣** مبلغ **٢٥٤٤** آقجة تجمع من عيتنيت وخربة قنافار وغزة:

١–١١ أوقاف الزوايا في ناحيتي شوف البياض وحمارة (الدفتر ٣٨٣) (١٥٥٠)

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة	المردود السنوي (بالأقجة)	النسبة ٪
زاوية أبو بكر داود	عيتنيت 3ط	585	24.22%
وقف زاوية عود فريخ	عيتنيت 3 ط	585	24.22%
وقف زاوية	قطع أرض في خربة قنافار (عددها 6	700	17.89%
زاوية أبو الصوف	غزة وربع ط >1 ط وربع ط وعشر ط	674	27.91%
المجموع		**2544**	**100%**

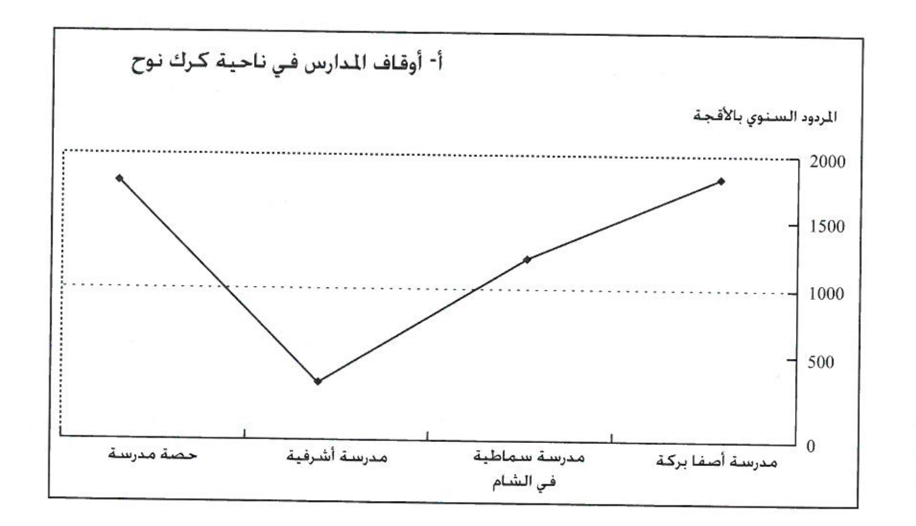


٤. مردود أوقاف الجوامع والمساجد في ناحيتي كرك نوح وقورنة (الدفتر ٣٨٣):

يبلغ مردود أوقاف الجوامع والمساجد **١٤,٤٤٠** في ناحية كرك نوح.
في ناحية قورنة كان مردود أوقاف الجوامع والمساجد **٣٤١٠** آقجة.

١-١٢ أوقاف المدارس في ناحية كرك نوح من خلال الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠)

اسم الوقف	اسم القرية أو المزرعة الموقوفة	المردود السنوي (بالأقجة)	النسبة ٪
مدرسة أصفا بركة	مزرعة جديدة ابو الهوا (بيد اهالي دير زنون) 12 ط	1880	33.75%
مدرسة سماطية في الشام	مزرعة دير النبطية 112 ط	1345 <	24.15%
مدرسة أشرفية	بودي (2 سهم من 27 سهم)	464 <	8.33%
حصة مدرسة	بشوات 12ط	1880	33.75%
المجموع		**5570**	**100%**



سادساً – أوقاف المدارس في بعض النواحي اللبنانية من ولاية شام شريف (الدفتر ٤٠١) (١٥٦٦م)

من خلال الدفتر ٤٠١ (عام ١٥٦٦) نلاحظ وجود المعطيات التالية، في موضوع مردود أوقاف المدارس:

– أوقاف مدارس ناحية وادي التيم وعرقوب مردودها ٢٥٨٦٦ آقجة لحظت في ست قرى ومزرعة واحدة.
– ثمة وقف لمدرسة واحدة في ناحية صيدا مردودها ألف آقجة.
– ثمة مزرعتان (النخيله والدوير)، في ناحية حولة، لحظ منهما مبلغ ٨٨٧ آقجة.

سابعاً – مقارنات عامة

إذا حاولنا أن نقارن مردود أوقاف المدارس والجوامع والزوايا في سنوات الإحصاء المختلفة لاستطعنا أن نسجّل جملة ملاحظات:

١. في نواحي لبنان التي كانت جزءاً من ولاية طرابلس، وبين الدفترين ٦٨ (١٥١٩) و٥١٣ (١٥٧١) تزايد مردود أوقاف المدارس من ٦٠٠٠ آقجة إلى ٨٧٥٣ آقجة، ومردود أوقاف الجوامع تزايد من ١٩٢٧٠ إلى ٣٩٦٢٢ آقجة. بينما على صعيد مردود الزوايا حصل تراجع من ٢٤٧٠ آقجة عام ١٥١٩ إلى ٥٠٠ آقجة عام ١٥٧١.

٢. انطلاقاً من الدفترين ٤٣٠ (عام ١٥٦١) و٣٨٣ (١٥٥٠)، وفي نواحي شوف ابن معن وغرب وجرد ومتن وجبل كسروان، وبيروت وإقليم خرنوب وشومر وصيدا، حصل تزايد في مردود أوقاف المدارس من ٥٩٦٣٣ آقجة إلى ٧٤٧٠٠,٥ آقجة. كما حصل تزايد أكبر في مردود أوقاف الجوامع من ٤٤٦٠ آقجة عام ١٥٥٠ إلى ٣٩٧٥١ آقجة عام ١٥٦١، وفي مردود الزوايا تصاعد المردود من ٣٢٠ آقجة عام ١٥٥٠ إلى ١٣٠٩ آقجة عام ١٥٦١.

٣. بالنسبة لناحية بعلبك حصل تراجع في مردود أوقاف المدارس من ٤٨٠٦٩ آقجة عام ١٥٥٠ إلى ٥٠٦٥ آقجة عام ١٥٦١، بينما تزايد مردود أوقاف الجوامع من ٣٩٤١ آقجة عام ١٥٥٠ إلى ١٢١٨٤ آقجة عام ١٥٦١. أما مردود أوقاف الزوايا فقد تراجع هو الآخر من ١٤٧٥١ آقجة عام ١٥٥٠ إلى ٧٩٧٧ آقجة عام ١٥٦١.

١-١٣ جدول بمردود أوقاف المدارس والجوامع والزوايا
في النواحي اللبنانية خلال القرن ١٦ من خلال بعض دفاتر التحرير العثماني

رقم الدفتر والسنة	النواحي	مردود أوقاف المدارس (بالأقجة)	النسبة %	مردود أوقاف الجوامع (بالأقجة)	النسبة %	مردود أوقاف الزوايا (بالأقجة)	النسبة %	المجموع	النسبة %
1519.68	فتوح بني رحال، جبيل، بترون، كورا، بشري، زاوية، طرابلس، ضنية، عكار، عرقة	6000	2.28%	19270	14.06%	2470	8.27%	27740	6.44%
1571-513	فتوح بني رحال، جبيل، بترون، كورا، بشري، زاوية، طرابلس، ضنية، عكار، عرقة	8753	3.32%	39622	28.90%	500	1.57%	48875	11.35%
1561-430	شوف ابن معن، غرب، جرد، متن، جبل كسروان، بيروت، اقليم خرنوب، شومر، صيدا	74700.5	28.33%	39751	29.00%	1309	4.38%	115760.5	26.88%
1561-430	بعلبك	5065	1.92%	12184	8.89%	7977	26.70%	25226	5.86%
1550-383	شوف ابن معن، غرب، جرد، متن، جبل كسروان، بيروت، اقليم خرنوب، شومر، صيدا	59633	22.62%	4460	3.25%	320	1.07%	64413	14.96%
1550-383	بعلبك	48069	18.23%	3941	2.88%	14751	49.38%	66761	15.50%
1550-383	كرك نوح، شوف البياض، حمارة	33667.7	12.77%	17850	13.02%	2544	8.52%	54061.7	12.56%
1566-401	وادي التيم وعرقوب،صيدا، مناطق لبنانية من الحولة	27753	10.53%					2775.3	6.45%
المجموع		263641.2	100.00%	137078	100.00%	29871	100.00%	430590.2	100.00%

ثامناً – أوقاف الزوايا والجوامع في ناحيتي شقيف وتبنين بني بشارة تبعاً للدفترين ٣٠٠ (١٥٥٠) و٥٥٩ (١٥٧٠)

من خلال الدفتر ٣٠٠ نستنتج بعض المعطيات بالنسبة لأوقاف الجوامع والزوايا:

- مردود أوقاف الجوامع في ناحية شقيف **٥٠** آقجة وفي ناحية تبنين بني بشارة **٢٠٨٠** آقجة.
- مردود أوقاف الزوايا في ناحية تبنين بني بشارة **٥١٣٤** آقجة ولا إشارة لمردود أوقاف الجوامع.

١–١٤ موارد الأوقاف في ناحيتي شقيف وتبنين بني بشارة تبعاً للدفتر ٣٠٠ – لواء صفد (ولاية شام شريف)

اسم الناحية	شقيف	تبنين بني بشارة	المجموع	النسبة %
أسماء علم	٢١،٠٢٥	١٩،١١٠	٤٠،١٣٥,٠	٤٩,٩٩٪
أسماء ورثة	١٠،٩٣٥	١٠،٤٤٣,٥	٢١،٣٧٨,٥	٢٦,٦٣٪
اسماء قضاة وأولادهم	١،٠٠٠	-	١،٠٠٠,٠	١,٢٥٪
جامع	٥٠	٢،٠٨٠	٢،١٣٠,٠	٢,٦٥٪
زاوية	-	٥،١٣٤	٥،١٣٤,٠	٦,٣٩٪
وقف ملك	٦٧٥	-	٦٧٥,٠	٠,٨٤٪
بيمارستان	-	٣،٥١٥	٣،٥١٥,٠	٤,٣٨٪
وقف حصن النبي شعيب	٤،١٤٥	-	٤،١٤٥,٠	٥,١٦٪
برج	-	٢،١٦٩	٢،١٦٩,٠	٢,٧٠٪
المجموع	٣٧،٨٣٠	٤٢،٤٥١,٥٠	٨٠،٢٨١,٥	١٠٠,٠٠٪
النسبة %	٤٧,١٢٪	٥٢,٨٨٪	١٠٠,٠٠٪	

في الدفتر **٥٥٩** نلاحظ:

١. مردود أوقاف الجوامع في ناحية شقيف **١٥٠** آقجة، وأوقاف جوامع ناحية تبنين بني بشارة **٣١٨٠** آقجة.

٢. لم يتم لحظ مردود للزوايا في ناحية شقيف بينما لحظ **٥١٣٣** آقجة كمردود للزوايا في ناحية تبنين بني بشارة.

١–١٥ موارد الأوقاف في ناحيتي شقيف وتبنين بني بشارة تبعاً للدفتر ٥٥٩ – لواء صفد (ولاية شام شريف) (عام ١٥٧٠)

اسم الناحية	شقيف	تبنين بني بشارة	المجموع	النسبة %
أسماء علم	٣٠،٨٣٤	٣٠،٢٥٦	٦١،٠٩٠	٦٤,٧٨٪
أسماء ورثة	٨٢	١١،٦٨٢	١١،٧٦٤	١٢,٤٧٪
حرمين شريفين	٣،٦٠٠		٣،٦٠٠	٣,٨٢٪
برج		٣،٥٢٠	٣،٥٢٠	٣,٧٣٪
جامع	١٥٠	٣،١٨٠	٣،٣٣٠	٣,٥٣٪
زاوية		٥،١٣٣	٥،١٣٣	٥,٤٤٪
النبي شعيب	٥،٨٧٠		٥،٨٧٠	٦,٢٢٪
المجموع	٤٠،٥٣٦	٥٣،٧٧١	٩٤،٣٠٧	١٠٠,٠٠٪
النسبة %	٤٢,٩٨٪	٥٧,٠٢٪	١٠٠,٠٠٪	

إن غياب أوقاف المدارس في الدفترين ٣٠٠ و٥٥٩ هو أمر ملفت. والملفت أيضاً وجود أوقاف للزوايا في ناحيتين تعتبران شيعيتين في الأكثرية الساحقة من سكانهما[١].

لقد حاولنا أن نستخرج من بعض دفاتر الطابو بعض المعلومات عن أوقاف المدارس (الأسماء، المردود، أسماء المزارع والقرى الموقوفة لها). وحاولنا أن نضع مدخلاً عاماً عن هذه المدارس لجهة مناهجها والمعلمين العاملين فيها. ولكن يبدو أن العودة إلى نصوص وقفيات هذه المدارس هو الذي يعطينا المزيد من الوضوح. وهذه النصوص ربما تكون موجودة في دفاتر الأوقاف وهي تنتظر من ينكب على دراستها واستخراج ما تتضمن من معلومات في موضوع المدارس وفي الكثير من المواضيع الأخرى.

١. لفت نظري الزميل د. منذر جابر أنه لا وجود للزوايا عند الشيعة.



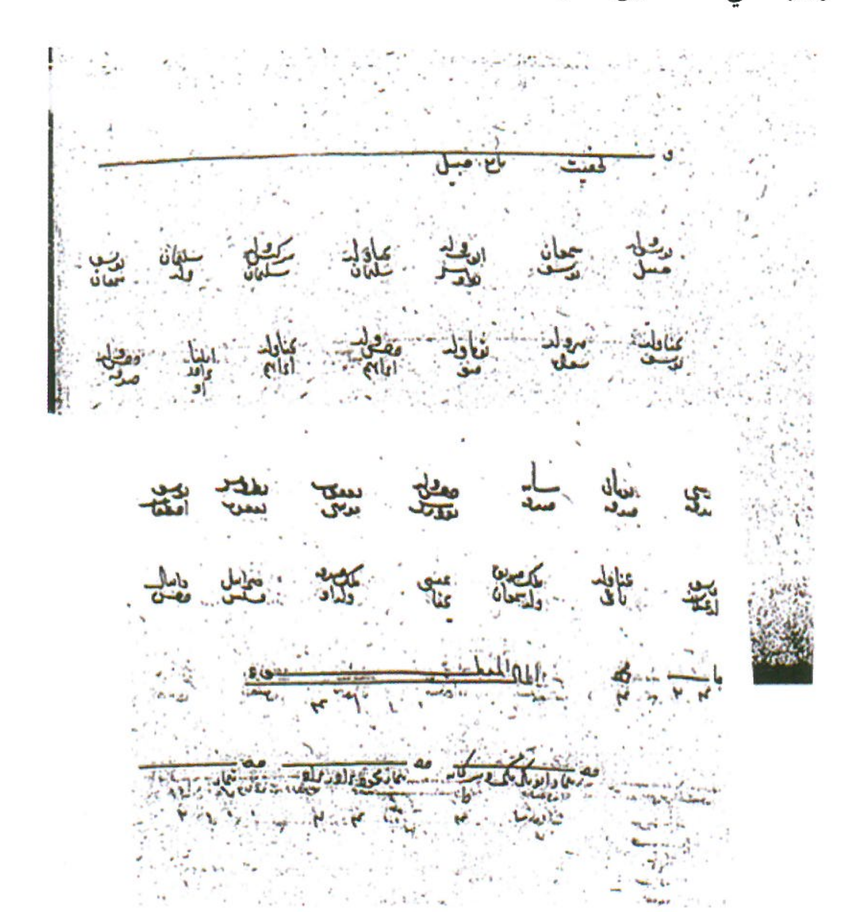
٢ الديمغرافية التاريخية والضرائب في لحفد في القرن السادس عشر

أولاً – مصادر الدراسة

يرتكز بحثنا على مصدر أساسي: ثلاثة دفاتر من دفاتر الطابو العثماني:

- اثنان موجودان في أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول.
- وثالث موجود في مركز الأرشيف الوطني في أنقرة.

الدفتر الأول يحمل الرقم ٦٨ ويعود للعام ٩٢٥ هـ أو ١٥١٩م وهو دفتر مفصّل، مع قانون نامة، ويتناول نواحي ولاية طرابلس (نفوس وحاصلات وتيمار وزعامت ووقف)[١]. والمعلومات عن لحفد موجودة في الصفحتين ٨٥ و ٨٦[٢].

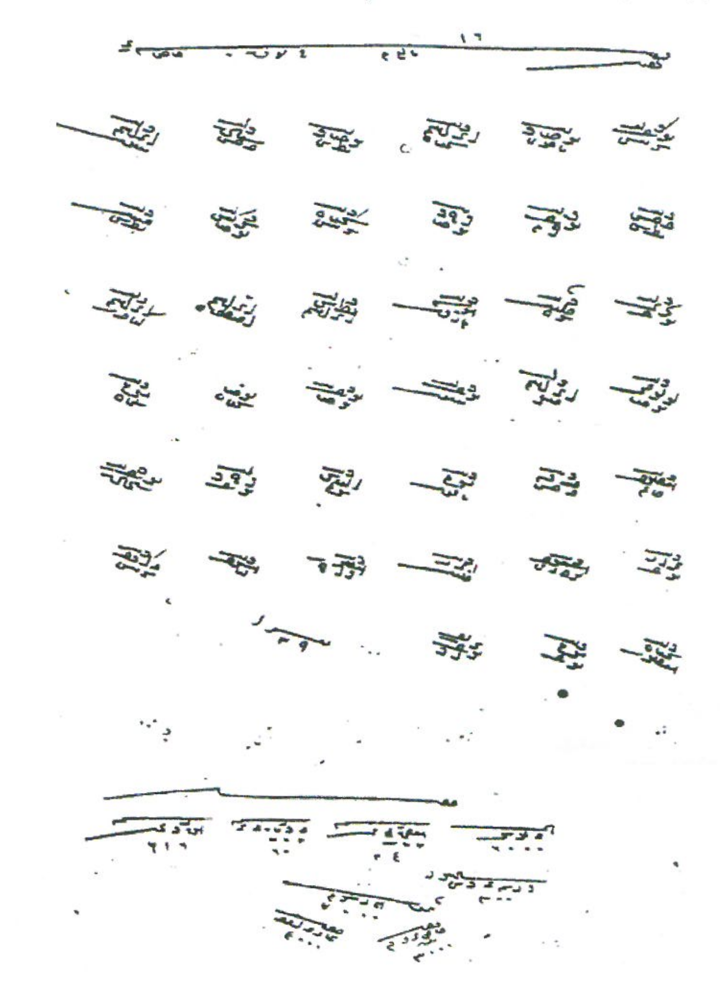


١. د. عصام خليفة، فلاحو ناحية البترون في القرن السادس عشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٩.
٢. كتبت لحفيت وليس لحفد. وأرفقت بمعلومة واحدة: تابعة ناحية جبيل.

والدفتر الثاني يحمل الرقم ١١٠٧ ويعود للعام ٩٦١ هـ أو ١٥٥٤م. وهو أيضاً دفتر مفصّل، يتناول نواحي ولاية طرابلس.
والمعلومات عن لحفد وردت في الصفحة ٦٢ والصفحة ٦٣[١]

١. كتبت لحفيت، وبعدها مباشرة ذكرت ثلاث معلومات:
ان لحفد تابعة لناحية جبيل.
رمز ضريبة الجزية على كل ذكر ناضج من نصارى القرية.
تحول القرية من التيمار – كما في الإحصاء السابق، إلى خاص شاهي.

الدفتر الثالث يحمل الرقم ٥١٣ ويعود للعام ٩٧٩ هـ أو ١٥٧١ م. وهو مفصّل لبعض نواحي لواء طرابلس. وقد وردت فيه المعلومات عن لحفد في الصفحتين ٨١ و ٨٢[١].



١. كتبت لحفيت، رقمها بين القرى والمزارع في ناحية جبيل ١٦، لحظ رمز ضريبة الجزية، وسجّل انها من الخاص. لكن في نهاية إحصاء القرية قسّم الحاصل بين خاص فقط وتيمار داود.

ما هي أهداف عملية المسح؟

هذه الأهداف كانت تظهر بوضوح في مقدمة التعليمات للمحررين (أو المسّاحين). لقد كانت تهدف، بحسب تأكيداتهم، إلى حماية الرعايا من التجاوزات التي يمكن أن يقوم بها العسكريون المحليّون – لذا كانت عملية المسح بمثابة الرقابة العامة – هذه هي السياسة المعلنة مع التركيز على حماية الرعايا، أي السكان الذين يدفعون الضرائب. لكن تم التركيز في الوقت نفسه على أن الهدف الأساسي الذي يسعى إليه المسح هو تسجيل كل مصادر الضريبة وجعلها في متناول اليد، ولكشف كل عمليات التهرب، ومراقبة كل أنواع الإعفاءات الضريبية من أجل تحقيق زيادة في العائدات العامة في النهاية.

وكانت نتائج المسح توضع في سجل مفصّل (دفتري مفصّل)[١].

وبحسب التعليمات المعطاة الى مفوض التحرير، كانت تتم عمليات التسجيل على النحو التالي: يعيّن السلطان مفوضاً كفوءاً، يختاره من بين العلماء أو الإداريين المحترمين الذين يتحلون بسمعة طيبة وخاصة فيما يتعلق بالعدالة والنزاهة، وذلك من خلال مستند خاص يخوله كل السلطات الضرورية، ويأمر الرعايا والرسميين المحليين بمن فيهم القاضي بإطاعته ومساعدته في عمله. تتضمن هذه الوثيقة وبالتفصيل، الإجراءات التي يجب اتباعها. ويبدأ المحرر تحقيقاته على الأرض، مقارناً الوضع الراهن بما يجده في دفاتر التحرير السابقة. ففي القرية مثلاً، يدعو كبار السن، والمسؤولين عن الأوقاف، والعسكر إلى الحضور أمامه مع كل الوثائق التي بين أيديهم[٢].

هكذا توضح هذه الدفاتر وضعية الأرض والسكان، وتحدد، حتى الإحصاء التالي، الوضعية الاجتماعية والمسؤولية الضريبية للأراضي، والأشخاص والمجموعات[٣].

لقد كان للمحرر سلطة الاستقصاء والتقرير في كل قضية خاصة خلال عملية المسح. وكان لقراره المسجل في دفتر التسجيل قوة القانون. وكان المحرر يضع مسودة قانون نامه للأقاليم الفرعية، مع فقرات حول كل الضرائب والقوانين في المسائل التي يقع عليها نزاع. وكانت قرارات القاضي فيما يتعلق بالمنازعات تعتمد على هذه القوانين كموجه أو كنص قانوني. وهكذا ضمنت هذه التشريعات إذاً العمل السليم للنظام المالي الريفي العثماني ككل[٤].

١. خليل اينالجيك، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة د. عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢١٣.
٢. خليل اينالجيك، المرجع السابق، ص ٢١٦.
٣. المرجع نفسه، ص ٢١٦.
٤. المرجع نفسه، ص ٢١٨–٢١٩.

هكذا حددت السجلات الرسمية لحفد على أنها وحدة أرض وجماعة ذات حدود واضحة من الأراضي المزروعة والمراعي، وعليها التزامات ضريبية شاملة (حاصل) محددة. ولقد تم تحديد الفلاح على أنه رجل ابن فلاح مسجل في السجلات الرسمية ويعيش فعلياً في القرية[1]. والواقع أن حدود لحفد – كغيرها من حدود القرى – كانت تعود إلى ما قبل الحقبة العثمانية بوقت طويل.

ثانياً – الواقع الديمغرافي للحفد في القرن ١٦

انطلاقاً من الإحصاءات التي عرضنا مضمونها يمكننا إيراد الملاحظات الأساسية التالية:

٢-١. بين الإحصاءين الأول والثاني

أ) زاد عدد الذكور الناضجين في الإحصاء الأول من ٢٨ ذكراً ناضجاً إلى ٤٨ ذكراً ناضجاً في الإحصاء الثاني. أي بنسبة ١٥,٦ بالألف سنوياً.

ب) عدد العازبين في الإحصاء الأول كان ٤ ذكور ناضجين أي ١٤٪ من العدد العام، بينما عدد العازبين في الإحصاء الثاني ٥ ذكور أي ١٠٪.

ج) عدد المتزوجين في الإحصاء الأول ٢٤ ذكراً ناضجاً أي ٨٥٪ من العدد العام، بينما عدد المتزوجين في الإحصاء الثاني ٤٣ ذكراً ناضجاً أي ٨٩٪ من العدد العام.

د) لم يلحظ الإحصاء الأول أسماء الذكور العازبين. بينما الإحصاء الثاني لحظ في آخر الإحصاء أسماء العازبين مشيراً تحتهم بحرف (م). وهم على التوالي: يوسف ولد جبرايل – بطرس ولد جرجس – يوسف ولد سركيس – يوسف ولد اصطفان – سركيس ولد يوسف.

هـ) العدد العام لنفوس لحفد في عام ١٥١٩ كان ٢٨ × ٦ = ١٦٨ نسمة. أما العدد العام للنفوس في نفس القرية عام ١٥٥٤ كان ٤٨ × ٦ = ٢٨٨ نسمة.

و) لا ذكر لأي لقب كمصطلح الريّس، كما نلاحظ في بعض القرى المارونية كحردين أو اهدن مثلاً.

١. المرجع نفسه، ص ٢٦٧.

ز) لا ذكر لضريبة الجزية في الإحصاء الأول، بينما لحظ الإحصاء الثاني ضريبة الجزية.

ح) كانت لحفد في الإحصاء الأول مقسمة إلى ثلاثة تيمارات:

– حصة تيمار أبو بكر مكي وشركاه: ٧٠٠ آقجة.
– حصة تيمار محمود برادر او ٢٤٠٠ آقجة.
– حصة تيمار (دون اسم) ٢٠٠٠ آقجة.

ط– في الإحصاء الثاني تحولت من التيمار إلى خاص شاهي.

٢-٢. بين الإحصاءين الثاني والثالث

أ) تراجع مجموع الذكور الناضجين في لحفد من ٤٨ عام ١٥٥٤ إلى ٣٩ عام ١٥٧١.

ب) لا وجود لعازبين في إحصاء ١٥٧١. وقد سجل الدفتر مجموع الذكور الناضجين تحت مصطلح نفراً.

ج) استمرت القرية ضمن الخاص.

د) استمر رقم الجزية كما كان في الإحصاء السابق (٨٩ آقجة)[1] على الذكر الناضج.

هـ) حصل تناقص في عدد الذكور الناضجين بين الإحصاءين بنسبة ١٢,١– سنوياً بالألف. لكن الزيادة السنوية بالألف بين الإحصاء الأول والإحصاء الثالث هي ٦,٤ بالألف.

و) عدد نفوس لحفد تبعاً لإحصاء ١٥٧١: ٣٩ × ٦ = ٢٣٤ نسمة.

٢-٣. مقارنات وتحليل

أ) إن المقارنة، في الزيادة السنوية بالألف في لحفد مع مثيلاتها في بعض النواحي اللبنانية الأخرى بين ١٥١٩ و ١٥٧١ توصلنا إلى الملاحظات التالية:

– الزيادة السنوية بالألف في ناحية الزاوية ١,٦ بالألف سنوياً.
– الزيادة السنوية بالألف في ناحية الكورة ٦,٦٨ بالألف سنوياً.
– الزيادة السنوية بالألف في ناحية بشري ٤,٢٤ بالألف سنوياً.

١. راجع بحثنا عن الجزية في كتابنا الضرائب العثمانية في القرن ١٦، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٨١ – ١٥٠.

– الزيادة السنوية بالألف في ناحية البترون ٢,٦٢ بالألف سنوياً.

ب) نسبة الزيادة الديمغرافية بالألف سنوياً في بكفيا بين ١٥٢٥ و ١٥٦٦ كانت ٩,٣٥ بالألف، وفي المحيدثة ٣٢,٢ بالألف.

ج) نسبة الزيادة بالألف سنوياً في برجه في نفس الفترة السابقة كانت ١٩,٩٥ بالألف في الربع الثاني من القرن ١٦، وكان هناك تراجع غير طبيعي حصل ما بين ١٥٥٠ – ١٥٦٦ حيث تراجع إلى ١٣,٨– بالألف.

د) في قرية حاقل المجاورة لقرية لحفد زاد عدد الذكور الناضجين ١٣,٩ بالألف سنوياً بين عامي ١٥١٩ و ١٥٥٤. وبين عام ١٥٥٤ وعام ١٥٧١ تراجعت نسبة الزيادة بالألف ١٢,٤– بالألف سنوياً. وهذا الوضع يشبه، على صعيد التناقص، ما حصل في لحفد. وهذا يعني أن ثمة عوامل متشابهة أدت إلى هذه النتيجة.

ثالثاً – ما هي العوامل التي أدت إلى هذه التحولات الديمغرافية؟

لا نستطيع الجزم بوجود سبب واحد لما حصل من تغيرات ديمغرافية في قرية لحفد. وهذه التغيرات تشبه إلى حد كبير ما حصل في غيرها من قرى في ناحية جبيل وفي غيرها من النواحي اللبنانية الأخرى.

ولكن قبل التطرق إلى مقاربة خلفيات هذه التغيرات علينا أن نتوقف عند بعض الملاحظات الأولية التي تساعدنا في دقة التحليل.

٣–١. ملاحظات أولية

– إن كبار المؤرخين الذين عمقوا البحث في الديمغرافية التاريخية[1] هم في طليعة الذين جعلوا من التاريخ علماً حقيقياً كما يجب أن يكون[2]. إن التاريخ، في معناه الحقيقي، هو الاستمارة العقلانية والمنهجية باتجاه الماضي[3].

١. أمثال Jacques Dupâquier المؤرخ الفرنسي.
٢. Pierre Chaunu, Pour l'histoire, Perrin, Paris, 1984, p216.
٣. المرجع السابق، ص ٢٥٧–٢٥٨.

– إن الديمغرافية التاريخية هي علم يرتكز بشكل رئيسي على الإحصاءات الرسمية وتفسير التغير الحاصل بين إحصاء وآخر. الإحصاء يتضمن معلومات مفصلة. ومنه نستخرج معلومات غير معروفة سابقاً.

– مقارنة الإحصاءات تدل على وجود تزايد أو تناقص في عدد الأفراد. والزيادة لا يمكن أن تحصل إلا عن طريقين فقط (في القرية موضوع الدرس).

– الولادات الجديدة.

– والهجرة إلى القرية.

والتناقص لا يمكن أن يحصل إلا عن طريقين:

– الوفيات.

– والهجرة من القرية[1].

والخصوبة السيئة يمكن أن تفسّر بصحة سيئة للأم أو بغذاء سيئ لها. وهذا الوضع يسمح بوفاة الأطفال عند الولادة[2].

– أهمية الديمغرافية التاريخية تنبع من أنها تعيد النظر بالتحليلات الماضية للوقائع التاريخية حيث تتم الاستفادة من مصادر جديدة وقديمة لا علاقة لها، ظاهرياً، بالديمغرافيا التاريخية. إنها علم غير سهل. فمن جهة تتضمن كل تعقيدات علم الديمغرافيا الحديثة. ومن جهة أخرى تنطوي على كل الثغرات وعوامل الشك التي تتصل بدقة التاريخ[3].

– الديمغرافية التاريخية تصف بشكل رئيسي آلية العمل وآلية النظام القديم. وهذا النظام الناشئ لا يمكن أن يكون علماً صافياً، منغلقاً على نفسه. إنه في كل آن يضع موضع التساؤل نظام التقاليد والقيم والعقائد الدينية والسلوك الجنسي، والتمثلات الجماعية والأنماط الثقافية التي تحدد في النظام القديم سلوك الجماعات تجاه الولادة، والزواج والموت[4]. وبهذا المعنى تبدو الديمغرافية التاريخية أفضل وأكثر من توصيف كمي للشعب الذي اندثر لا بل انها تحمل في مضمونها انتروبولوجيا المجتمعات التقليدية.

– إذا كان هدف المؤرخ دراسة الإنسان في الزمن، وهذا يفترض وجود وثائق، فإن دراسة الديمغرافية التاريخية يفترض وجود إحصاءات رسمية. والأزمات الديمغرافية يمكن أن تفسّر

١. Maria Luiza Marcilio, Hubert Charbonneau, Démographie historique, Pub. De la Sorbonne, Paris, p.133
٢. Jacques Le Goff et Pierre Nora, Faire de l'histoire, T2, Ed. Gallimard, Paris, 1974, p.81
٣. Maria Luiza المرجع السابق، ص ٧٥.
٤. Emmanuel Le Roy Ladurie, Parmi les historiens, Gallimard, Paris, 1983, p.58-59

خلفياتها ونتائجها بالاضطرابات الأمنية، بالأمراض والأوبئة أو بالمجاعة وانعكاساتها. وما هو خطير هو اجتماع العوامل الثلاثة معاً الأمر الذي يؤدي إلى كوارث حقيقية[1]. الأزمات الديمغرافية يمكن أن تنجم عن الحروب، عن المواسم السيئة، عن المجاعات، وعندما يقضي الجليد أو الجفاف على نبتات القمح الطرية. ولكي يتم فهم الأزمات يجدر بالمؤرخ أن يحسن الاطلاع على المستوى العادي للحياة أو ما يسمى الحياة العادية للناس: النظام الغذائي، السكن، اللباس، الوضع الصحي، وتقنيات التطبيب ومعالجة الأمراض. وهذه ظواهر تدخل كلها في مجال الديمغرافية التاريخية[2].

لقد أصبح من المسلم به، بشكل عام، أن التطور الديمغرافي في الريف، قبل الثورة الصناعية والزراعية، يرتبط بشكل واسع بالتطور الاقتصادي، وبشكل أخص بحركة أسعار الحبوب والغذاء بشكل أساسي.

- وبالنسبة للهجرة فقد لاحظ فرنان برودل أهمية حركة الهجرة المستمرة في حوض المتوسط بين الجبال والسهول والبحر أيضاً. وما لفت نظره أن الهجرة تحصل من الأماكن الأكثر كثافة بالسكن نحو أماكن تبدو أغنى بمواردها الطبيعية. وباستمرار لعبت الجبال – ومنها الجبال اللبنانية – دور الخزان البشري الذي لا ينضب.

٣–٢. الاضطرابات السياسية

إن الأوضاع السياسية والأمنية في ولاية طرابلس، إبان القرن السادس عشر، انتقلت من الهدوء النسبي إلى الاضطراب في النصف الثاني من ذلك القرن. ولا بد أن ناحية جبيل، ولحفد ضمنها، تأثرت بهذا الوضع.

يذكر الأب طوبيا الخويري الرعشيني[3]: «قد كان التضييق قاسياً على السكان ولا سيما في بلاد جبيل من حكام الشام وطرابلس الواحد تلو الآخر. ولوضع يدهم على مقدرات البلاد، جاؤوا بقبائل من التتر والتركمان من أطراف العراق وشمال تركستان، وعضدوهم بكل ما لديهم من قوة وعتاد، واصطفوهم لمصالحهم السياسية، ودسّوا بهم بين المواطنين فتألفت من بينهم عصابات عاثت بالبلاد فساداً. فلم يكن يهدأ السلب والنهب من ناحية حتى يكون الحريق والذبح

---

١. André Nouschi, Initiation aux sciences historiques, Nathan, Paris, 1993, p.178

٢. Nouschi، المرجع السابق، ص ١٨٠.

٣. في كتابه التحفة الخيرية في العائلة الخويرية، ١٥٤٥–١٩٥٤، طبع عام ١٩٥٤، ص ١٩–٢٠. وكذلك الأب يوحنا عبود، صفحات من تاريخ جاج الاجتماعي والاقتصادي والديني والعائلي، تحقيق رشيد عبود وجوزف السمراني، ٢٠٠٨، ص ٢٥٩.

من ناحية أخرى. وهكذا خسر المسيحيون معظم ما يملكونه في الجهات الشمالية بينما هم بخطر دائم. فصاروا يهاجرون أفواجاً وزرافات إلى جهات كسروان وبلاد الشوف حيث الأمن والطمأنينة بفضل حكم الأمراء المعنيين والعسافيين في أيامهم».

- وفي حكم سلطاني مرسل إلى أمير طرابلس وقاضيها في ١٠ ت١ ١٥٦٤م، ذكر لعريضة مرسلة إلى السلطة المركزية، فيها شكوى على القاضي عبد اللطيف الذي أمر بجمع ضرائب غير شرعية من خلال فرض «بارتين على كل شخص في البيت من بيوت الولاية المذكورة. وأخذ أراضي بعض الأشخاص قسراً...» وبسبب ذلك ثمة أمر بعزله من منصبه.[1]
- وفي حكم آخر مرسل إلى قاضي طرابلس، عام ١٥٦٧، إشارة إلى أن «أهالي ثمانين قرية في لوائه قد تشتتوا، فتعرضت هذه القرى للخراب»[2]. وفي ١٦ أيار ١٥٧١ ثمة حكم إلى قاضي طرابلس بوجود ظلم وتعدي على الرعايا وضرورة الاقتصاص ممن يتسبب بذلك[3].

وما يدل على الاضطراب الأمني قيام الجنود من طرابلس عام ١٥٦٧ بنهب دير قنوبين مقر البطاركة واستيلائهم على الأواني والثياب المقدسة ووضع أيديهم على سائمة الدير وعلى أملاكه بسبب طلب غرامة عن إنشاء الكنيسة الجديدة.[4]

وكان هذا الدير قد تعرض، عام ١٥٥٣، للتعدي على أملاكه من قبل شوباصي سنجق طرابلس[5]. وكان البطريرك موسى سعادة العكاري قد أرسل في شباط ١٥٤٢ إلى الحبر الأعظم رسالة أوردها الأباتي العنيسي في كتاب (البيّنات المارونية) (ص ٤٤–٤٦). ومما جاء فيها: «صحيح أننا أمسينا لفقرنا مستعبدين ومظلومين من الأشرار الذين يحيطون بنا من كل ناحية بحراً وبراً وهم الوثنيون...» ويلتمس المؤازرة الفعالة من روما لما «نحن فيه من فقر وجور واضطراب»[6].

وفي رسالة أخرى رفعها البطريرك موسى العكاري إلى البابا بيوس الرابع في سنة ١٥٦٤ حول أسباب هجرة الموارنة إلى قبرص «لأننا اضطررنا إلى هجر بلادنا حيث كان الأتراك مالكين ومستبدين»[7].

---

١. د. فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة. ج١، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥، ص ٢٤٩.

٢. المرجع السابق، ج٢، ٢٠٠٦، ص ٩١.

٣. المرجع السابق، ج٣، ٢٠٠٧، ص ١٩٢–١٩٣.

٤. الخوري ميخائيل غبرئيل الشبابي، تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية، المجلد الثاني، القسم الأول، المطبعة اللبنانية، بعبدا، ١٩٠٤، ص ٣٥٨.

٥. المرجع السابق، ص ٢٥٢.

٦. الأباتي بطرس فهد، بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن السادس عشر، المجموعة الأولى، توزيع لحد خاطر، ١٩٨٢، ص ٤١.

٧. الأباتي بطرس فهد، المرجع السابق، ص ٤٩.

وفي العريضة التي رفعها البطريرك نفسه لتهنئة البابا بيوس الخامس (٢٧ نيسان ١٥٦٦) يشير إلى «الاضطهادات التي نقاسيها والأشغال التي نقوم بها والاستعباد الذي نتعرض له مع الازدراء الذي لا يوصف...»[١].

وفي ١٤ نيسان ١٥٧٧ رفع البطريرك ميخايل الرزي إلى البابا غريغوريوس الـ ١٣ رسالة جاء فيها: « ... إن الموارد الكثيرة التي كانت تدخل ديرنا بقنوبين، قد عرّانا منها الأتراك بهجومهم الصاعق علينا ونهبوا كل ما تملك أيدينا من خيرات، فضلاً عن الإهانات التي ألحقوها بجمهورنا. ولذا أصبحنا في ضيقة شديدة. وهذا ما دفعنا الآن إلى أن نطلب منكم العون لنتمكن من القيام بحاجات مئة دير يجب الاهتمام بها لما أصابها من أضرار، وأصاب سكانها من ويلات واضطهادات. وكثير من الرهبان وضعت عليهم غرامات الأعناق بعد تحميلهم الاضطهاد. وهذا ما ملأ نفوسنا أسى وأدمى قلوبنا».[٢]

وفي نفس السياق ورد في رسالة أخرى للبطريرك ميخايل الرزي إلى البابا عام ١٥٧٨ ما يلي:

«... إنني لا أعرف كيف نستطيع أن نعيش في هذه الأحوال الصعبة، وأنا الذي كنت قبلاً قد تركت مركزي منتقلاً إلى مكان آمن، بسبب الاضطرابات والحروب...»[٣].

ومن رسالة أخرى للرزي إلى الكردينال كارّفا محامي الطائفة (مرسلة في تموز ١٥٧٨) توضيح: «أما الكتب المقدسة عن العهد القديم والجديد فليس لدينا منها كتاب البتة، بل بعض كتب سريانية قليلة وكتب عربية، لأن الكتب التي كانت لدينا من قبل نهبها الأتراك وحرقوها في عدة مناسبات...»[٤].

ويصف البطريرك الدويهي سنة ١٥٦٧ بأنها كانت «سنة ديقة من الأمم الغريبة»[٥].

إن الاضطرابات الأمنية ضمن المناطق والتعديات التي كانت حاصلة من قبل المسؤولين عن الأمن أنفسهم أدت إلى الهجرة والتهجير من جهة وإلى عدم الاستقرار وتالياً إلى وجود ضحايا في مختلف النواحي ومن ضمنها ناحية جبيل. ومن الطبيعي أن يتأثر الوضع الديمغرافي في لحفد سلبياً بهذه المعطيات.

---

١. المرجع السابق، ص ٥١.
٢. الأباتي بطرس فهد، المرجع السابق، ص ٧١.
٣. الأباتي بطرس فهد، المرجع السابق، ص ٧٣–٧٤.
٤. المرجع نفسه، ص ٨١.
٥. تاريخ الأزمنة للبطريرك اسطفان الدويهي، تحقيق الأباتي بطرس فهد، جونية، ١٩٧٦، ص ٤٣١.

٣-٣. عامل المناخ

كان للتغيرات المناخية التأثير الواضح على التحولات الديمغرافية. إن هذه التغيرات تؤثر على الأشجار، ومجاري المياه ونمو القمح وأشجار الزيتون والكروم والحيوانات وكذلك البشر[١]. وكل مناخ هو عبارة عن نظام معقد شديد التعقيد، ولا يمكن أن تحدث إشارة على حياة النبات والحيوان والبشر إلا سالكة سبلاً كثيرة الانحناءات والالتواءات، تتنوع بحسب الأماكن والزراعات والفصول.

وفي الثلث الأخير من القرن السادس عشر طرح بعض الباحثين قضية التاريخ المناخي لشرق المتوسط خلال هذه الفترة، وفي الوقت الحالي لا توجد بيانات منشورة عن حلقات جذوع الأشجار، على الأقل في شكل يسهل على غير المتخصصين الوصول إليه. وعليه فإن الوقت لم يحن بعد لدراسة النتائج الاجتماعية المحتملة للتغيرات المناخية (المفترضة) بيد أن السؤال يظل مطروحاً باعتباره تحدياً للمستقبل[٢].

يذكر الدويهي أنه في سنة ١٥٤٠ «دخلت الشتوية دافية» أي أن شتاء ١٥٣٩–١٥٤٠ كان ماحطاً. حتى أنه «في آخر كانون الأول زهّر الورد الجوري في كفور العربه والبنفسج والنرجس في الأرض الفوقا» ولم تمطر حتى أواخر نيسان ١٥٤٠ حيث تساقط ثلج كثيف. وجاءَت الضربة على الكرم والزيتون وبقية الفاكية احرقتها ووصلت قلة الزيت إلى مايتين وخمسين وأكثر[٣].

وفي شتاء ١٥٤٠–١٥٤١ وقع أيضاً ثلج عظيم يقول الشيوخ انهم لم يروا مثله[٤].

وفي سنة ١٥٥٧[٥] «جاء سيل عظيم حتى لم يبقِ نهر قديشا جسراً عامراً من أعلى الجبل إلى البحر. وفي الثامن عشر من شهر آذار عصفت ريح شديدة وجاءت السماء بثلج كثير حتى بلغ في الوادي ارتفاع قامة إنسان وأحرق توت القز والكرم مع سائر الفاكهة».

---

١. فرنان برودل، الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية، ج١، ترجمة مصطفى ماهر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٦.
٢. خليل اينالجيك ودونالد كواترت، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، دار المدار الإسلامية، ج٢، ٢٠٠٧، ص ٨٥–٨٦.
٣. البطريرك اسطفانوس الدويهي، تاريخ الأزمنة، تحقيق الأب فردينان توتل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥١، ص ٢٥٤. وطبعة فهد، المرجع السابق، ص ٤١٣–٤١٤.
٤. الأباتي فهد، المرجع السابق، ص ٤١٤.
٥. مار اسطفان الدويهي، تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق رشيد الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٠، ص ١٦٧.

ويشير أحد الأحكام السلطانية المرسلة إلى والي الشام (٨ شباط ١٥٧٢) إلى أن «ولاية الشام ساد فيها قحط شديد»[١].

إن بلدة لحفد الفقيرة نسبياً بالينابيع لا شك أنها تأثرت بالتحولات المناخية. ومن المؤكد أن النبات والحيوان والإنسان تتأثر بشكل عميق بالتحولات المناخية[٢] وذلك على المدى الطويل. ولا شك أن هذا الوضع انعكس على الوضع الديمغرافي.

٣-٤. المجاعة والغلاء

تعتبر المجاعات المتكررة جزءاً من النظام البيولوجي للبشر، وبنية من بنيات حياتهم اليومية. وكانت ألوان الغلاء، وصنوف القحط مألوفة في المشرق العثماني. فعندما تكون المحاصيل من الحبوب ضعيفة، وعندما يتوالى محصولان رديئان مرتين متتاليتين كانت تحدث الكوارث.[٣]

وإذا حدث مرة أن أخرجت الأرض محصولاً رديئاً، فقد يستطيع الناس احتمال الوضع على نحو ما. أما إذا ساء المحصول مرتين متتاليتين، فإن الأسعار تلتهب، ويحل القحط. والقحط لا يأتي أبداً وحده وإنما يفتح الباب على مصراعيه أمام الأوبئة التي تسير طبقاً لإيقاعاتها الخاصة.[٤]

ارتفعت أسعار القمح والخبز وسائر الحبوب والمواد الغذائية، ما بين ١٥١٣ وعام ١٥٢٦ ما يقارب ٢٧٥٪ ويعيد الدويهي أسباب هذه الغلاء إلى الجراد الذي قدم إلى البلاد في ربيع ١٥٢٦[٥]

وعام ١٥٥٧ عرفت المنطقة الممتدة من فلسطين حتى انطاكية ارتفاعاً شديداً في الأسعار. ويعيد الدويهي أسباب هذا الغلاء إلى الحروب وعمليات الغزو والنهب والقتل التي مارستها شعوب «الكورج» في المنطقة وما رافقها من حالات ذعر وعدم استقرار[٦]. وعلى سبيل المثال فقد زاد سعر قلة الزيت بنسبة ١٢٦,٦٪ بين أوائل القرن السادس عشر وأواخره.[٧]

---

١. فاضل بيات، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٨٩.
٢. Fernand Braudel, Les mémoires de la Méditerranée, Ed. de FAllois, Paris, 1998, p.43 وعن المناخ وتأثيره يقول برودل (ص ٤٢ من المرجع السابق):
Dans ce passé au ralenti, un seul acteur violent, pour le moins dominateur, capable de tout remettre en cause: le climat
٣. فرنان برودل، الحضارة المادية، ج١، المرجع السابق، ص ٨٠.
٤. المرجع السابق، ص ٨٧.
٥. تاريخ الأزمنة، تحقيق الأباتي فهد، المرجع السابق، ص ٤٠٦. وكذلك راجع فادي توا، المناخ والأسعار والأمراض في جبل لبنان وبعض المناطق المجاورة من خلال حوليات بعض المؤرخين، رسالة ديبلوم أعدت بإشراف د. عصام خليفة في كلية الآداب (الفرع ٢) - الجامعة اللبنانية، ١٩٩٢، ص ٢٠٩.
٦. فادي توا، المرجع السابق، ص ٢٠٩.
٧. المرجع السابق، ص ٢١١.

ويبدو أن تصاعد الغلاء في شرق المتوسط، في المرحلة موضوع الدرس، بحسب حسابات المؤرخ التركي عمر لطفي برقان وصلت إلى ارتفاع بنسبة ٧٩,٩٧ بالمئة بالأسعار الاسمية للمواد الغذائية (ما بين عامي ١٤٨٩ و ١٥٧٣).[١]

وعلى صعيد النقد العثماني واجه فترة عدم استقرار قلس، بعد تخفيضات أوزان العملات عام ١٥٨٥-١٥٨٦، حيث خسرت الآقجة ٤٤ بالمئة من محتواها الفضي الذي توالى انخفاضه لاحقاً.[٢]

وهذا الاضطراب المالي انعكس على كل المستويات السياسية والعسكرية (ثورات الانكشارية) وعلى المستوى الديمغرافي.

ولقد أبرز خليل ساحلي اوغلي الأزمة على صعيد موازنات الدولة في التراجع الحاصل مثلاً بين واردات ١٥٤٦-١٥٤٧ (٢٤١,٧١١,٨٣١ آقجة) وواردات ١٥٦٦-١٥٦٧ (١٨٢,٠٢٢,٤٠٠ آقجة). وكذلك أبرز تراجع عدد السكان في مختلف ولايات المشرق العربي بين النصف الأول من القرن السادس عشر والثلث الأخير من هذا القرن.[٣]

والوضع الديمغرافي لبلدة لحفد يجب أن يفهم في هذا السياق.

٣-٥. الأمراض

يكاد يتفق أغلب الباحثين على الربط بين المجاعة وتفشي الأمراض وبخاصة مرض الطاعون. إن غلاء السلع الغذائية، أو بالأحرى قدرتها، تؤدي إلى سوء التغذية. وبذلك تصبح الأجسام الضعيفة أقل قدرة على مقاومة الأمراض[٤]. وإذا حدث مرة أن أخرجت الأرض محصولاً رديئاً، فقد يستطيع الناس احتمال الوضع على نحو ما. أما إذا ساء المحصول مرتين متتاليتين،

---

١. شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٥، ص ٢٣٠-٢٣١.
٢. المرجع السابق، ص ٢٣٢. ويذكر برطان أن زيادة الأسعار للسلع الغذائية بين ١٤٨٩-١٦١٦ قد تصاعدت من ١٠٠ إلى ٤٣٤,٤٪ بين هذين التاريخين. مع العلم أن العملة الذهبية العثمانية لم تتزايد، في هذه الفترة، إلا من ٥٠ إلى ١٢٠ آقجة، أي من مئة إلى ٢٤٠٪.
٣. خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، استانبول، ٢٠٠٠، لا سيما من ص ٥٥ إلى ص ٨٩. وكذلك راجع دراسته في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد ١ و ٢، ك٢ ١٩٩٠، ص ١٦١.
٤. Daniel Panzac, La peste dans l'Empire Ottoman (1700-1850), Ed. Peeters, Louvain, 1985, p.45

فإن الأسعار تلتهب، ويحل القحط، والقحط لا يأتي أبداً وحده: فما يأتي حتى يفتح الباب على مصراعيه أمام الأوبئة. وأولها الطاعون.[1]

وهنالك أمراض أخرى كالدفتريا، والكوليرا الصغيرة Cholérine، الحمى التيفودية، الحكة Picotte، والجدري، والحمى القرمزية، والحدبة bosse، والديندو dendo، وجرب التاك tac أو الهاريون harion، وشوطة الشباب أو الداء الساخن trousse gallant ou mal chaud أو السعال الديكي، ونزلات البرد grippe والانفلونزا...[2] إضافة إلى السل والصرع والرهقان والحمى الشوكية، والروماتيزم وحصوة الكلي، وحصوة المثانة.

إذا كان مناخ القرى في جبل لبنان عموماً، وتوفر ينابيع المياه، لا تتسبب بتفشي الأمراض والأوبئة بشكل واسع، فقد لحظ في منتصف القرن السادس عشر (بالضبط في منتصف الخمسينات) انتشار مرض الطاعون في قرى جبل لبنان، وعلى الأرجح أن لحفد تضررت من هذا الوباء.[3] ويتوقف برودل عند الطاعون الذي بدأ في ربيع ١٥٦٦ واستمر حتى مجيء الشتاء وانتشار التيفوس. ويضيف برودل أن مدن المشرق كانت الأكثر تعرضاً للطاعون في القرن السادس عشر.[4]

في هذا الإطار يمكن وضع لحفد. ففي النصف الأول من القرن السادس عشر تصاعد وضعها الديمغرافي بشكل لافت، لكن بين ١٥٥٤ وعام ١٥٧١ حصل تراجع غير طبيعي وعلى الأرجح أن هذه البلدة تعرضت لعدة أحداث يمكن أن نذكرها على سبيل الترجيح والافتراض:

- ارتفاع في وفيات الأطفال. وتعرض النساء لخطر الموت نتيجة للحمل المتكرر.
- حصول مجاعات وسوء تغذية وأوبئة.
- حصول هجرات واسعة للعائلات ليس فقط بسبب العوامل الاقتصادية، وإنما لأسباب أخرى مرجحة (هجرة الذين انتسبوا للمذهب اليعقوبي بضغط محتمل من الأكثرية المارونية في البلدة).

١. فرنان برودل، الحضارة المادية، المرجع السابق، ص ٨٧.

٢. فرنان برودل، المرجع السابق، ص ٩٠. وكذلك J. Ruffié, J.C. Sournia, Les épidémies dans l'histoire de l'homme, Flammarion, Paris, 1984

٣. عصام خليفة، لبنان في القرن السادس عشر أوقاف وبلدات، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٢٧، نقلاً عن الأب سامي خوري.

٤. المرجع السابق، ص ١٢٧.

رابعاً - العازبون والمتزوجون

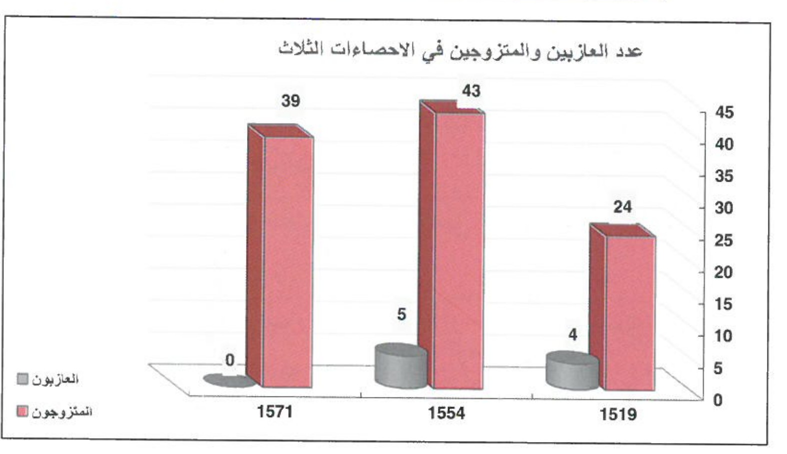
- أبرز الإحصاء الأول وجود أربعة ذكور ناضجين عازبين في لحفد. أي ما نسبته ١٤٪ من العدد العام للواردين في الإحصاء. ولم يلحظ الإحصاء أية إشارة إلى أسماء هؤلاء.
- في إحصاء ١٥٥٤ كان عدد العازبين خمسة، أي ما نسبته ١٠٪ من مجموع أسماء الذكور الناضجين.
- أسماء الذكور العازبين ذكروا في آخر أسماء إحصاء البلدة وهم على التوالي: يوسف ولد جبرايل، بطرس ولد جرجس، يوسف ولد سركيس، يوسف ولد اصطفان، سركيس ولد يوسف.
- لا وجود للعازبين في إحصاء ١٥٧١. لكن ما يجب ذكره أن الدفتر استعمل مصطلح (نفراً) – بدل الخانة للإشارة إلى المتزوجين.
- يجدر بنا أن نتوقف عند ملاحظتين واحدة تتعلق بسن الزواج والثانية تشير إلى احتمال وفيات الأطفال:

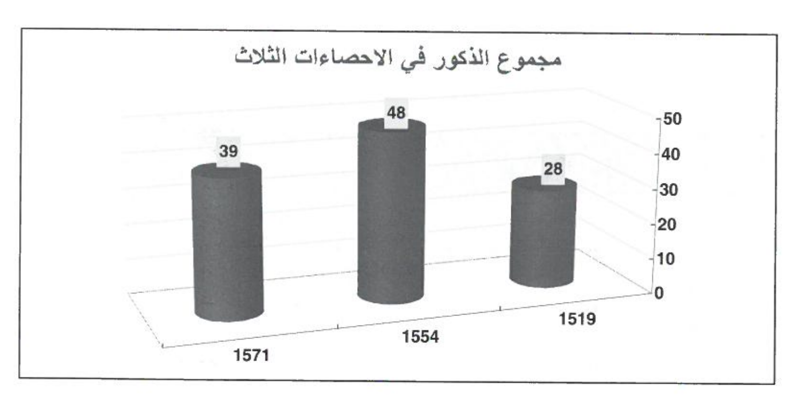
أ) فقد ورد في مقررات المجمع الماروني الأول – أو مجمع جبل لبنان الأول – (المنعقد عام ١٥٩٦): «١– سر العمادة ضروري جداً لكل أحد لاجل الخلاص. وواجب انه يعطا عاجلاً للصغار ولا يتأخر لبعد عشرة أيام أم ثاني عشر يوم. ويكون عند الكاهن الذي يعمد (كتاباً فيه مكتوبين) أسامي المعمودين والعراريب.»[1]

١. Mgr Joseph Feghali, Histoire du droit de l'Eglise Maronite, T1, Paris, 1962, p.213 والجدير أن «العراريب» تعني العرابين.

٢-١ عدد الذكور الناضجين في لحفد من خلال ثلاثة احصاءات عثمانية احصاءات (١٥١٩ ؛ ١٥٥٤ ، ١٥٧١)

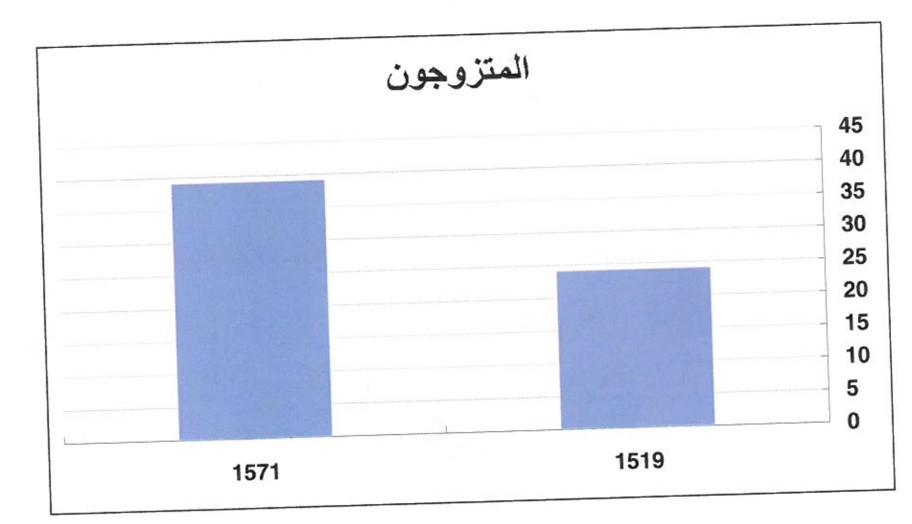
سنة الاحصاء	1519	1554	1571
العازبون	4	5	–
%	14%	10%	–
المتزوجون	24	43	39
%	85%	89%	100%
المجموع	28	48	39





٢-٢ عدد العازبين والمتزوجين

سنة الاحصاء	1519	1571
العازبون	4	–
المتزوجون	24	39



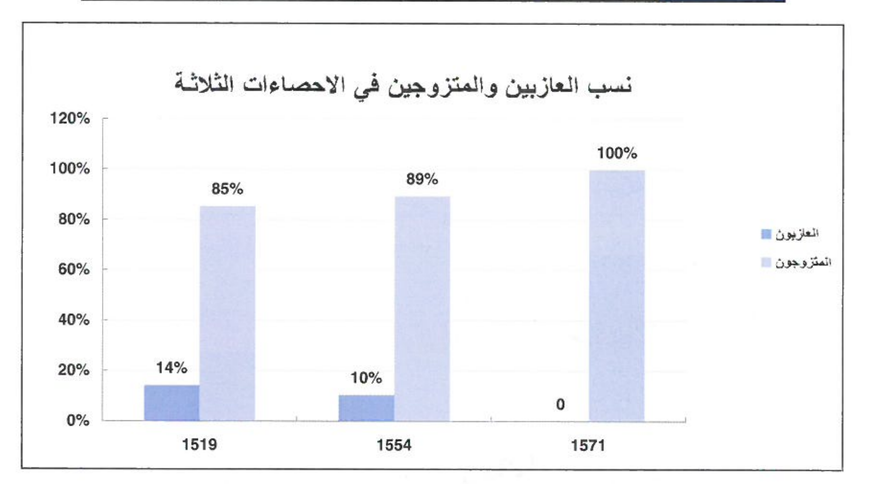
٢-٣ عدد نفوس لحفد في القرن ١٦ من خلال ثلاثة إحصاءات عثمانية*
(١٥١٩ ، ١٥٥٤ ، ١٥٧١)

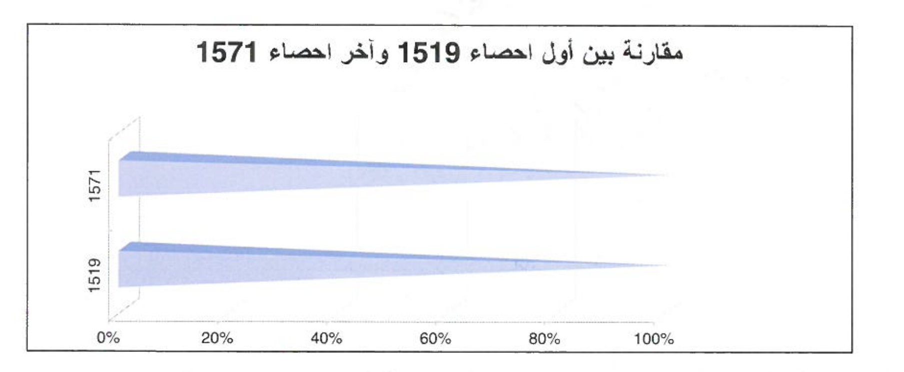
سنة الاحصاء	العدد الاجمالي للنفوس		(5)
1519	28 X 6	168	141
1554	48 X 6	288	241
1571	39 X 6	234	195

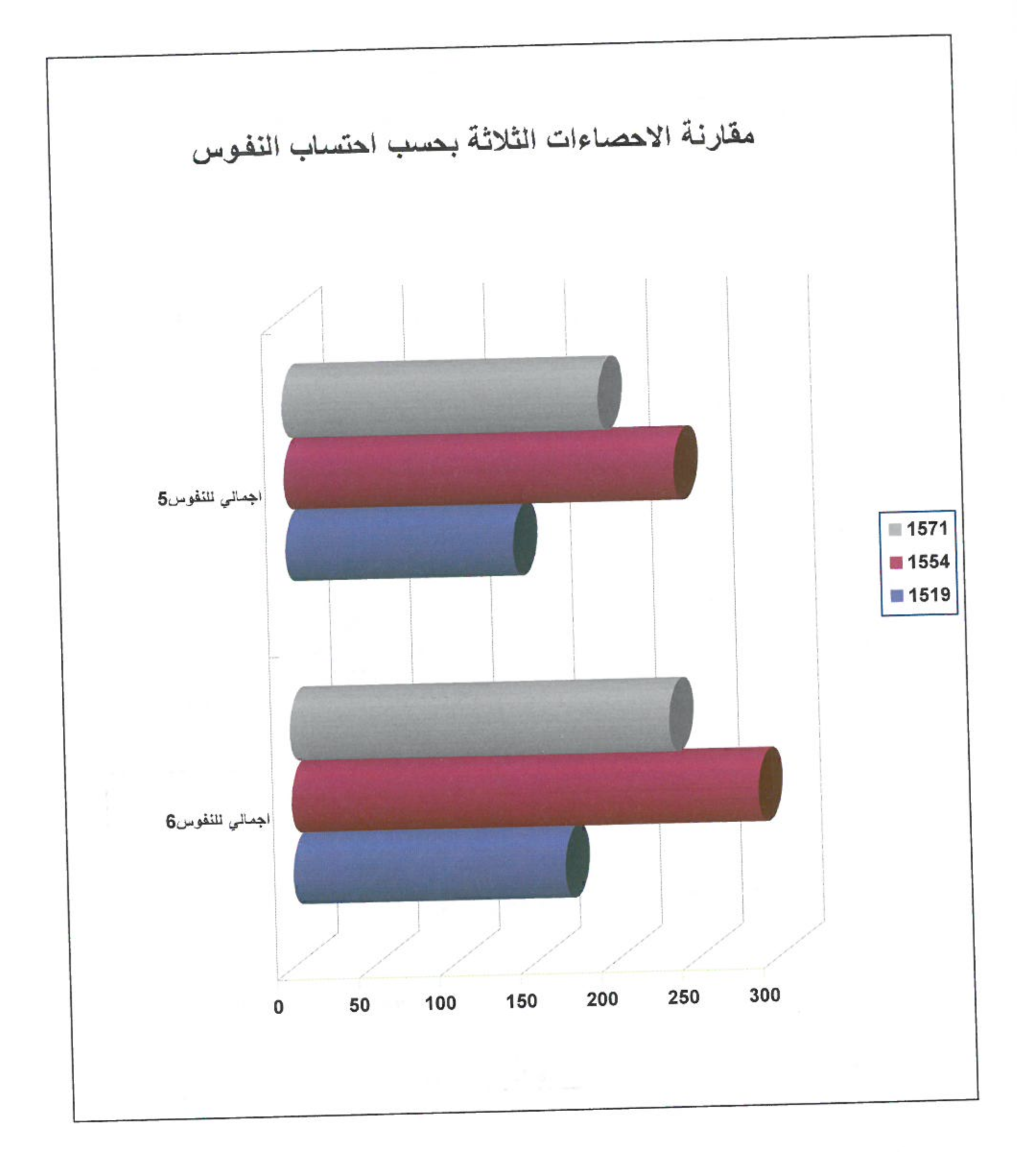
* يمكن أيضاً ضرب عدد الذكور الناضجين بالرقم ٥

٢–٤ نسب العازبين والمتزوجين

سنة الاحصاء	1519	1554	1571
العازبون	14%	10%	-
المتزوجون	85%	89%	100%







وما يلفت في سن الزواج ورد في مقررات المجمع نفسه:

«١٣. الزاجه ما تصير انكان ما العريس ما يكون ابن اربعة عشر سنه والعروس بنت اثني عشر سنه: لكن قبل هذا الزمان يقدر يصير وعد وخطبة.[١]»

وربما كان هناك تزاوج بين المنتمين إلى مذاهب متنوعة بما فيها بين أهالي لحفد اليعاقبة والموارنة. من هنا جاء في مقررات ذاك المجمع:

«١٥. غير لايقاً جداً الحق هو ما سمعنا انه صار من بعض ناس الذين يزوجوا بناتهم للهراطقة وللمنفصخين عن الكنيسة يتحظروا الاساقفة حتى ابدا هذا لا يعود يصير».[٢]

وقد أكد المجمع على دور كاهن الرعية في عملية الزواج وضرورة تسجيل وقائع ذلك:

«١٤. قدام كاهن الرعية المختص والشهود يعقدون كلهم الجازه ويكون مع الكاهن المذكور كتاباً يكتب فيه اسامي المتزوجين والشهود والموضوع واليوم: وأيضاً بثلاثة أيام أعياد متصلة بشهر الزواج المزمع بالكنيسة في القداس»[٣].

يبقى أن نشير أن هذا المجمع نفسه قرر مراقبة الكتب الدينية للحد من تأثير الهراطقة «والمنفصخين». ولحفد معنية قبل غيرها بهذا القرار:

«٢٠. لأجل أنها مضرة عظيمة تكون (لأنفس الساذجين إذا كانوا) في أياديهم كتب الهراطقة والمنفصخين بحرص عظيم واجب تفتيشهم: وعند البطرك موضع يتسكر ينحفظون ولا تعطا قرايتهم إلا الفاهمين ومعلمين علم اللاهوت: الذين يستطيعوا يفرقون بين الحق والطغيان».[٤]

على صعيد آخر يمكننا مقارنة نسبة العازبين والمتزوجين في لحفد ببعض النسب في قرى أخرى ونواحي متفرقة:

- في حاقل لا عازبين في الإحصاءَين الأول والثالث. بينما نسبة العازبين في إحصاء ١٥٥٤ كان ٢٢,٩٢٪.
- في قرية المحيدثة لا وجود لعازبين في الإحصاءات الثلاثة (١٥٢٥، ١٥٥٠، ١٥٦٦).

١. المونسنيور جوزف فغالي، المرجع السابق، ص ٢١٦.
٢. المرجع نفسه، ص ٢١٦.
٣. المرجع نفسه، ص ٢١٦.
٤. المرجع نفسه، ص ٢١٧.

- في الإحصاء الأول (١٥٢٥) ثمة ٩,٧٦٪ من ذكور بكفيا الناضجين عازبين، ولا عازبين في الإحصاءَين الثاني والثالث.
- في إحصاء عام ١٥١٩ كان عدد العازبين ١٤,٠٨٪ في ناحية الزاوية، ٢١,٨٧٪ في مدينة طرابلس، ١٧,٦٩٪ في ناحية الكورة، ١٢,٩٣٪ في ناحية بشري، ١٣,٦٢٪ في ناحية البترون.

وانطلاقاً من المقارنة يمكن اعتبار نسب العازبين والمتزوجين في لحفد أقرب إلى النسب الموجودة في بشري والبترون والزاوية.

خامساً - الانتماء الديني لأهالي لحفد وقراءة في الأسماء

تذكر المصادر المختلفة قبيل وأثناء الفترة موضوع الدراسة أن أهالي لحفد، في أغلبيتهم، لم يكونوا موارنة فحسب. بل كانت بلدتهم مركزاً للبطريركية المارونية في بعض الأحيان[١]. حتى أن البلدة كانت مركزاً لمطرانية[٢] مارونية. لكن تبرز بعض المصادر الأخرى أن لحفد لم يكن فيها يعاقبة فحسب بل كان فيها مدرسة للسريان اليعاقبة.[٣]

ويبدو أن المد اليعقوبي استقطب المزيد من أهالي لحفد أثناء غياب ابن القلاعي عشرين سنة عن قريته، إبان سفره إلى روما. من هنا كتابته القوية عند عودته إلى جرجس ابن الرامي الكاهن الماروني في لحفد والذي تحول إلى اليعقوبية[٤]. وفي زجليته (مديحة على جبل لبنان) بعد مقاطع هامة يذكر فيها دور بلدته في تاريخ الموارنة، يعترف بأنه يخجل

١. Ray Jabre – Mouawad, Lettres au Mont-Liban d'Ibn Al-Qita'I (XVème siècle), Geuthner, Paris, 2001, p.27 ما بين القرنين ١١ و١٥ كان مقر البطريركية المارونية يتنقل ما بين يانوح، لحفد، ميفوق، كفرحي، كفيفان، حردين، والكفر. وهناك بطريرك من لحفد هو يوحنا (١١٥١–١١٧٣). وقد سكن في دير مار الياس، في قريته، ومن ثم في دير السّيدة تحت هابيل. ويذكر الدويهي أن هذا البطريرك رسم أربعة مطارنة سكنوا معه في لحفد (في دير مار حوشب، ودير مار سمعان، ودير مار اليشع ودير السّيدة).
٢. منهم المطران يعقوب (١٤٠٢)، المرجع السابق، ص ٢٢، وص ٣٣.
٣. المرجع نفسه، ص ٥١.
٤. د. راي جبر، المرجع السابق، ص ٦٩ نقلاً عن الدويهي في مؤلفه رد التهم، ص ٤٢٢. جاء في رسالة ابن القلاعي الى ابن الرامي: ... لانكم كنتم منا وأنكرتمونا. ويحل في ناموسنا رجمكم وإحراقكم. وتقولون أنكم موارنة ولستم كذلك بل لأجلكم اشتعل غضب الله في بلادنا وأحرق الأخضر واليابس... لأنكم ألقيتم السجس في بلادهم (الموارنة) وأقلقتم القلوب الصافية. (الشبابي، تاريخ الكنيسة المارونية، ج٢، قسم ١، ص ٣٣٥–٣٣٧).

من الانتماء إليها[1]. وكذلك بعث برسالة إلى المطران داود اليعقوبي من لحفد مؤرخة بتاريخ ٢٣ ك١ ١٤٩٩. وكذلك بعث برسالة إلى جرجس ابن بشارة بتاريخ ٥ آب ١٤٩٥ أوردها الدويهي في رد التهم. ويبدو أن اللحفدي ساميا هو الكاهن اليعقوبي في لحفد والذي يطالب ابن القلاعي بعدم اتباعه. ويبدو أن هذا الكاهن كان له نفوذ وسطوة في سائر مناطق جبل لبنان.[2]

وما نستطيع استنتاجه من الإحصاءات العثمانية لا يوضح لنا من هم الموارنة ومن هم اليعاقبة في لحفد، ولكن ما نرجحه أن عدد اليعاقبة لم يكن قليلاً في النصف الأول من القرن السادس عشر، وأن هذا العدد تراجع في النصف الثاني من هذا القرن.[3]

أما على صعيد الأسماء فيمكننا إيراد الملاحظات التالية:

١. اسم يوسف كان الأكثر تردداً في الإحصاءات الثلاثة: ٦ مرات في إحصاء ١٥١٩ أو ما نسبته ١١,٣٢٪ من مجموع الأسماء. و١٧ مرة في إحصاء ١٥٥٤ أو ما نسبته ١٨,٢٨٪ من الذكور الناضجين. و١٠ مرات في إحصاء ١٥٧١ أو ما نسبته ١٣,٣٣٪.

٢. بعده يأتي اسما يوحنا وجريس في الإحصاءَين الأولين وإبراهيم ويوحنا في الإحصاء الثالث.

٣. وهناك أهمية لأسماء صدقة وسمعان ويعقوب وسركيس وبطرس وسليمان في الإحصاءات الثلاثة.

٤. ورد أسما ضو وسعادة في الإحصاء الأول، وبقي اسم سعادة وغاب اسم ضو في الإحصاء الثاني، ثم تردد اسم سعادة ثلاث مرات واسم ضو مرة واحدة في الإحصاء الثالث.

---

١. قرأ لي، حروب المقدمين، ص ٦٤. ويذكر الرحالة دنديني: «وقد أخبرني بعضهم أن اليعاقبة أدخلوا من كتبهم إلى بلاد الموارنة، من زمن ليس ببعيد، ما يقارب خمسين حمل بغل». الخوري ميخائيل الرجي، المشرق، السنة ٣٣، ١ ت١-ك١ ١٩٣٥، ص ٤٨٥.

٢. راي جبر، المرجع السابق، ص ١٣٨. ويبدو أن رسالة ابن القلاعي إلى أهالي لحفد قد ركزت، في جزء منها، على سميا ورفيقه اليعقوبيان وضرورة تجنبهما. ويأمرهم أن لا يلتفتوا إليهما ولا يصدقوهما.
غبرئيل الشبابي، الكنيسة الانطاكية، ج٢، قسم ١، بعبدا، ١٩٠٤، ص ٣٣٤.

٣. رجحت لي الباحثة راي جبر ان التوزع المذهبي في لحفد كان مناصفة تقريباً بين الموارنة واليعاقبة.

٢–٥ اسماء الاحصاء الاول

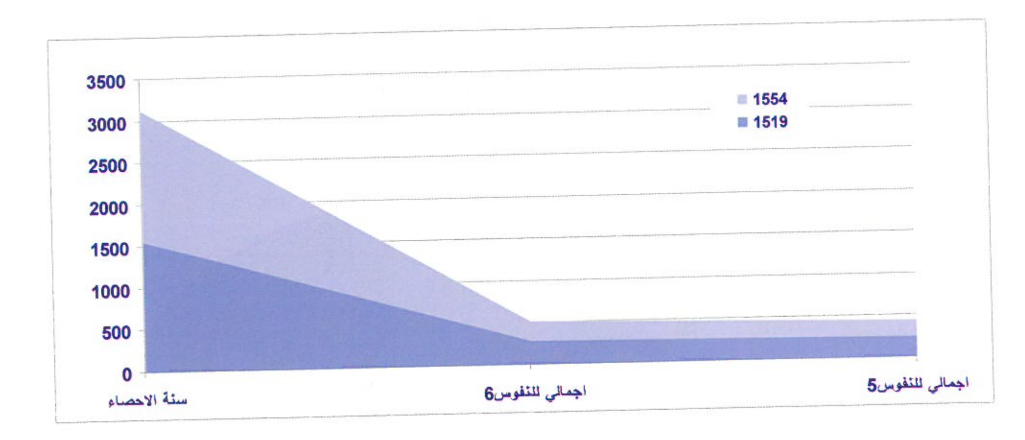
الاسم	العدد	النسبة
يوسف	6	11.32%
يوحنا	5	9.43%
جرجس	4	7.55%
صدقة	4	7.55%
سمعان	3	5.66%
سليمان	3	5.66%
بطرس	2	3.77%
ابراهيم	2	3.77%
موسى	2	3.77%
يعقوب	2	3.77%
ملك صادق	2	3.77%
جبيل	1	1.89%
أيوب	1	1.89%
سركيس	1	1.89%
جبر	1	1.89%
سعادة	1	1.89%
توما	1	1.89%
ضو	1	1.89%
أيليا	1	1.89%
يونان	1	1.89%
بسام	1	1.89%
تودروس	1	1.89%
اصطفان	1	1.89%
غيلان	1	1.89%
راعي	1	1.89%
عيسى	1	1.89%
جبرائيل	1	1.89%
قسيس	1	1.89%
دانيال	1	1.89%
المجموع	**53**	**100.00%**

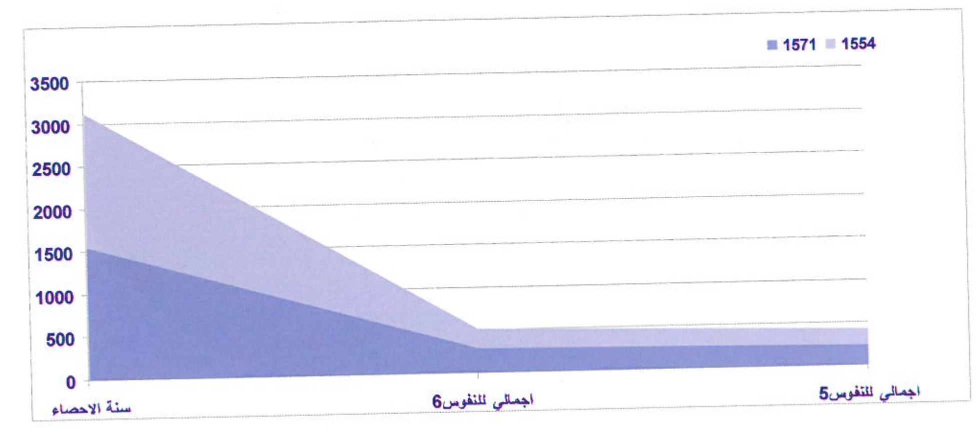
٢–٦ اسماء الاحصاء الثاني

الاسم	العدد	النسبة
يوسف	17	18.28%
يحنا	11	11.83%
جريس	8	8.60%
يعقوب	7	7.53%
سمعان	5	5.38%
سركيس	5	5.38%
بطرس	4	4.30%
ابراهيم	4	4.30%
سليمان	3	3.23%
موسى	3	3.23%
هارون	3	3.23%
تودروس	2	2.15%
يونان	2	2.15%
اليا	2	2.15%
فرح	2	2.15%
توما	2	2.15%
باخوس	1	1.08%
ميلاد	1	1.08%
سعادة	1	1.08%
عبيد	1	1.08%
عيسى	1	1.08%
هلون	1	1.08%
عزر	1	1.08%
دانيال	1	1.08%
صالح	1	1.08%
مسعود	1	1.08%
صدقة	1	1.08%
جبرائيل	1	1.08%
اصطفان	1	1.08%
المجموع	**93**	100.00%

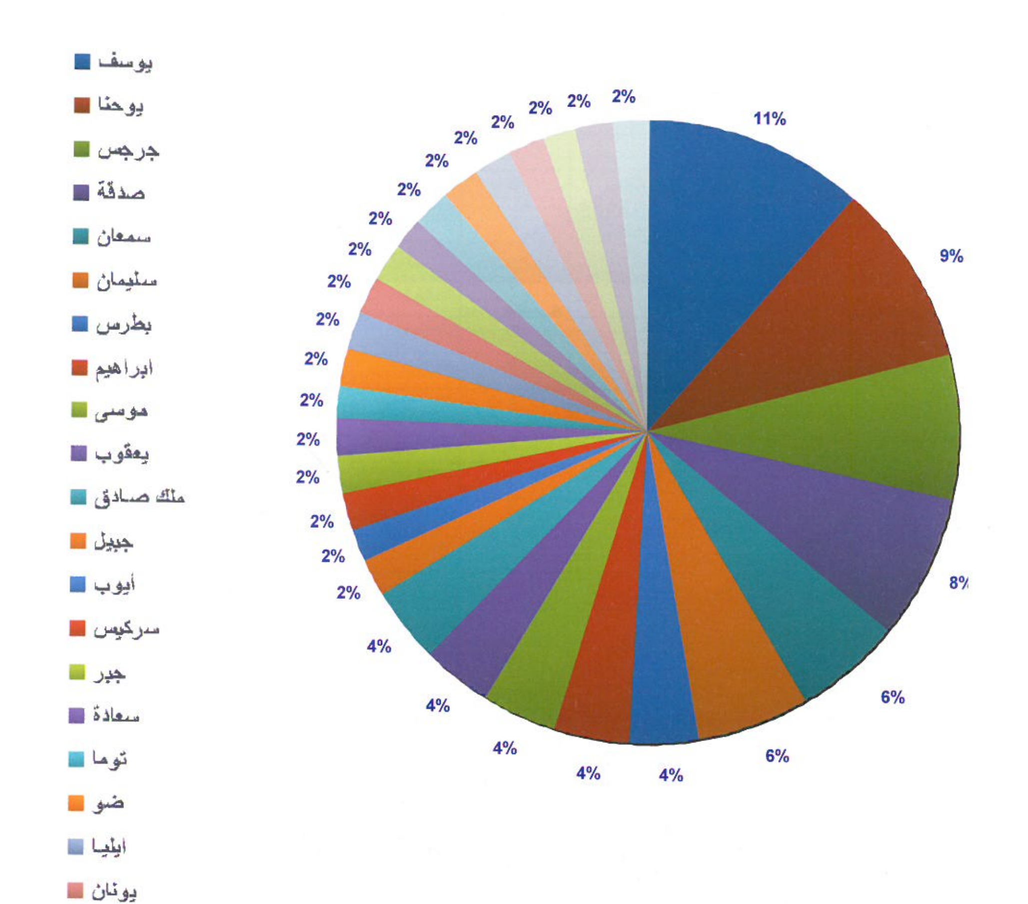
٢–٥ اسماء الاحصاء الاول

الاسم	العدد	النسبة
يوسف	10	13.33%
ابراهيم	6	8.00%
يحنا	6	8.00%
سركيس	5	6.67%
سمعان	4	5.33%
بطرس	4	5.33%
يعقوب	4	5.33%
صدقة	3	4.00%
سعادة	3	4.00%
جرجس	3	4.00%
فرح	2	2.67%
شرف	2	2.67%
يشوع	2	2.67%
توما	2	2.67%
مراد	2	2.67%
باخوس	2	2.67%
حبيب	1	1.33%
صليب	1	1.33%
موسى	1	1.33%
هارون	1	1.33%
اصطفان	1	1.33%
لعازر	1	1.33%
بولوص	1	1.33%
ضو	1	1.33%
سليمان	1	1.33%
صالح	1	1.33%
الياس	1	1.33%
امرد	1	1.33%
خليل	1	1.33%
منصور	1	1.33%
داود	1	1.33%
المجموع	75	100.00%

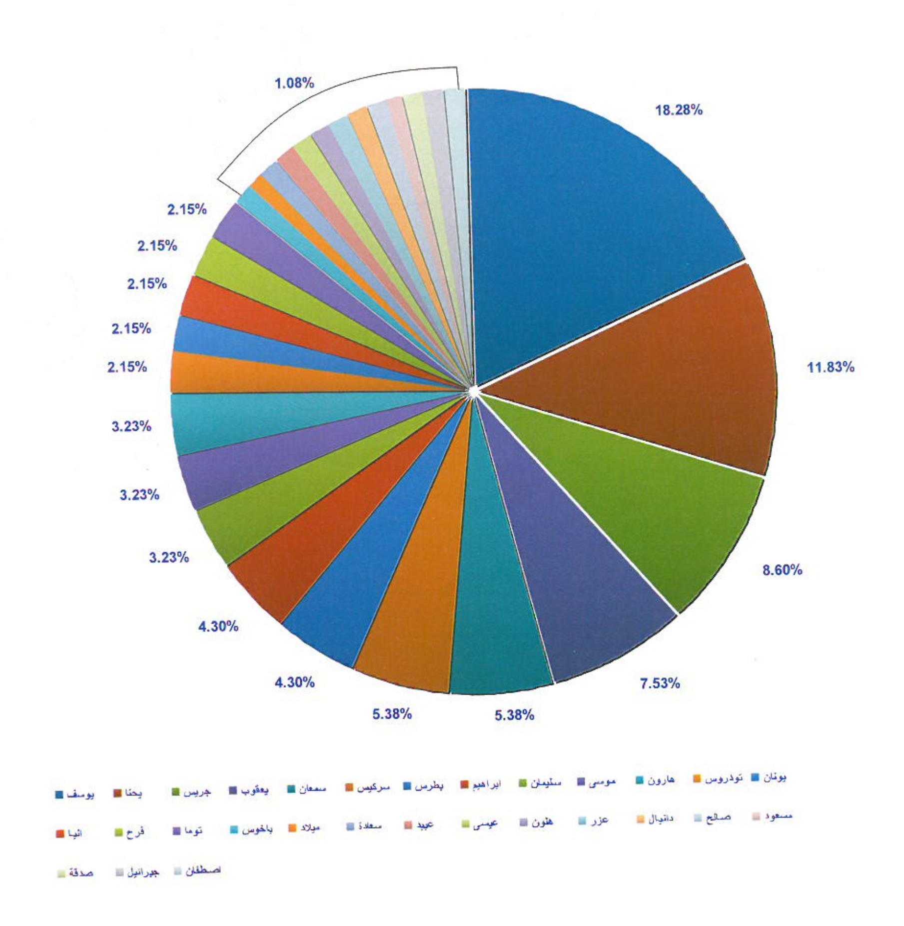




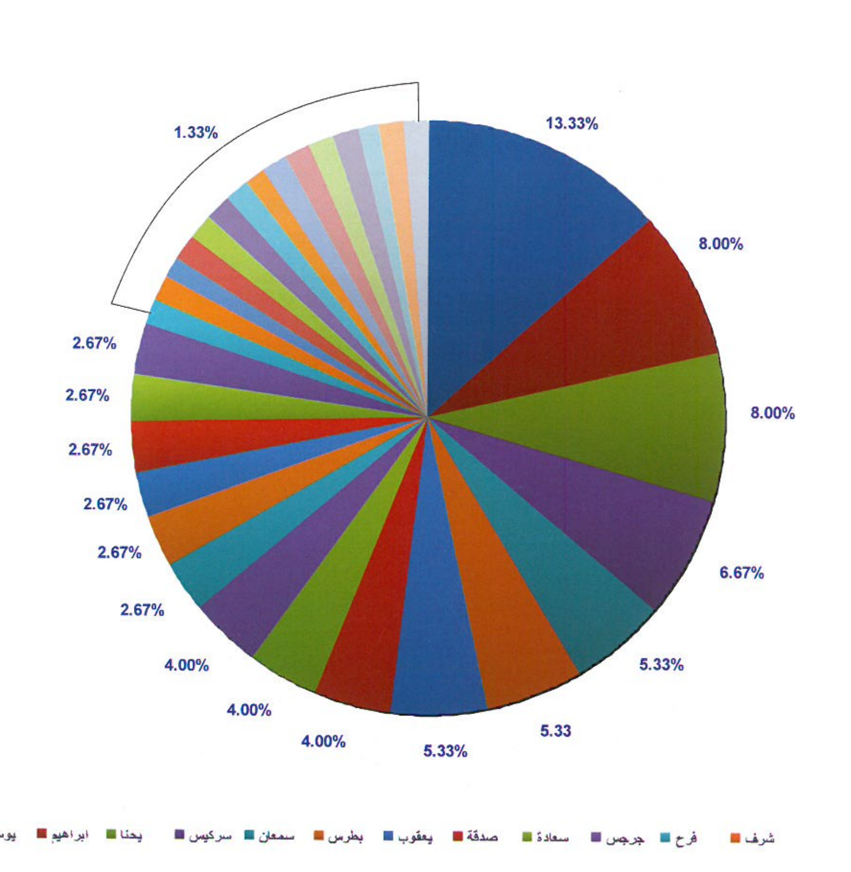
توزع اسماء أهالي لحفد ١٥١٩



توزع اسماء أهالي لحفد ١٥٥٤

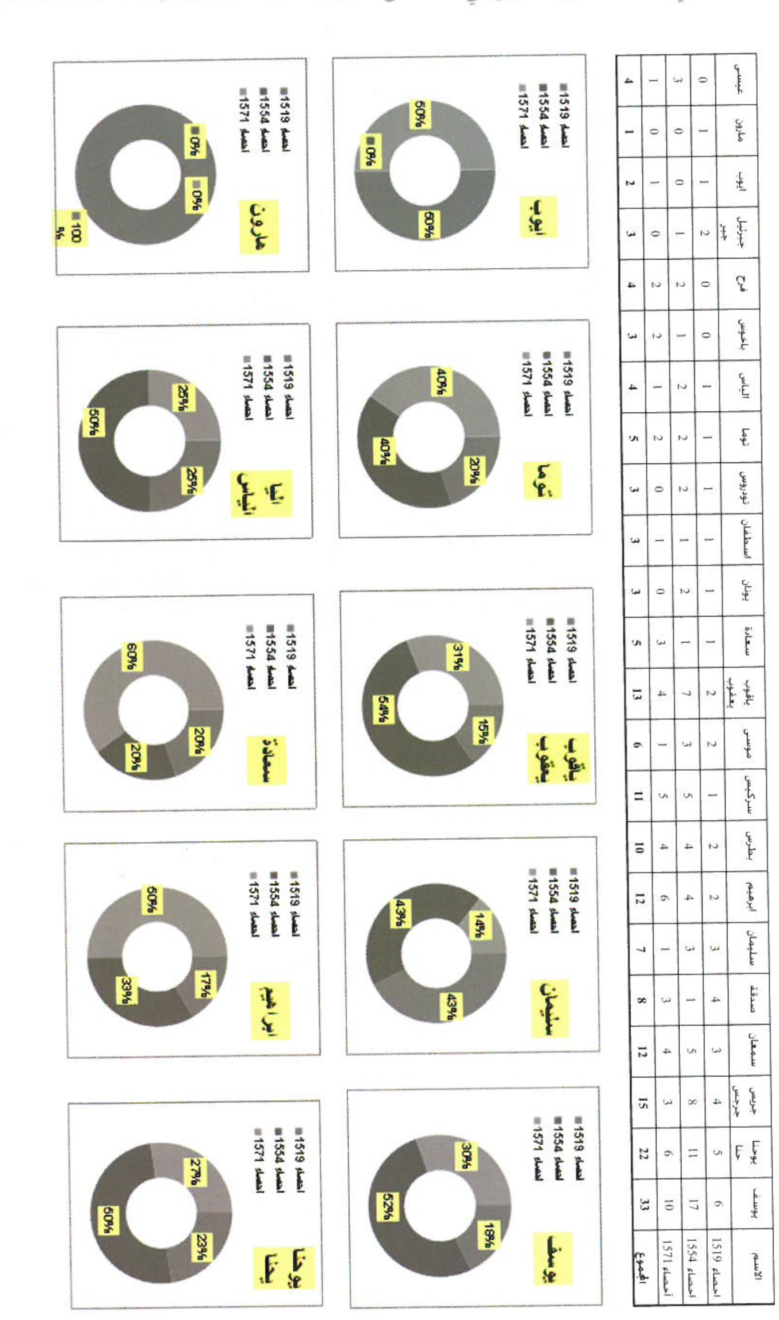


توزع اسماء أهالي لحفد ١٥٧١

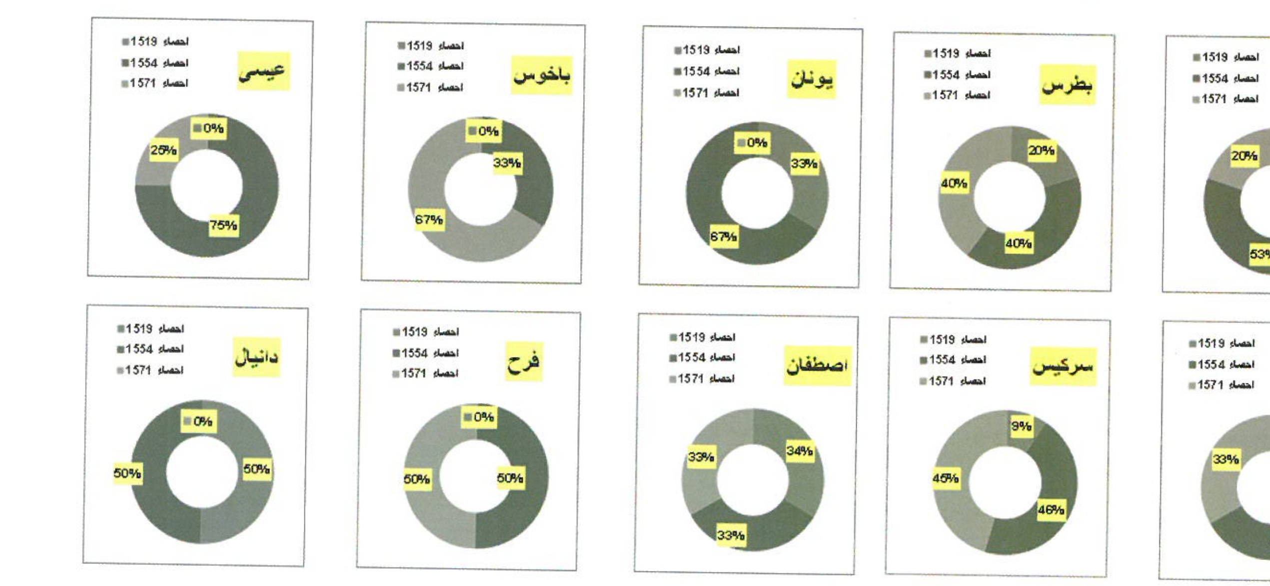


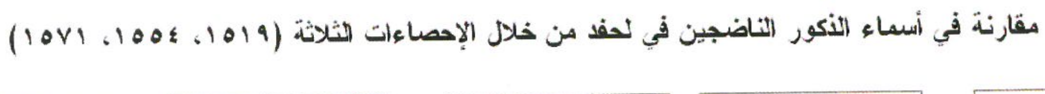
٢-٨ مقارنة في اسماء الذكور الناجين في لحفد من خلال الاحصاءات الثلاثة (١٥١٩-١٥٥٤-١٥٧١)

الاسم	يوسف	يوحنا حنا	جرجس جرجس	سمعان	صدقة	سليمان	ابرهيم	بطرس	سركيس	موسى	يعقوب يعقوب	سعادة	يونان	اسطفان	تودروس	توما	الياس	باخوس	فرح	جبرئيل جبر	ايوب	هارون	عيسى
احصاء 1519	6	5	4	3	4	3	2	2	1	2	2	1	1	1	1	1	1	0	0	2	1	1	0
احصاء 1554	17	11	8	5	1	3	4	4	5	3	7	1	2	1	2	2	2	1	2	1	0	0	3
احصاء 1571	10	6	3	4	3	1	6	4	5	1	4	3	0	1	0	2	1	2	2	0	1	0	1
المجموع	33	22	15	12	8	7	12	10	11	6	13	5	3	3	3	5	4	3	4	3	2	1	4

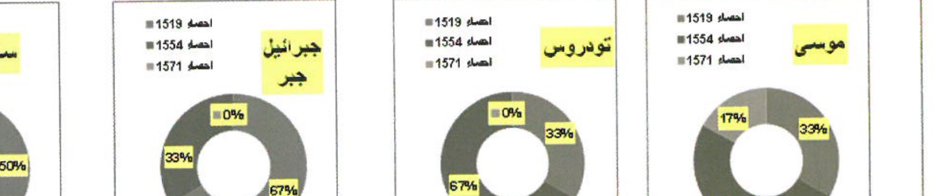


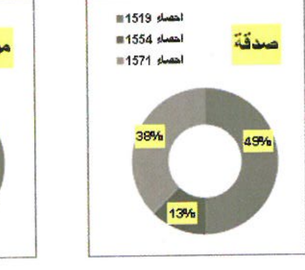
مقارنة في أسماء الذكور الناضجين في لحفد من خلال الإحصاءات الثلاثة (١٥١٩، ١٥٥٤، ١٥٧١)



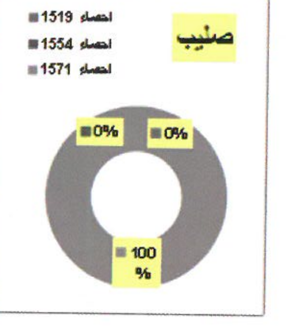
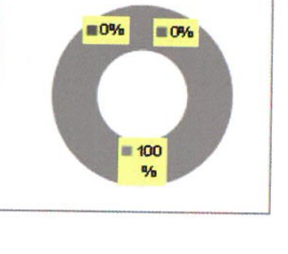
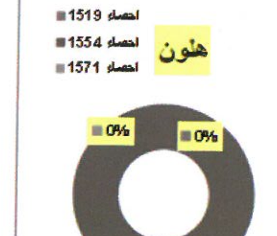
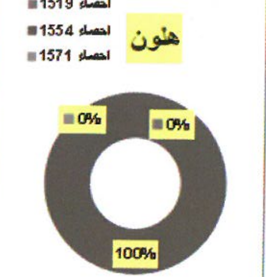
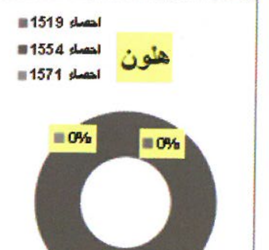
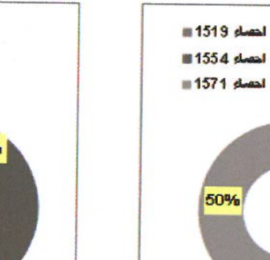
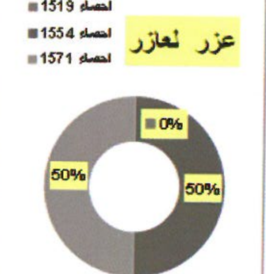
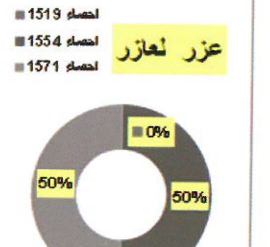


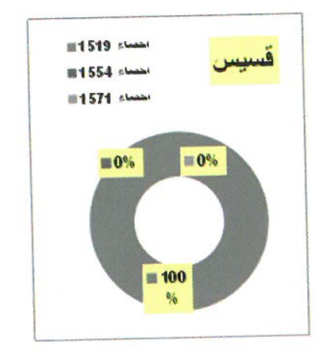
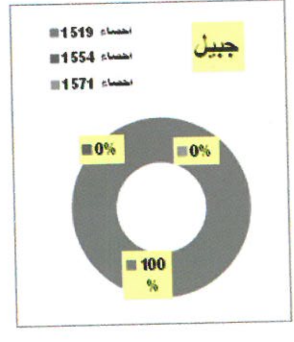
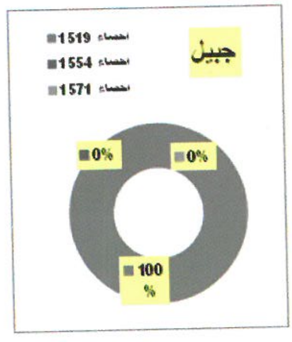
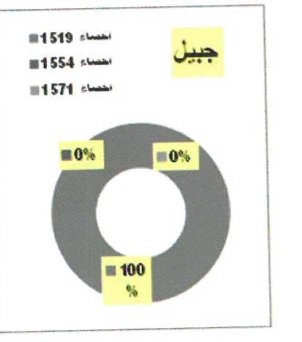
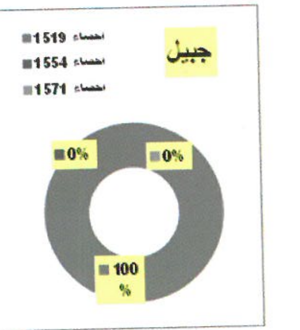
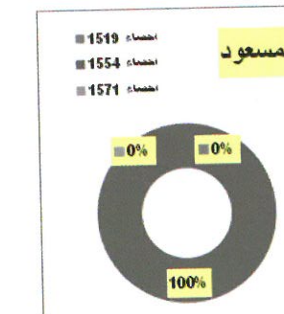
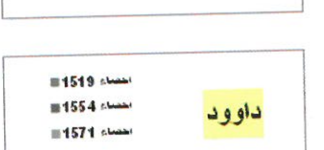
مقارنة في أسماء الذكور الناضجين في لحفد من خلال الإحصاءات الثلاثة (١٥١٩، ١٥٥٤، ١٥٧١)



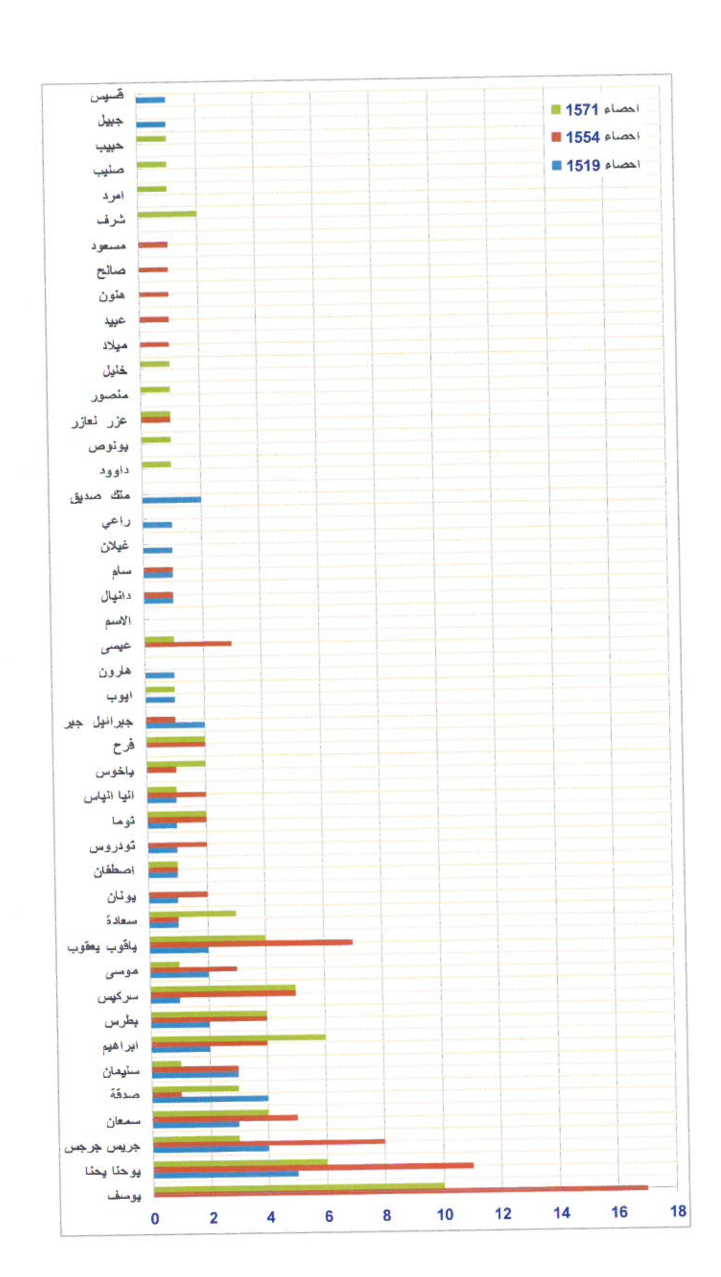


الاسم	دانيال	سام	غيلان	راعي	ملك صديق	داوود	بولوص	عزر لعازر	منصور	خليل	ميلاد	عبيد	هلون	صالح	مسعود	شرف	امرد	صليب	حبيب	جبيل	قسيس
احصاء 1519	1	1	1	1	2	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1
احصاء 1554	1	1	0	0	0	0	0	1	0	0	1	1	1	1	1	0	0	0	0	0	0
آحصاء 1571	0	0	0	0	0	1	1	1	1	1	0	0	0	0	0	2	1	1	1	0	0
المجموع	2	2	1	1	2	1	1	2	1	1	1	1	1	1	1	2	1	1	1	1	1

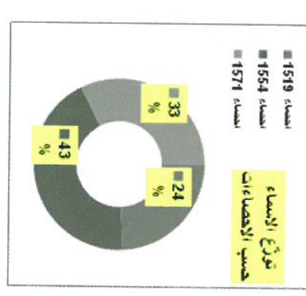









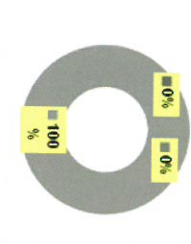








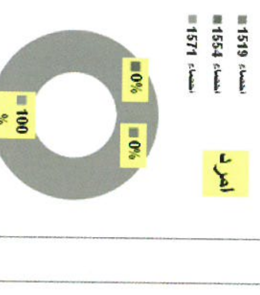
توزع الأسماء بحسب الإحصاءات الثلاثة

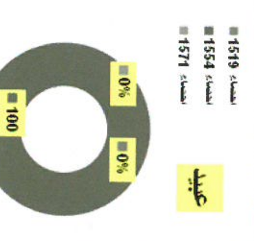


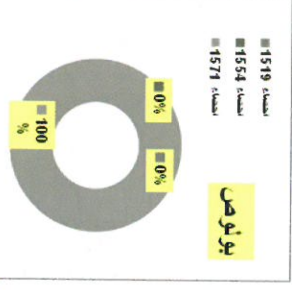
مقارنة في أسماء الذكور الناضجين في لحفد من خلال الإحصاءات الثلاثة (١٥١٩، ١٥٥٤، ١٥٧١)





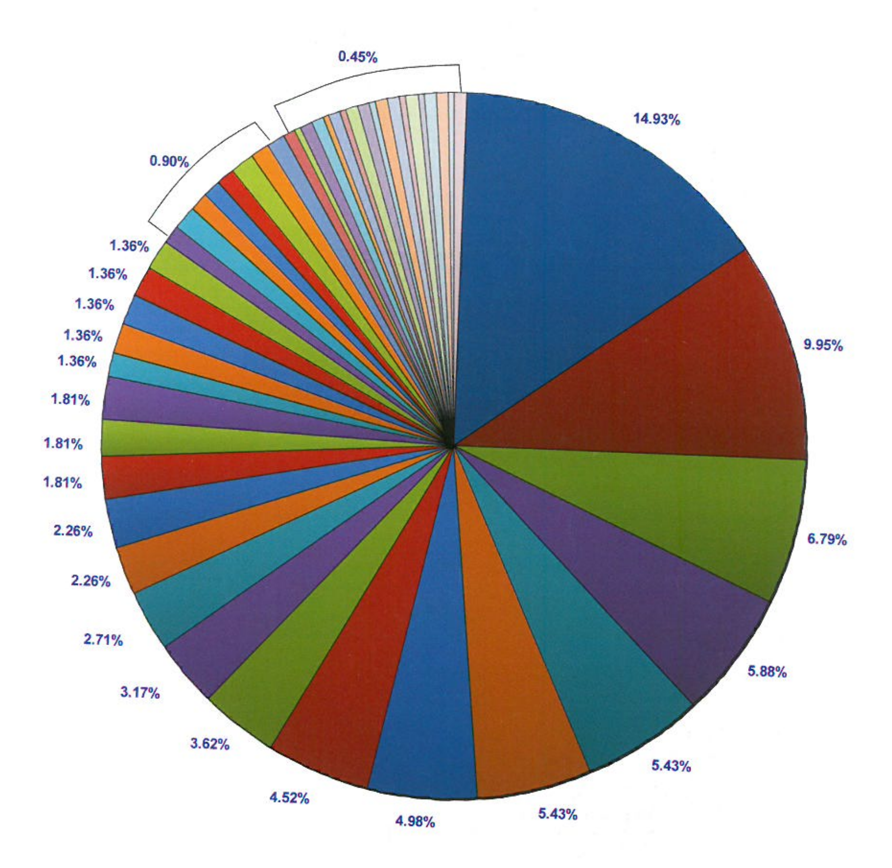






المجموع
٥٢
٩٣
٧٠
٢١٥

توزع نسب الذكور الناضجين حسب الاسم

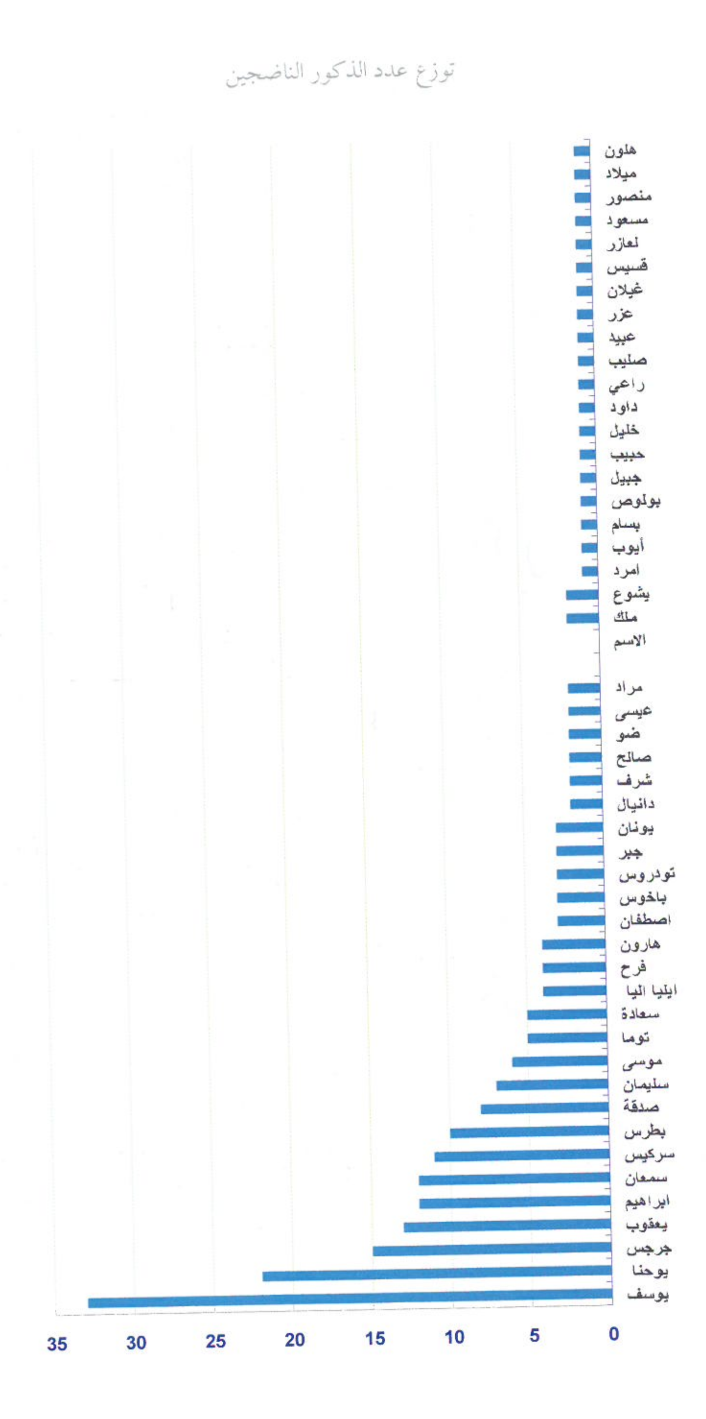


٢-٩ مقارنة في اسماء الذكور الناجين في لحفد من خلال الاحصاءات الثلاثة

الاسم	احصاء العام			المجموع	%
	1519	1554	1571		
يوسف	6	17	10	33	0.68%
يوحنا يحنا	5	11	6	22	0.45%
جرجس	4	8	3	15	0.31%
يعقوب	2	7	4	13	0.27%
ابراهيم	2	4	6	12	0.25%
سمعان	3	5	4	12	0.25%
سركيس	1	5	5	11	0.23%
بطرس	2	4	4	10	0.21%
صدقة	4	1	3	8	0.16%
سليمان	3	3	1	7	0.14%
موسى	2	3	1	6	0.12%
توما	1	2	2	5	0.10%
سعادة	1	1	3	5	0.10%
ايليا اليا الياس	1	2	1	4	0.08%
فرح		2	2	4	0.08%
هارون		3	1	4	0.08%
اصطفان	1	1	1	3	0.06%
باخوس		1	2	3	0.06%
تودروس	1	2		3	0.06%
جبر جبرائيل	2	1		3	0.06%
يونان	1	2		3	0.06%
دانيال	1	1		2	0.04%
شرف			2	2	0.04%
صالح		1	1	2	0.04%
ضو	1		1	2	0.04%
عيسى	1	1		2	0.04%
مراد			2	2	0.04%

٧١

الاسم	احصاء العام			المجموع	%
	1519	1554	1571		
ملك صادق	2			2	0.04%
يشوع			2	2	0.04%
امرد			1	1	0.02%
أيوب	1			1	0.02%
بسام	1			1	0.02%
بولوص			1	1	0.02%
جبيل	1			1	0.02%
حبيب			1	1	0.02%
خليل			1	1	0.02%
داود			1	1	0.02%
راعي	1			1	0.02%
صليب			1	1	0.02%
عبيد		1		1	0.02%
عزر		1		1	0.02%
غيلان	1			1	0.02%
قسيس	1			1	0.02%
لعازر			1	1	0.02%
مسعود		1		1	0.02%
منصور			1	1	0.02%
ميلاد		1		1	0.02%
هلون		1		1	0.02%
المجموع	1572	1647	1646	4865	100.00%



إذا انطلقنا من الأسماء الواردة في الدفتر، خاصة في إحصاء ١٥١٩، وحاولنا أن نتلمّس ارتباطها بالأسماء التي كان لها صلة بابن القلاعي والتي وردت في المصادر والمراجع التي تناولته، أو ببعض الأسماء التي وردت في زجلياته لتوصلنا إلى الملاحظات – الأسئلة، أو الفرضيات الممكنة التالية:

- هل أن جرجس ويحنا وإيليا هم أولاد الخوري إبراهيم دريع الذي علّم ابن القلاعي السريانية والعربية في لحفد؟[١]
- هل أن ساميه صدقة الوارد في الإحصاء هو نفسه الذي وجه له ابن القلاعي رسائل العتب بسبب يعقوبيته؟[٢] وهل أن جرجس تادروس له دخل بالقس جرجس ابن بشارة أو جرجس ابن الرامي اللذين تحولا إلى المذهب اليعقوبي؟[٣] وهل أن سمعان يوسف، أو يوسف سمعان أو ملك صديق ولد سمعان، له صلة بالخوري سمعان الوارد اسمه في رسالة لابن القلاعي إلى الرامي[٤]
- وهل أن القسيس جبرائيل المسجل في الدفتر بهذه الصفة، هو وحده كاهن القرية أم أن هناك كهنة آخرين ولم يذكر الدفتر صفتهم؟
- وهل أن بطروس يعقوب المسجل في الدفتر هو غير والد ابن القلاعي المشار إليه في عدة مصادر؟

وإذا جمعنا كل الأسماء الواردة في الإحصاءات الثلاثة وحاولنا تصنيفها لتبين لنا المعطيات التالية:

- ١٥ اسماً ترددت وهي تعود إلى أسماء العهد القديم، أي بما نسبته ٣٣٪ من مجموع الأسماء.
- ١٢ اسماً ترددت وهي تعتبر من العهد الجديد، أي بنسبة ٢٧٪.
- ١١ اسم صفة أي بنسبة ٢٤٪.
- اسمي مهنة أي بنسبة ٤٪.
- وخمسة أسماء مختلف أي بنسبة ١١٪.

١. المنارة، ١٩٣١، ص ٨١٢.
٢. راي جبر، المرجع السابق، ص ١٣٥.
٣. المنارة، ١٩٣١، ص ٨١٢.
٤. الخوري غبريل الشبابي، ج٢، القسم ١، المرجع السابق، ص ٣٣٧.

هكذا يتضح أن أكثر من ٦٠٪ من الأسماء هي أسماء دينية الأمر الذي يدل أن هذا المجتمع الريفي هو مجتمع يطغى عليه الطابع الديني.

ومن جهة أخرى ثمة شبه غياب للحرف باعتبار أن الاقتصاد السائد هو اقتصاد زراعي. واذا استعنّا بزجليات ابن القلاعي لمعرفة الفئات الاجتماعية في قرية لحفد وباقي قرى الريف الماروني لتبين لنا وجود الفئات التالية:

- الكهنة ولهم تقدم التحية باحترام وانحناء.
- الشدياق والشماس.
- الرياس الذين يسميهم ابن القلاعي المحتشمين أو كبار البلاد.
- عوام القرية، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءاً، صبياناً وفتيات.

وبعكس بعض القرى (كإهدن وحردين على سبيل المثال لا الحصر) لم يرد في الدفتر أي لقب كالريس أو ما إلى ذلك وعادة ما كان يرد هذا اللقب في مطلع الأسماء وهو يدل على الوجاهة والأولوية في القرية.

سادساً – الضرائب والانتاج

٦–١. أسس ومنطلقات

لقد استعمل العثمانيون في مجال الضرائب التي فرضوها القوانين والسجلات التي كانت موجودة في مرحلة ما قبلهم، مع تعديلات لجهة الغاء الضرائب التي تتعارض مع النظام العثماني[١]. ولقد أكدت السلطات الدينية العثمانية أن أراضي الدولة هي تلك الأراضي المزروعة التي كانت ملكيتها تعود دائماً للخزانة العامة، في حين ان حيازتها الفعلية وحقوق الانتفاع بها مفوضة بأكملها للمزراعين. إن «أية أرض محروثة هي ميري. وتعطى بموجب الطابو، هذا هو القانون السائد». وهكذا يصبح كرم العنب أو حديقة الخضار، وبشكل مباشر أراض مملوكة للدولة (ميري) عندما تحرث للزراعة، وعندها تدفع ضريبة الخمس العادية وضرائب المزارعين الأخرى.[٢]

ولأن لحفد قرية فقد خضعت للنظام العثماني المرتبط بملكية الأرض والضرائب والإدارة المحلية. ومن أحد العوامل المحددة للقرية كان التسجيل ولفترة معينة من الوقت في السجلات

١. خليل اينالجيك، ج١، المرجع السابق، ص ١٣٢.
٢. المرجع السابق، ص ١٨٢.

العثمانية. وقد حددت هذه السجلات القرية على أنها وحدة أرض وجماعة ذات حدود واضحة من الأراضي المزروعة والمراعي، وعليها التزامات ضريبية (حاصل) محددة. وقد تم تحديد الفلاح على أنه رجل ابن فلاح مسجل كذلك في السجلات الرسمية ويعيش فعلياً في القرية.[1]

وكانت لحفد، كباقي قرى شمال لبنان خاضعة لنظام التيمار[2]. وقد حددت قطع التيمار تبعاً لحدود القرى والمزارع. ورغم أن أصحاب التيمار كانوا غير قادرين على امتلاك أو استخدام الأرض لمصالحهم الخاصة، إلا أنهم كانوا مفوضين قانونياً بالتصرف بالأراضي المزروعة، وبأراضي السليخ، وأشجار الفاكهة والغابات والمياه الواقعة ضمن حدود تيماراتهم. وكان للتيمارجيين سلطة شُرطية لملاحقة واعتقال كل من يقترف جرماً في مقاطعاتهم الخاصة. إلا أنه لم يكن ممكناً في الواقع فرض أي عقاب أو حتى أصغر غرامة، دون حكم مسبق من القاضي المحلي بما يتوافق وقانون الجزاء العثماني.[3]

في نظام التيمار كان السباهي هو الذي يدير تيماره (مدخوله تحت ٢٠ ألف آقجة). ويؤمن الخدمات العسكرية للدولة. وإذا كان المدخول بين ٢٠ ألف ومئة ألف يسمى زعامت.

أما الخاص كما يعرف فتعود مداخيله للخزانة المركزية للدولة.

والخاص يكون لكبار رجالات الدولة (وزراء بكوات) والمداخيل تزيد عن مئة ألف آقجة.[4]

٦-٢. واقع الضرائب من خلال دفاتر الإحصاء

إن بلدة لحفد كانت في إحصاء ١٥١٩ مقسّمة إلى ٣ تيمارات:

- حصة تيمار أبو بكر مكي وشركائه وكان مردوده ٧٠٠ آقجة.
- حصة تيمار محمود شقيق أبو بكر مكي. وكان مردوده ٢٤٠٠ آقجة.
- حصة تيمار[5] وكان مردوده ١٠٠٠ آقجة.

أي أن «المال المقطوع» الواجب أن تؤمنه لحفد كضرائب، عام ١٥١٩، كان ٤١٠٠ آقجة. ولم يفصّل الدفتر أنواع الضرائب المفروضة. كما أنه لا ذكر للجزية على نصارى القرية.[6]

١. المرجع السابق، ص ٢٦٦–٢٦٧.
٢. راجع حول هذا النظام مؤلفاتنا خاصة الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر، وفلاحو ناحية البترون في القرن السادس عشر.
٣. خليل اينالجيك، المرجع السابق، ص ١٨٨–١٨٩.
٤. المرجع السابق، ص ٢٢٤–٢٢٥.
٥. لم يذكر الدفتر اسم صاحبه ربما سهواً.
٦. باعتبار أن الجزية في هذا الإحصاء فرضت على النصارى من خلال البطريركية في دير قنوبين.

أما الضرائب في إحصاء ١٥٥٤ فقد كان مجموع حاصلها[1] ٦١٥٤ ما عدا الجزية. وقد أورد الدفتر التفصيل التالي:

- مال ديموس ٥٣٠٠ آقجة.
- رسم معصرة عنب (عدد٢) ٢٤ آقجة.
- رسم دولاب حرير (عدد ٢) ٦٠ آقجة.
- رسم طاحون ٣٠ آقجة.
- رسم معزة ٣٥٠ آقجة.
- رسم نحل ١٥٠ آقجة.
- باديهوا ٢٤٠ آقجة.

وقد لحظ الدفتر إشارة إلى وجود جزية على كل ذكر ناضج بمبلغ ٨٩ آقجة:

٤٨ ذكر ناضج × ٨٩ آقجة = ٤٢٧٢ آقجة.

هكذا يكون مجموع الضرائب التي تدفعها لحفد (عام ١٥٥٤):

٦١٥٤ (حاصل) + ٤٢٧٢ (جزية) = ١٠٤٢٦ آقجة.

هذا المبلغ يذهب للخزانة المركزية للدولة باعتبار، أن الدفتر لم يلحظ أسماء تيمارجيين، كما في الإحصاء السابق، بل لحظ مصطلح (خاص شاهي). ولا نستطيع أن نفسر أسباب انتقال لحفد إلى هذه الوضعية، مع العلم أن أغلبية قرى شمال لبنان أصابها تحول مشابه.

في إحصاء ١٥٧١ لحظ في الدفتر، بموازة قرية لحفد، مصطلح (خاص)، وحاصل الضرائب على هذه القرية فصّل على النحو التالي:

مال ديموس	٦٠٠٠ آقجة.
رسم معصرة عنب (عدد٢)	٢٤ آقجة.
رسم دولاب حرير (عدد ٢)	٦٠ آقجة.
رسم معزة ونحل	٦١٦ آقجة.
باديهوا ورسم عروس	٣٠٠ آقجة.
	٧٠٠٠ آقجة.

١. الحاصل في سجلات التحرير هو مجموع مبالغ العائدات المقدرة لقرية معينة أو وحدات أخرى. خليل اينالجيك، ج٢، المرجع السابق، ص ٨٠٥. المقصود بالحاصل مجموع الضرائب من أعشار ورسوم تعود للدولة. خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية، المرجع السابق، ص ٥٠٣.

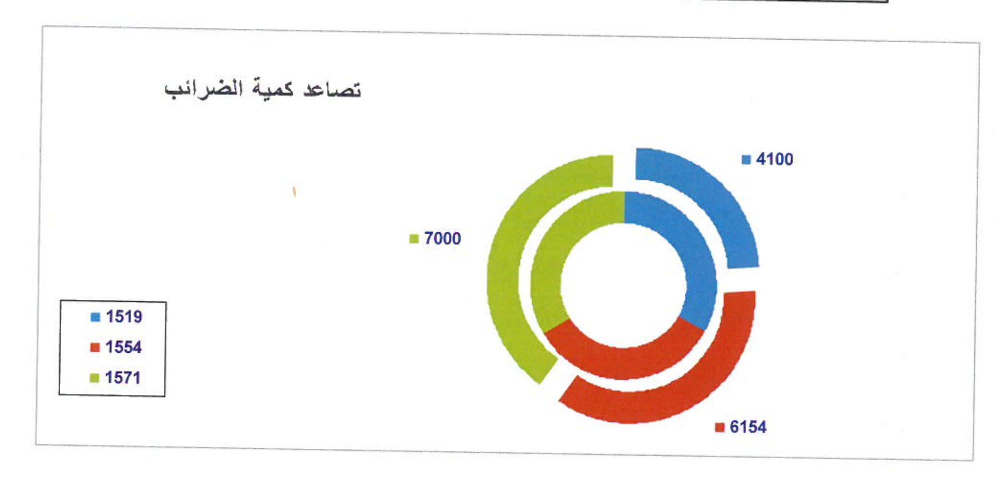
هذا المبلغ يقسمه الدفتر إلى قسمين:

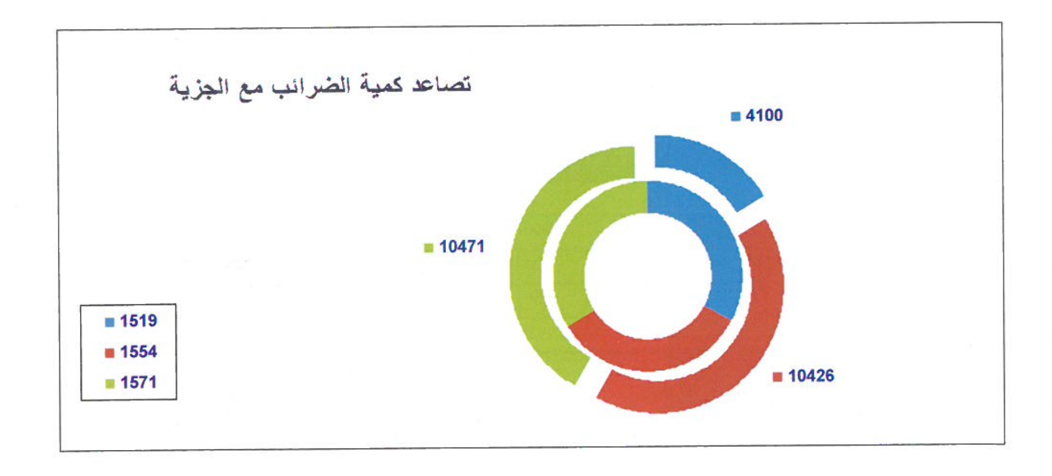
حصّة خاص ٣٠٠٠ آقجة.

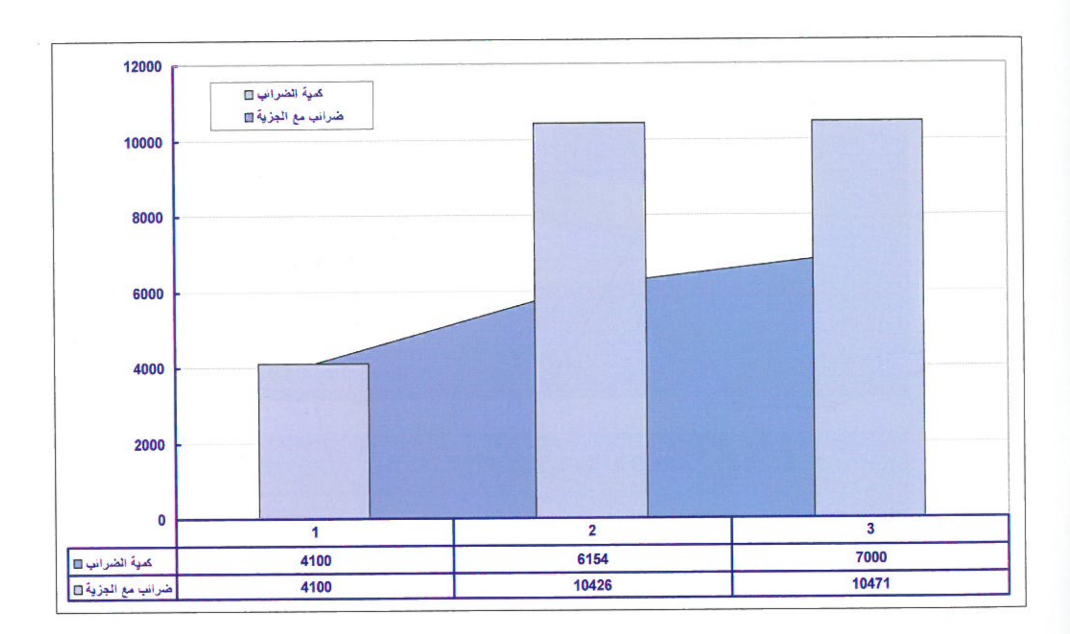
حصّة تيمار داود ٤٠٠٠ آقجة.

٢-١٠ كمية الضرائب على لحفد من خلال ثلاثة احصاءات

سنة الاحصاء	1519	1554	1571
كمية الضرائب	4100	6154	7000
ضريبة الجزية		4272	3471
ضرائب مع الجزية	4100	10426	10471
نسبة الزيادة %	0%	69%	50%

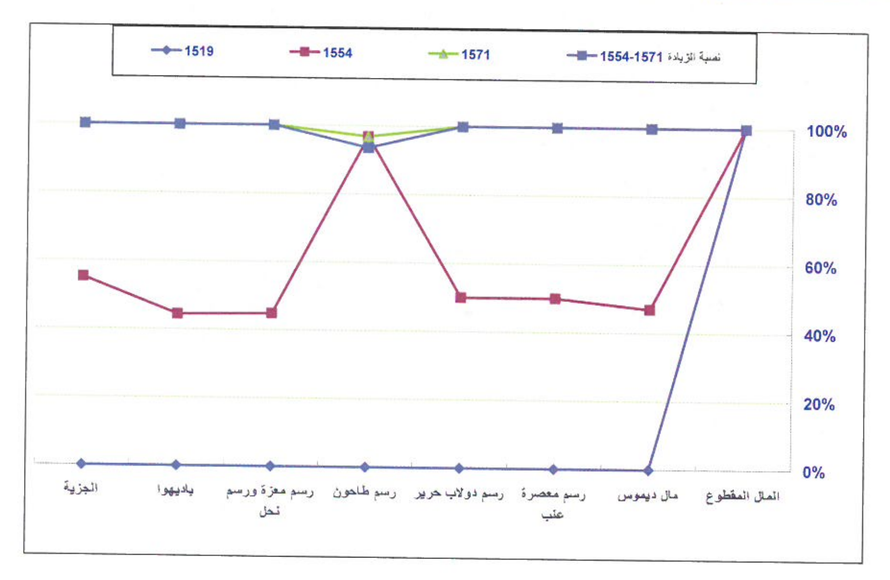


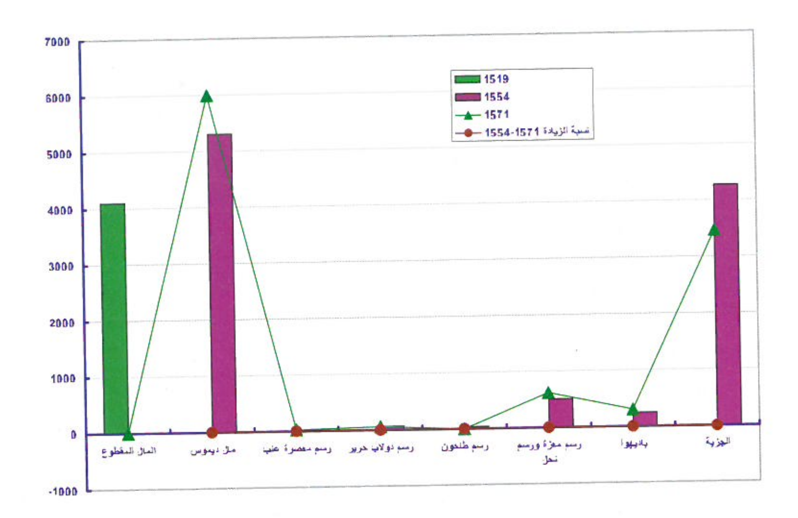


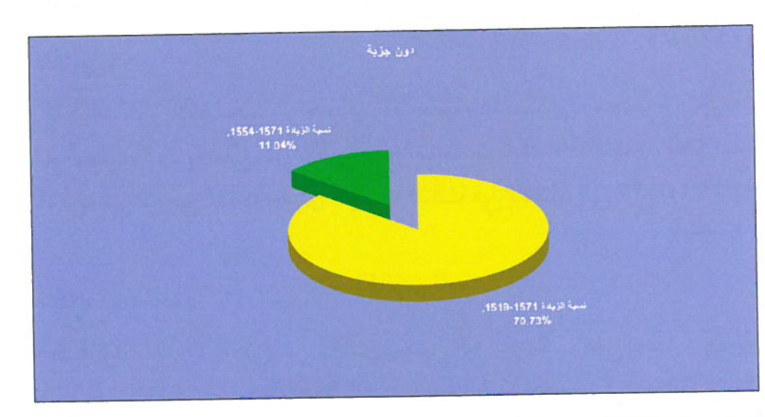


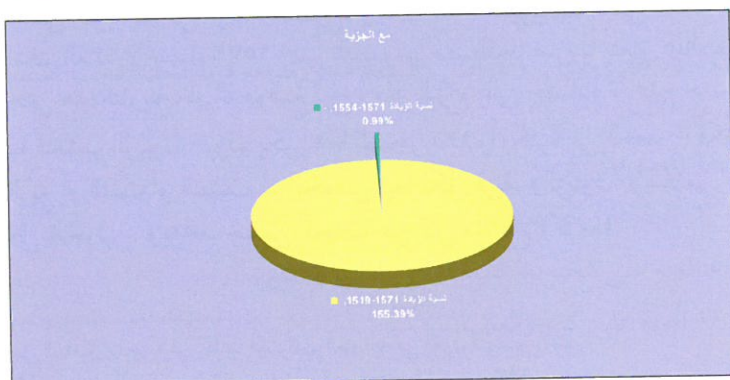
٢-١١ انواع الضرائب على لحفد

نوع الضريبة	إحصاء 1519	إحصاء 1554	إحصاء 1571	نسبة الزيادة 1571-1519	نسبة الزيادة 1571-1554
المال المقطوع	4100	0	0	-100.00%	
مال ديموس	0	5300	6000		13.21%
رسم معصرة عنب	0	24	24		0.00%
رسم دولاب حرير	0	60	60		0.00%
رسم طاحون	0	30	0		-100.00%
رسم معزة	0	500	616		23.20%
رسم نحل	0				
باديهوا	0	240	300 مع رسم عروس		25.00%
المجموع	**4100**	**6304**	**7000**	**70.73%**	**11.04%**
الجزية	0	4272	3471		-18.75%
المجموع	**4100**	**10576**	**10471**	**155.39%**	**-0.99%**









هكذا تنتقل قرية لحفد من توزع إلى ثلاثة تيمارات عام ١٥١٩ إلى خاص شاهي عام ١٥٥٤ إلى خاص وتيمار عام ١٥٧١.

وإذا كانت الضريبة في الإحصاء الأول جاءت غير مفصّلة في الدفتر، فيمكننا مقارنة الضرائب التفصيلية في الإحصاءين الثاني والثالث، ومن الواضح أن ثمة زيادة في أغلب ضرائب الإحصاء الثالث:

- مال الديموس زاد بنسبة ٢١,١٣٪.
- رسم معصرتي العنب بقي ثابتاً.
- وكذلك الرسم على دولابي الحرير.
- والرسم على المعزة والنحل زاد ٢,٢٣٪.
- ورسم الباديهوا زاد ٢٥٪.
- ومن اللافت أن الإحصاء الثالث لم يذكر وجود طاحون في لحفد بعكس ما ورد في الإحصاء الثاني.

ولأن عدد الذكور الناضجين تراجع في الإحصاء الثالث فإن مجموع الجزية تراجع أيضاً ١٨,٧٥-٪، مع العلم أن الجزية على كل ذكر ناضج استمرت ثابتة (٨٩ آقجة)، وهو مبلغ يعتبر الأقل بالمقارنة مع الجزية في نواحي لبنانية أخرى حيث وصلت في بعضها إلى ١٢٧ و١٢٩ و١٣٠ آقجة.[1]

٦–٣. أسس الضرائب على لحفد من خلال القانون نامه

لقد لحظ قانون نامه ولاية طرابلس، الذي يوضح آلية الضرائب على لحفد، كمية كل ضريبة. ولأن الدفاتر الثلاثة استعمل فيها مصطلحا (مال مقطوع) (وديموس) فيمكننا اعتبار الديموس ضريبة مقدرة على القرية بشكل ثابت ومقطوع. وكان هذا التقدير يعتمد على المساحة المزروعة. وقانون نامة الدفتر العائد لإحصاء ١٥٧١ اعتبر الديموس مصطلحاً ضريبياً يتعلق «بالبساتين التي لم يتم تحويلها حتى هذا التاريخ، أو انه موضع نزاع، مثل النزاع على حصاده أو عدم حصاده».[2]

بالنسبة لتعشير الزيتون – ولم يكن هذا الشجر منتشراً بكثرة في لحفد – فكان يحتسب على أساس الربع أو الثلث أو النصف أو الخمس تبعاً لكل قرية. والزيتون الإسلامي[3] يؤخذ آقجة واحدة عن كل شجرتين. ويؤخذ خمس آقجات عن كل مئة باغ (كرمة).

١. راجع الفصل المتعلق بالجزية في كتابنا الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر.
٢. د. عصام خليفة، لبنان في القرن السادس عشر، المرجع السابق، ص ١٤٣.
٣. أي الجديد.

وأما أشجار الفواكه المختلفة فيؤخذ آقجة واحدة عن كل أربعة أشجار مثمرة.
ويؤخذ آقجة واحدة عن كل شجرتي توت.
ويؤخذ آقجة واحدة عن كل شجرتي جوز.
وبالنسبة للضرائب في مجالات أخرى:

- عن كل أربعة رؤوس من الأغنام والماعز بارة واحدة.
- وعن كل قفير من النحل آقجة واحدة.
- والضريبة على معصرة العنب ١٢ آقجة.
- والضريبة على الطاحون الشتوي ٣٠ آقجة.
- والضريبة على دولاب الحرير ٣٠ آقجة.
- رسم العروس للبنت البكر (التي تتزوج) يقدر بستين آقجة، وللثيب أربعين، وللفقيرة نصف ذلك (٢٠ آقجة) وللمتوسطة ٣٠ آقجة.
- لباديهوا: ضريبة على مواد متفرقة ترتبط أحياناً مع الغرامات المفروضة على المجرمين. أي أنها نوع من العقوبة. ويصفها برنارد لويس أنها دخل استثنائي وغير عادي من الرسوم والغرامات والمصادرات وتكاليف التسجيل والأموال الضائعة وغيرها من مصادر الدخل الاستثنائية وغير المنتظرة.[1]

٦–٤. الانتاج التقريبي للحفد في القرن ١٦

ما هو الانتاج الزراعي للحفد تبعاً لإحصاء ١٥٥٤ على وجه التقريب وليس على وجه الدقة؟

إذا فككنا، على سبيل الافتراض، المبلغ الذي تدفعه قرية لحفد تحت تسمية الديموس، عام ١٥٥٤، على النحو التالي:

- ١٠٠٠ آقجة على الزيتون.
- ١٠٠٠ آقجة على القمح.
- ٥٠٠ آقجة على الحبوب المختلفة وبخاصة الشعير.
- ١٠٠٠ آقجة على كروم العنب.

١. عصام خليفة، المرجع السابق، ص ١٤٢–١٤٣.

- ٨٠٠ آقجة على أشجار التوت.
- ١٠٠٠ آقجة على الأشجار المختلفة.

إذا وضعنا هذه الفرضية لتوصلنا إلى بعض المعطيات:

- مع وجود ألف آقجة على الزيتون يفترض وجود ألفي شجرة أي أن كل ذكر ناضج يملك من حيث المبدأ ٤١ شجرة.
- مع وجود ألف آقجة على القمح أي ما يوازي الضريبة على ١٤,٢ مكوك، وإذا افترضنا أن الضريبة تقارب سبع المحصول يمكن الافتراض أن إنتاج لحفد من القمح عام ١٥٥٤ كان:

١٤,٢ (مكوكاً) × ٧ × ٨٣,٥ كلغ (وزن المكوك الواحد) = ٨٢٩٩,٩ كلغ.

وإذا افترضنا أن استهلاك الفرد في النهار نصف كلغ قمح على الأقل، لأمكننا التوصل إلى ما يأتي:

٢٨٨ (عدد نفوس لحفد عام ١٥٥٤) × ٠,٥[1] = ١٤٤ كلغ في اليوم. أما الاستهلاك في السنة: ١٤٤ × ٣٦٥ = ٥٢٥٦٠ كلغ.

وهكذا يتبين أن الانتاج التقريبي من القمح، في سنة عادية، يزيد عن حاجة الاستهلاك لدى الأهالي (باعتبار أن الانتاج السنوي كما أشرنا يصل إلى ٨٢٩٩٩ كلغ).

لم يكن من الممكن أن يزرع القمح في أرض واحدة أكثر من سنتين متواليتين دون أن تصاب بضرر كبير. من هنا كان هناك حبوب تكميلية وهي: الخضراوات المجففة، العدس، الفاصوليا الناشفة، اللوبياء الناشفة، الحمص. وهي مواد غذائية صغيرة للبروتين. بالنسبة للعنب الذي كان ينتج منه الفلاح اللحفدي الدبس والنبيذ والزبيب والعرق والخل وغيرها، فيمكن الافتراض، بالنسبة لعدد نصوب الكرم:

١٠٠٠ آقجة ÷ ٥ آقجات (الضريبة على كل مئة نصبة) = ٢٠٠

٢٠٠ × ١٠٠ (نصبة) = ٢٠,٠٠٠ نصبة كرم في لحفد.

وإذا قسمنا على سبيل الافتراض عدد النصبات على عدد النفوس في البلدة عام ١٥٥٤:

٢٠,٠٠٠ ÷ (٤٨ × ٦ = ٢٨٨) = ٦٩,٤ نصبة لكل فرد.

١. فرنان برودل، الحضارة المادية، المرجع السابق، ص ١٦١ يعتبر أن كلغ القمح الواحد يوفر ٣٠٠٠ سعرة حرارية في اليوم. وفي تقديرنا أن الفلاح في لحفد كان يتغذى أيضاً بغير القمح والخبز.

التوت وصناعة الحرير:

إذا افترضنا أن ثمة ٨٠٠ آقجة ضرائب على التوت، وانه يؤخذ آقجة واحدة على كل شجرتي توت، فإن عدد هذه الأشجار في لحفد يصل إلى:

٨٠٠ × ٢ = ١٦٠٠ شجرة.

أي هناك ٣٣ شجرة لكل ذكر ناضج.

ولما كان من الواضح وجود دولابي حرير (عام ١٥٥٤) فيكون لكل ٢٤ ذكر ناضج دولاب واحد.

ويبدو أن هناك طاحون شتوية فرض عليها ٣٠ آقجة كضريبة سنوية، ولكن في الإحصاء الثالث لا ذكر لهذه الطاحون، كما ذكرنا، ومن المستبعد أن تكون قريبة من عين القرية ومن الممكن أن تكون على مجرى مياه السقي.

بالنسبة لعدد الماعز فكمية الضريبة تعطينا الرقم التالي:

٣٥٠ ÷ ٢ = ١٧٥ راس ماعز.

لكن من المرجح وجود عدد أكبر بكثير من هذا الرقم. وإذا كنا نسلّم، مع برودل، أن غذاء الإنسان يتكون في الفترة الممتدة بين القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر من الأطعمة النباتية بصفة أساسية، فإن الماعز كان موجوداً، بعدد محدود، في كل منزل. ليس فقط لتأمين غذاء اللحم وإنما خاصة لتأمين الحليب والأجبان والألبان، وكذلك لتأمين الروث للسماد وكذلك الشعر للبس ولغيرها كالحبال وما إليها. ويؤكد برودل[1] أننا إذا أجرينا حساباً اقتصادياً مقيماً بالسعرات الحرارية لما تنتجه مساحة من الأرض تستغل في الزراعة، ومساحة مساوية تستغل في تربية الحيوان، وجدنا أن عائد الزراعة مقيّماً بالسعرات الحرارية أكثر بكثير من عائد تربية الحيوان. نفس المساحة من الأرض تطعم من البشر، إذا استغلت في الزراعة، عشرة أضعاف أو عشرين ضعف من تطعمهم لو استغلت في تربية الحيوان، بغض النظر عن نوعية الطعام وجودته.

وعلى كل حال فإن تربية الماعز في لحفد، كما في سائر قرى الريف اللبناني، ما كان يتم – بشكل رئيسي – إلا من خلال أحراش السنديان والعفص والأراضي الصخرية حيث تنبت الأعشاب البرية. ولم يكن يسمح للماعز أن ترعى في الأراضي المزروعة بالحبوب أو الخضار أو بالأشجار المثمرة.

على صعيد قفران النحل فإن لحفد كانت تحتوي على أكثر من ١٥٠ قفير نحل باعتبار أن الرسم على كل قفير هو آقجة واحدة سنوياً. هذا يعني أن لكل ذكر ناضج أكثر من ٣ قفران

١. فرنان برودل، الحضارة المادية، المرجع السابق، ص ١٢١.

نحل. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الضريبة لم تتناول كل قفران النحل بل عدداً محدوداً منها، فإن نسبة العسل المتوفرة لكل فلاح كانت تشكل مصدراً أساسياً للغذاء.

في قانون نامه السلطان سليمان المعمول به في الفترة موضوع الدرس ورد في الفصل السادس[1] أن «الباد هوا» هو ما سجله الدفتر من حاصل «رسم العروس» وحاصل «الجرم والجنايات» (الغرامات)، وحاصل رسم الطابو لدى انتقال (حق تصرف) جفتلك أو منزل في أراضي القرى من شخص إلى آخر (من غير الورثة الشرعيين) وحاصل «رسم الدخان» الذي يؤخذ من رعايا أتت من الخارج فأقامت على ارض السباهي أو غيره لتشتو.

ويقدر «رسم العروس» للبنت البكر المجهزة بستين آقجة، وللثيب بأربعين آقجة، وللفقيرة نصف ذلك، وللمتوسطة الحال بمبلغ بين الحدين...».

إذا قسمنا المبلغ الوارد على لحفد عام ١٥٥٤ تحت بند باديهوا إلى قسمين متساويين:

- الغرامات المفروضة على بعض الجنايات ورسوم الانتقال على بعض المنازل. واعتبرنا أن مردودها ١٢٠ آقجة.
- رسم العروس ومردودها ١٢٠ آقجة.

وإذا اعتبرنا أن أغلب النساء اللواتي تزوجن في هذه السنة في لحفد هن من الفقيرات أو من الدرجة المتوسطة (٣٠ آقجة على الفتاة) لتبين لنا أن هناك أربع فتيات تزوجن في هذه السنة.

١٢ ÷ ٣ = ٤

إذا كانت الأرياف، بحسب برودل، تعيش من محاصيلها وإذا كانت مساحة أراضي لحفد العامة لا تزيد عن ٥,٣٨٢ كلم٢ أو ما يساوي ٥٣٨ هكتاراً[2]. وإذا كانت الأراضي الزراعية قديماً تشكل ٦٥٪ أي ما يوازي ٣٥٠ هكتاراً، فإن ما يصيب الذكر الناضج في لحفد، إذا افترضنا المساواة في توزيع الملكية:

٣٥٠ هكتاراً ÷ ٤٨ ذكراً ناضجاً = ٧,٢٩ هكتاراً.

والكثافة السكانية في لحفد تبلغ:

٢٨٨ نسمة ÷ ٥,٣٨٢ كلم٢ = ٥٣,٥١ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد.

وهذه الكثافة عالية حيث يعتبر برودل أن الرقم الذي يتأكد عنده الاكتظاظ والذي لا بد أن تتجاوزه الحضارة لتعيش وتزدهر، في هذه الفترة موضوع الدراسة، هو ٣٠ نسمة في الكيلومتر المربع.[3]

١. خليل ساحلي اوغلي، المرجع السابق، ص ٥٨١–٥٨٢.
٢. لقد أفادنا بهذه الأرقام الباحث جان أبي رزق فله الشكر.
٣. فرنان برودل، المرجع السابق، ص ٥٩.

في هذا السياق يمكن أن نفهم هجرة العائلات من لحفد باتجاه النواحي اللبنانية المختلفة وخاصة باتجاه جبل لبنان الأوسط والجنوبي.

٢–١٢ القوة الشرائية لمجموع ضرائب لحفد (١٥٧١) بالنسبة لأسعار بعض السلع الأساسية

السلعة	وحدة الوزن	الثمن (بالآقجة)	الكمية الممكن شراؤها بمجموع الضرائب	ما يصيب منها الذكر الناضج (عددهم 39)
القمح	الكيلة (25.5 كلغ)	23.28	447.85	11.48 كيلة
الخبز	الكيلة	25.54	408.22	10.46 كيلة
لحم الغنم	الاقة (1283غ)	3	2655.33	89.11 اقة
قرقور الغنم	رأس الغنم	110	94.78 قرقوراً	2.43 قرقوراً
الأرز	الكيلة (نصف كيلة القمح)	33	315.93 كيلة	8.1 كيلة
العسل	القنطار (56.5 كلغ)	401.1	25.99 قنطاراً	0.666 قنطاراً
الحمص	الكيلة	30	347.53 كيلة	8.91 كيلة
حطب التدفئة	اقة (231 كلغ = 180)	12.12	860.23	22.05 اقة
القماش	المتر	7	1489.42	38.19 متراً
الزبدة	الاقة	42	248.23	6.36 اقة
السكر	الكيلة	33	315.93	8.1 كيلة
العنب الأسود	القنطار	87.99	118.49 قنطاراً	3.03 قنطاراً

في الدفتر ٦٨ (١٥١٩) تأتي لحفد رابع قرية في ناحية جبيل من حيث عدد السكان (قبلها تأتي جاج وحيقل وجبيل). وفي الدفترين ١٠١٧ (١٥٣٠) و٢٠٣ (١٥٤٧) تبقى القرية الرابعة أيضاً.

لكنها في النصف الثاني من القرن السادس عشر يتراجع موقعها بالنسبة لباقي قرى الناحية (الدفتر ١١٠٧ عام ١٥٥٤، والدفتر ٥١٣ عام ١٥٧١).

في لحفد كان هناك منظومة من البشر تكافح لاستغلال الأرض، فلاحون يبكّرون في جر المحاريث وعمال ينهضون باكراً إلى الحصاد والدرس. إنها الأراضي الجبلية الصعبة التي تفرض العمل المستمر خلال كل أيام السنة. لكن العوامل المختلفة لم تكن مساعدة لاستمرار التزايد الديمغرافي وتأمين السعرات الحرارية لهذا التزايد.

ويبدو أن عمليات الإحصاء الرسمية المتتالية، والتي كانت مصدرنا لدراسة الديمغرافية التاريخية والضرائب في بلدة لحفد، قد سمحت لنا بمتابعة التحولات الديمغرافية والاقتصادية في هذه البلدة في القرن السادس عشر. ولكن يبدو أن هذه الإحصاءات قد توقفت في مرحلة نظام الالتزام، في القرن اللاحق.

لقد عانى مجتمع لحفد في القرن السادس عشر – كما في القرون اللاحقة – من عسف جامعي الضرائب ومن جور الحكّام ومن غوائل الأمراض والمجاعة، فهاجر البعض وصمد البعض الآخر وانهار آخرون. وحري بنا في وعينا التاريخي، وذاكرتنا الجماعية، أن نتعمق في فهم مكامن الضعف في مجتمعنا والعوامل الداخلية والخارجية المؤدية لذلك، وأن نحسن بالمقابل معرفة مكامن القوة في نسيج هذا المجتمع فنعزز قدرة صموده وتقدمه، ونحفظ نعمة استقلالنا ونعمق تضامننا ونرسخ اعتمادنا على العلم لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل. وقدر لحفد أن يبقى لها موقعها في خريطة الجبل اللبناني وفي قلب بلاد جبيل، وأن تكون على الدوام قبلة العائلات العريقة التي تحدرت منها، وواجبنا كباحثين في مجال التاريخ أن نستمر في تجديد وسائل بحثنا وأصول مصادرنا معتبرين في كل حال أن الشعوب التي تحسن قراءَة التاريخ تحسن أيضاً صناعته.



الديمغرافية التاريخية لبيروت في القرن السادس عشر من خلال دفاتر التحرير العثمانية[1]

«دعوني ألفت نظركم إلى بيروت، تلك المدينة التي أعدها أجمل مدينة في العالم» هوارد بلس، ١٩٠٨/١٢/١٨

أولاً – مصادر الدراسة

تستند هذه الدراسة على خمسة إحصاءات عثمانية حصلت في أوقات متعددة من القرن السادس عشر. وهذه الإحصاءات موجودة في أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول تحت اسم دفاتر التحرير أو طابو دفتري مفصل[2]. باستثناء الدفتر ١٧٧ الموجود في أرشيف أنقرة. وكلها تندرج ضمن اسم ولاية شام شريف.

١. بحث قدم في المؤتمر الذي عقد في الجامعة اللبنانية بتاريخ ٢٨–٢٩–٣٠ نيسان ٢٠٠٩، وكان بعنوان قراءات متعددة لمدينة بيروت. إعداد قسم الأدب الفرنسي (الفرع ٢) وإشراف د. نجاة الصليبي الطويل.

٢. هي من أهم أنواع الدفاتر المحفوظة في الدفتر خانة وهي تحتوي على نتائج تحرير (أي تسجيل) الأراضي بشكل مفصّل. وكانت توجد نسخ أخرى من تلك الدفاتر موشحة بالطغراء في الأيالات التي ترجع إليها. ودفاتر التحرير هي مصادر إحصائية مفصّلة لا يوجد لها شبيه آخر على الإطلاق في مكان آخر، إذ تشكل مصدراً أساسياً للتاريخ الاجتماعي والديمغرافي والاقتصادي لكافة البلدان التي كانت تنضوي تحت راية الدولة العثمانية. دليل الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، استانبول، ٢٠٠٨، ص ١٢٤.

أرقام هذه الدفاتر وسنوات إجراء الإحصاء هي على الشكل التالي:

- الدفتر ٤٣٠ يعود للعام ١٥٢٥ م تقريباً (٩٣٢ هـ)[١].
- الدفتر ٣٨٣ يعود للعام ١٥٥٠ م[٢].
- الدفتر ٤٠١ يعود للعام ١٥٦٦ م[٣].
- الدفتر ٥٤٣ يعود للعام ١٥٦٨ م[٤].
- الدفتر ١٧٧ يعود للعام ١٥٩٥ م[٥].

أي أن الدفاتر الثلاثة الأولى تم وضعها تحت حكم السلطان سليمان القانوني أو سليمان الأول (١٥٢٠/٩/٣٠ – ١٥٦٦/٦/٧).

الدفتر الرابع وضع على أيام السلطان سليم الثاني (١٥٦٦/٩/٢٤ – ١٥٧٤).

الدفتر الخامس وضع في ظل السلطان محمد الثالث (١٥٩٥/١/٢٧ – ١٦٠٣/١٠/٢١)[٦].

وبيروت كانت، من الوجهة الإدارية، مركز ناحية بيروت. وناحية بيروت كانت تشكل مع صيدا سنجقاً واحداً، وفي فترات أخرى من القرن السادس عشر كانت ترتبط مباشرة بلواء شام شريف[٧].

ثانياً – بيروت قبيل الفتح العثماني

قسم المماليك المشرق العربي إلى ست ممالك تضاف إليها بعض النيابات المستقلة عندما تدعو الحاجة. وكانت مملكة دمشق أكبر الممالك. وقد قسمت إلى صفقات. والصفقة قسمت إلى ولايات. وبيروت كانت جزءاً من ولاية بيروت التي تضم الغرب والمتن وجبل كسروان. وهذه الولاية كانت مرتبطة بالصفقة الشمالية. وعلى رأسها كان يعين والي أو متولي[٨].

---

١. د. خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، استانبول، ٢٠٠٠، ص ٥٩.
٢. ذكر د. ساحلي انه يعود للعام ٩٥٤ هـ (١٥٤٧م) أو للعام ٩٥٥ هـ (١٥٤٨م) المرجع السابق، ص ٥٩.
٣. يذكر د. ساحلي انه يعود لأيام سليمان القانوني.
٤. بحسب ما ذكر د. محمد عدنان البخيت، دراسات في تاريخ بلاد الشام (سوريا ولبنان)، المجلد الثالث، منشورات IFPO، دمشق ٢٠٠٨، ص ١٤٧. بينما خليل ساحلي المرجع السابق، ص ٥٩، يعطي تاريخ الدفتر عام ٩٨١ هـ أي ١٥٧٣ م.
٥. محمد عدنان البخيت، المرجع السابق، ص ١٤٧. خليل ساحلي يعطي تاريخ ١٥٩٥ للدفتر.
٦. دليل الأرشيف العثماني، المرجع السابق، ص ٥٨٠.
٧. د. عصام خليفة، نواحي لبنان في القرن السادس عشر، بيروت ٢٠٠٤، ص ١٥٣.
٨. كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، منشورات كارافان، نيويورك، بيروت ١٩٧٩، ص ١٣١.

وفي أواخر عهد المماليك كان عدد سكان بيروت قليلاً[١]. وكانت محصنة بسورها وبرجيها مع السلسلة الممتدة بينهما إلى قلعتها. تزينها الأبنية التي شادها أمراء الغرب[٢].

وإذ يفرض ري Rey في كتابه «مستعمرات الفرنجة في سورية» لبيروت، في المرحلة الصليبية، «مساحة ٨٥٠ متراً طولاً في نحو ٦٠٠ م عرضاً»، يأتي دومسنيل Du Mesnil فينقص هذه المساحة إلى نحو نصفها. وهي مساحة قد توافق بيروت المملوكية أو بيروت فخر الدين، ولم يكن فيها إذ ذاك إلا ستة آلاف ساكن[٣]. واستحكامات بيروت كانت تتألف في القرن الخامس عشر، ما عدا سور البحر، أولاً من القلعة ثم من جهة الغرب من الحصن المعروف بالبرج الصغير أو البعلبكي المشيّد لمراقبة المرفأ ومدخل البحر وأخيراً من حصن مجاور للمدينة لحمايتها من جهة البر[٤].

وفي الجيلين السادس عشر والسابع عشر، يذكر المعلم بطرس البستاني أن سواحاً من الفرنج حضروا إلى بيروت «ووجدوا أنها محاطة بالأشجار المتنوعة التي أكثرها من شجر التوت وقالوا أن شغل الحرير أعظم أعمال أهاليها[٥]. لقد كانت مساحة الأراضي المجاورة الصالحة للزراعة آخذة بالتوسع مع انتقال سكان المدينة في موسم الأعمال الزراعية إلى البساتين والقرى البعيدة نسبياً والمحيطة بالمدينة. ويشار إلى هذه الظاهرة بالنزوح الموسمي. وقد لوحظ تبديل موسمي كبير في عدد سكان مدن صيدا وبيروت وطرابلس التي تحيطها بساتين ومزارع التوت. وهذا يدل على الدور الكبير الذي لعبته أشكال الاقتصاد الطبيعي في حياة المدن[٦].

ويورد شيخو أن عدد أهالي بيروت، في تلك الفترة، قد «قل إلى نحو العشرة الآف لما أصابها من الأوبئة. ذكر منها جلال الدين السيوطي في مقامته الطاعونية (ص ٦٩–٧٥) طاعون

---

١. المرجع السابق، ص ١٤٤.
٢. الأب لويس شيخو، بيروت تاريخها وآثارها، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٥، ص ٧٧. أما الأب لامنس فقد وصف بيروت في القرن الخامس عشر حيث قال: «في أسواقها الضيقة وطرقها الملتوية تزدحم الأقدام، فمن أصحاب العمائم أو الكفاف الحريرية، ومن لابسي البرانس البيض أو المضرّبات، ومن مدجج بالأسلحة المنزل فيها من الذهب والفضة والنحاس أشكال النقود، وكم من تاجر غني وأمير خطير يعثر بحمال وفقير! فيها التقت جميع الأمم واللغات، وتعارضت الألوان والأصوات، من زنجي السودان إلى الشركسي الأبيض، ومن الرومي النزق إلى البدوي لا تهزه ريح، ومن اليهودي المتلوّي إلى الاسباني المتغطرس، وقد اختلط بهم تجار البندقية وجنوى وبيزا. وعلى آثار هؤلاء مشى أهل كاستلونا وبروفانس انتجاعاً لأرباح التجارة في الشرق». (المشرق، ١٨٩٨، ص ١٧).
٣. رنا يوسف خوري، بيروت في المصنفات العربية، نصوص مختارة، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٣٢.
٤. رنا خوري، المرجع السابق، ص ١٦٣.
٥. المرجع نفسه، ص ١٨٣.
٦. ايرينا سميليا نسكايا، البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث. تعريب يوسف عطالله، دار الفارابي، ١٩٨٩، ص ١٤٦.

السنتين ٨٩٧ و٨٩٨ هـ (١٤٩١ – ١٤٩٢ م) الذي عم القطرين الشامي والمصري وفتك بأهل بيروت فذكّرهم بطاعون سابق وصفه ابن الوردي في رسالته «النبا عن الوبا» روى فيها ما ألمّ ببلاد الشام من نكباته[1]. ويورد اشتور، مستنداً إلى مصادر تعود إلى المرحلة، لائحة بجائحات الطاعون في المنطقة، ففي النصف الثاني من القرن الخامس عشر تفشى الطاعون في السنوات التالية (١٤٥٩ – ١٤٦٠ – ١٤٦٨ – ١٤٦٩ – ١٤٧٧ – ١٤٩٢ – ١٤٩٧ – ١٥٠٠ – ١٥١٣)[2].

ويذكر آشتور أن الأوبئة هي في العادة نتيجة للفقر والبؤس.

وفي رأي الديمغرافي الأميركي دولس أن وباء الطاعون تكرر ظهوره قرابة ٥٨ مرة خلال الفترة الممتدة من العام ١٣٤٧ حتى ١٥١٧. وهذا الوضع أدى إلى انخفاض كبير في عدد السكان، إضافة إلى الخسائر البشرية التي تكبدتها سوريا عند اجتياح تيمورلنك لها في العام ١٤٠٠[3].

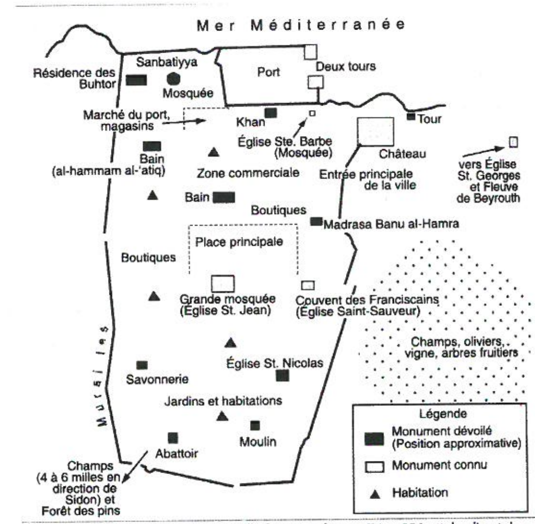
وإذا كان André Raymond في أبحاثه عن المدن العربية في العهد العثماني[4] قد ربط بين الحمام العمومي، في المدينة، والعدد التقريبي للسكان، فرجح، لكل حمام، ثلاثة إلى خمسة آلاف نسمة، فإن المعلومات الواردة في مؤلف صالح بن يحيى تشير إلى وجود حمامين عموميين في بيروت: الحمام العتيق، والحمام الذي عمّره النائب تنكيز. وانطلاقاً من ذلك يمكننا الترجيح أن عدد السكان في بيروت أواخر القرن الخامس عشر يقارب الثمانية آلاف نسمة، وأن مساحتها[5] على وجه التقريب ٢١,٠٩ هكتار وبذلك تكون الكثافة ٣٧٩ نسمة في الهكتار الواحد.

ولكن إذا وضعنا جانباً المساحات غير المبني عليها، (الحدائق، والساحات العامة، والشوارع الرئيسية) وركزنا على المساحات التي تتواجد البيوت عليها، يمكن ترجيح سكان بيروت على النحو التالي:

١. المرجع السابق، ص ٧٧.
٢. آ. آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبله، دار قتيبة، ١٩٨٥، ص ٣٩٦.
٣. ايرينا سميليا نسكايا، المرجع السابق، ص ٦٢. ويذكر شيخو أن الطاعون اجتاح بيروت في عامي ١٤٩١ و ١٤٩٢ (تاريخ بيروت، المرجع السابق، ص ١٠٨)، وابن سباط والبطريرك الدويهي يذكران أن الطاعون عاد واجتاح المدينة في عامي ١٤٩٧ و١٤٩٨ (ابن سباط، ج٢، ص ٩٢١)، (والدويهي تاريخ الأزمنة، ص ٢٠٠).
٤. Raymond, André “Signes urbains et étude de la population des grandes villes arabes à l’époque ottoman”, in La ville arabe, Alep, à l’époque ottoman (XVIe – XVIIIe siècles) Institut Français de Damas, 1998, pp. 103-113.
٥. La carte dressée par le Comte du Mesnil du Buisson

عدد الحد الأدنى من السكان	عدد الحد المتوسط من السكان	عدد الحد الأعلى من السكان
6000	8000	10000
الكثافة بالهكتار 284	الكثافة بالهكتار 379	الكثافة بالهكتار 474[1]

غير أن الرحالتين Joose Van Ghistele et Ludvico de Vartema اللذين مرّا ببيروت في اواخر القرن ١٥ وأوائل القرن ١٦ ذكرا بأن بيروت آهلة جداً. إلا أنهما لم يتطرقا إلى عدد السكان وربما كانت إشارتهما تدل على الكثافة أكثر مما تدل على العدد[2]. ومن شبه المؤكد ان عدد سكان بيروت قد تناقص في أواخر القرن ١٥ وأوائل القرن ١٦ بسبب الأمراض التي ضربت المدينة في الأعوام ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م، ٩٠٤ هـ/١٤٩٨ م، ٩٠٩ هـ/١٥٠٣ م[3].



Carte n° 3 : Plan approximatif de la ville de Beyrouth aux XIVe et XVe siècles d'après les informations fournies par les pèlerins occidentaux et par Ṣāliḥ Ibn Yaḥya.
Moukarzel, Pierre : « Les indices du développement urbain de Beyrouth (XIVe – XVe siècles) » in : *CHRONOS. Revue d'Histoire de l'Université de Balamand*, Numéro 19, 2009, p.147

* من مقال للدكتور بيار مكرزل في مجلة Chronos، العدد ١٩، ٢٠٠٩، ص ١٤٧.

١. راجع أطروحة الدكتورا للباحث بيار مكرزل:
Pierre Moukarzel, La ville de Beyrouth sous la domination Mamelouke (1291-1516) et son commerce avec l'Europe, Université de Poitiers, 2007
٢. المرجع السابق، ص ٧١.
٣. المرجع السابق، ص ٧١، نقلاً عن تاريخ حمزة ابن سباط، ج٢، ص ٩٤، وص ٩٢١، وص ٩٢٨.

ثانياً – عرض مضمون الدفاتر

إذا دققنا في وضع بيروت وأسماء سكانها في الدفاتر التي أطلعنا عليها لأمكننا التوصل لمعطيات عدة منها:

أ) الانتماء الديني العام

الدفتر ٤٣٠ (عام ١٥٢٥):

يعرض الدفتر الذكور الناضجين على النحو التالي:

- عدد المسلمين ٤٨٨ أي ما يوازي ٨٥,٦٪
- عدد المسيحيين ٦٦ أي ما يوازي ١٢,٢٪
- عدد اليهود ١٢ أي ما يوازي ٢,٢٪

المجموع ٥٦٦ ذكراً ناضجاً.

وعدد النفوس العام: ٥٦٦ × ٦ = ٣٣٩٦ نسمة.

من اللافت أن الدفتر لم يقسم أسماء السكان على محلات، وإنما كان تقسيم الأسماء على أساس الانتماء الديني.

ب) على صعيد نسب المتزوجين والعازبين

- المسلمون: ٤٦٢ ذكراً ناضجاً متزوجاً، أي ما نسبته ٩٤,٧٪
  ٢٦ عازبين (مجرد) ٥,٣٪
  ١٤ إماماً (نفترض أنهم من المتزوجين) ٢,٩٪
- المسيحيون: ٦٦ كلهم متزوجون.
- اليهود: ١٢ كلهم متزوجون.

ج) الانتماء المذهبي

لا نستطيع الجزم بنسب الطوائف في المدينة. وإنما نستطيع الترجيح بأن الأكثرية الإسلامية كانت من السنة، وهناك وجود واضح للشيعة الأثني عشرية، وكذلك ثمة وجود للدروز (٣١

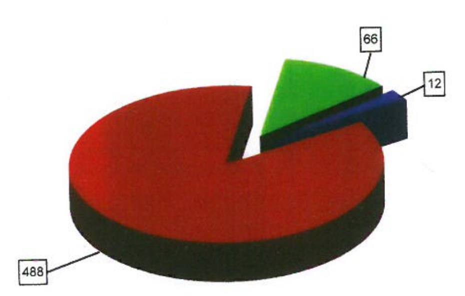
مرة اسم علي واسم حسن وحسين). والمسيحيون كانوا في الأغلب من الروم الملكيين وكان هناك وجود للموارنة.

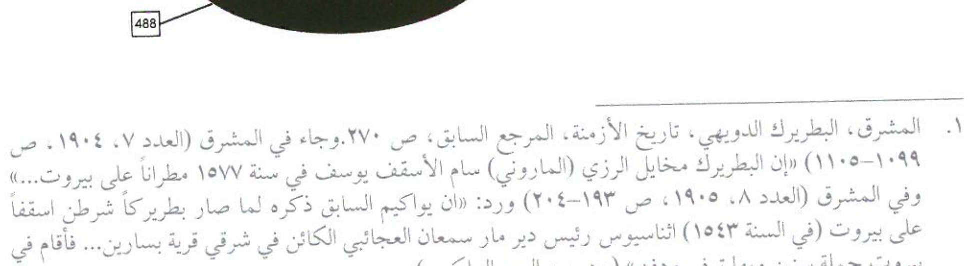
فقد جاء في أخبار العام ١٥٧٠ عند البطريرك الدويهي: «في هذه السنة أهالي بيروت وضعوا يدهم على كنيسة الموارنة فهجروها وجعلوها قيسارية ولم يتبقَ للطائفة إلا كنيسة ماري جرجس الذي كانت خارج المدينة، فاجتمع الشيخ أبو منصور يوسف ابن حبيش مع مشايخ بيت الدهان واتفقوا على أن طائفة الروم وطائفة الموارنة يشتركوا في كنيسة ماري جرجس التي للموارنة خارج بيروت وفي كنيسة السيدة التي للملكية بداخل المدينة».[1]

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٤٣٠ (١٥٢٥م)

الطائفة	خانة	مجرد	إمام	المجموع العام	النسبة بالمئة
المسلمون	٤٦٢	٢٦	١٤	٤٨٨	٨٦،٢
جماعت نصارى	٦٦			٦٦	١١،٧
جماعت يهود	١٢			١٢	٢،١
المجموع	**٥٤٠**	**٢٦**	**١٤**	**٥٦٦**	
عدد النفوس في بيروت	٥٦٦ × ٦ = ٣٣٩٦				

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٤٣٠ (١٥٢٥م)





1. المشرق، البطريرك الدويهي، تاريخ الأزمنة، المرجع السابق، ص ٢٧٠.وجاء في المشرق (العدد ٧، ١٩٠٤، ص ١٠٩٩–١١٠٥) «إن البطريرك مخايل الرزي (الماروني) سام الأسقف يوسف في سنة ١٥٧٧ مطراناً على بيروت...» وفي المشرق (العدد ٨، ١٩٠٥، ص ١٩٣–٢٠٤) ورد: «ان يواكيم السابق ذكره لما صار بطريركاً شرطن اسقفاً على بيروت (في السنة ١٥٤٣) اثناسيوس رئيس دير مار سمعان العجائبي الكائن في شرقي قرية بسارين... فأقام في بيروت جملة سنين وبها توفي ودفن» (وهو من الروم الملكيين).

٢- الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠ م):

أ) التقسيم الجغرافي

- يقسم الإحصاء المدينة إلى ١٦ محلة.
- ولا ندري إذا كان النصارى في محلة خاصة بهم.
- وكذلك اليهود.

ب) الانتماء الديني:

- مجموع الذكور الناضجين من المسلمين: ٨٣٩ ذكراً ناضجاً أي ٥, ٨٦٪
- مجموع الذكور الناضجين من المسيحيين: ١٢٦ ذكراً ناضجاً أي ٨, ١٢٪
- مجموع الذكور الناضجين من اليهود: ١٦ ذكراً ناضجاً أي ٦, ١٪

ويكون المجموع العام ٩٨١ ذكراً ناضجاً

ج) على صعيد نسب المتزوجين والعازبين:

- ثمة ٦٣٣ متزوجاً مسلماً.
- وثمة ١٨٧ عازباً مسلماً (٥٤, ٢١٪)
- ونفترض أن الأئمة (١٧) والمؤذنين (٢) هم من المتزوجين فتصبح نسبة المتزوجين المسلمين ٢٦, ٧٨٪.
- بالنسبة للمتزوجين النصارى عددهم ٩٥ أي ٤, ٧٥٪
- والعازبون ٣٠ أي ٨١, ٢٣٪.
- وثمة ذكر أعمى واحد
- واليهود كلهم متزوجون ١٦ أي ١٠٠٪.

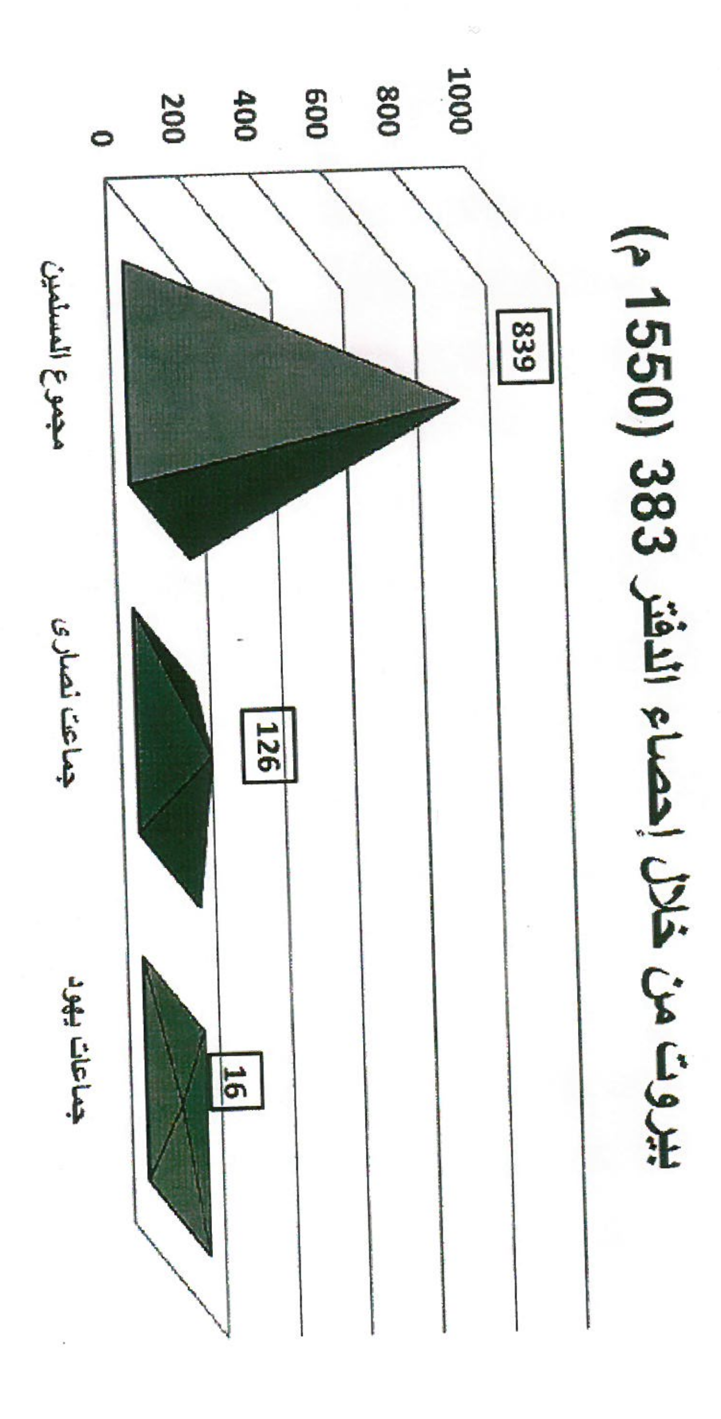
د) الانتماءات المذهبية هي نفسها كما ذكرنا في الدفتر السابق ٤٣٠.

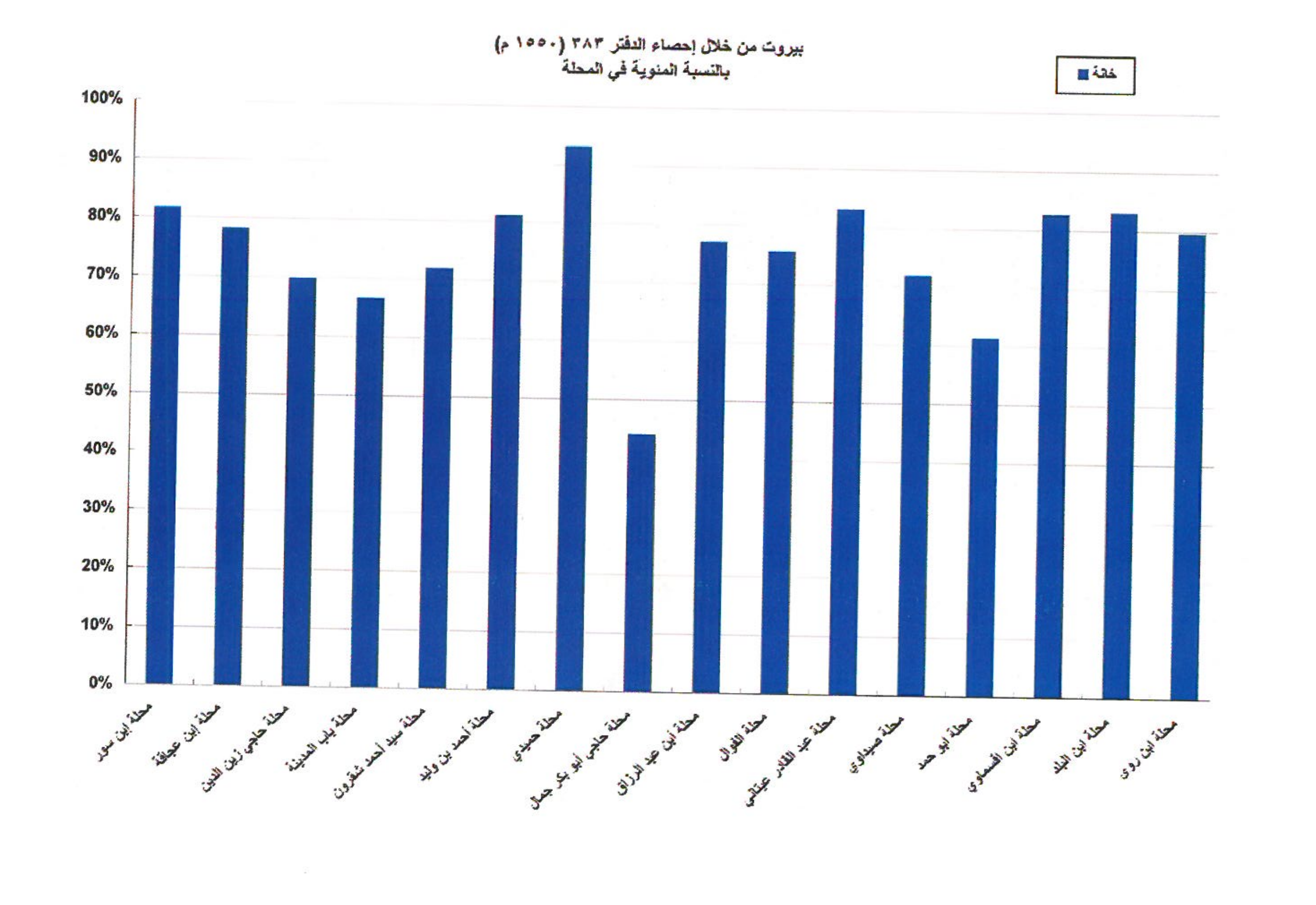
هـ) الزيادة السنوية عند المسلمين: ٩, ٢١ بالألف.

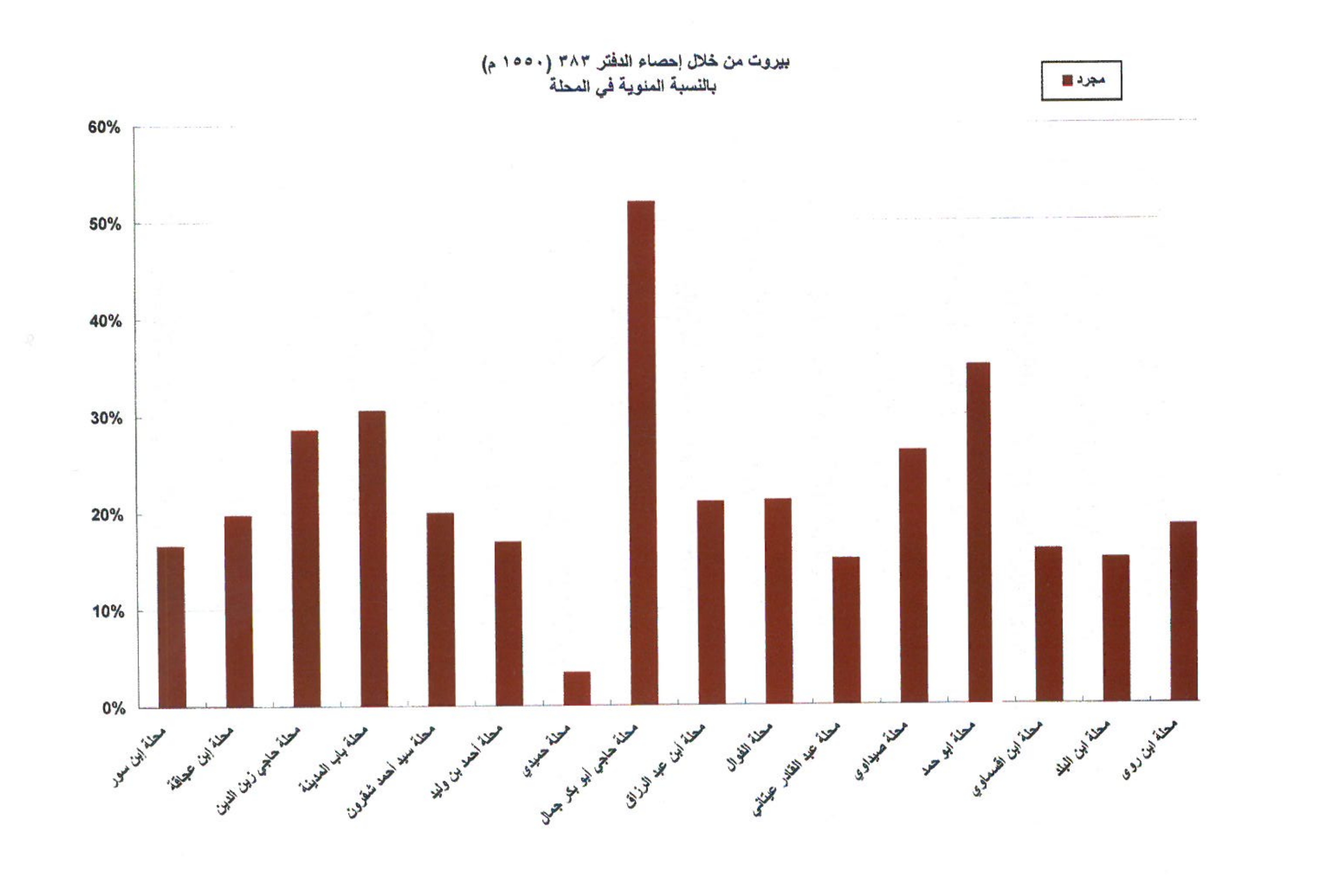
الزيادة السنوية عند المسيحيين: ٢, ٢٦ بالألف.

الزيادة السنوية عند اليهود: ٦, ١١ بالألف.

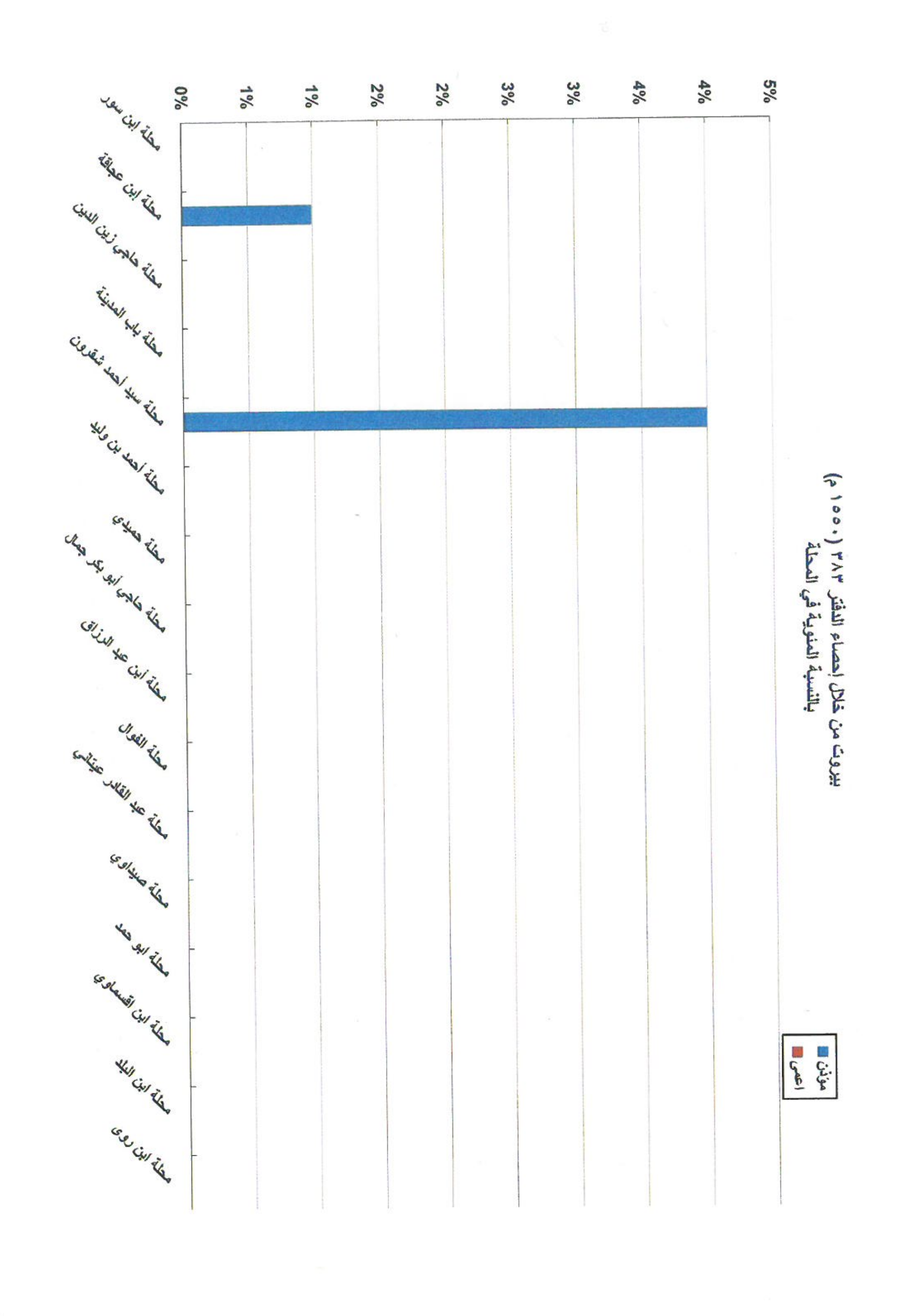
معدل المجموع العام: ٢, ٢٢ بالألف.

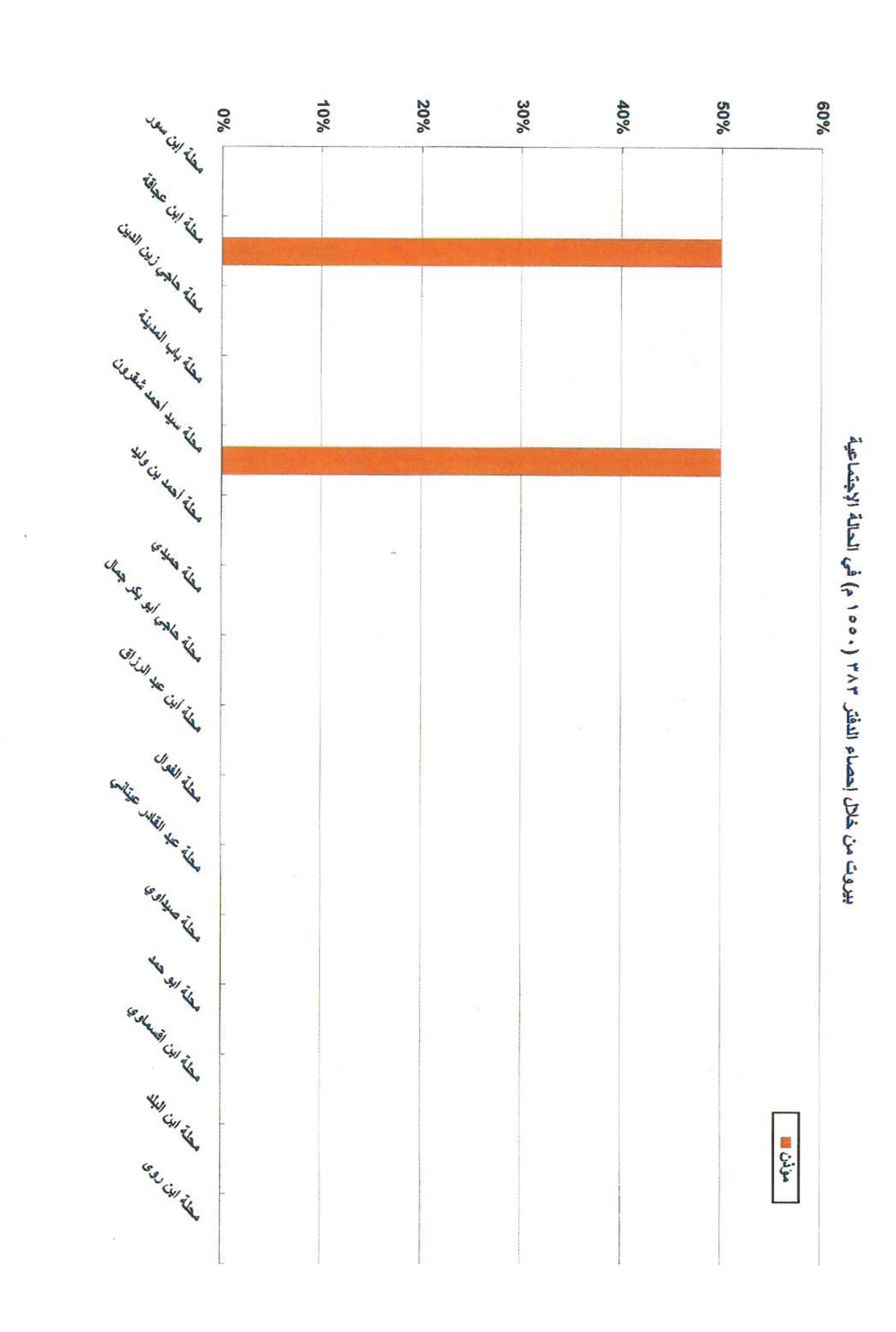


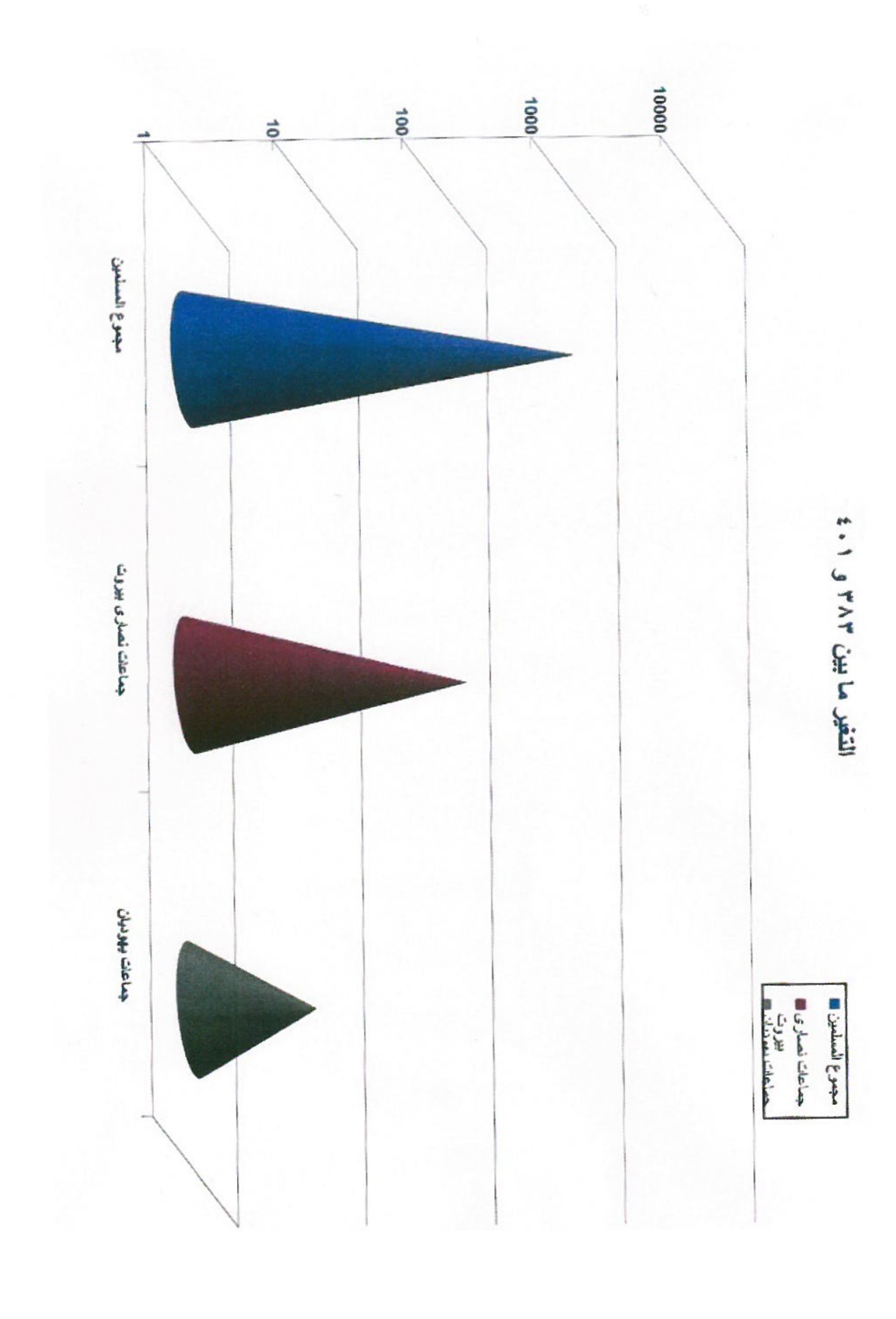

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠ م)
بالنسبة المئوية في المحلة
خانة
100%
90%
80%
70%
60%
50%
40%
30%
20%
10%
0%
محلة ابن سور
محلة ابن عجاقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة الفوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة أبو حمد
محلة ابن القسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى

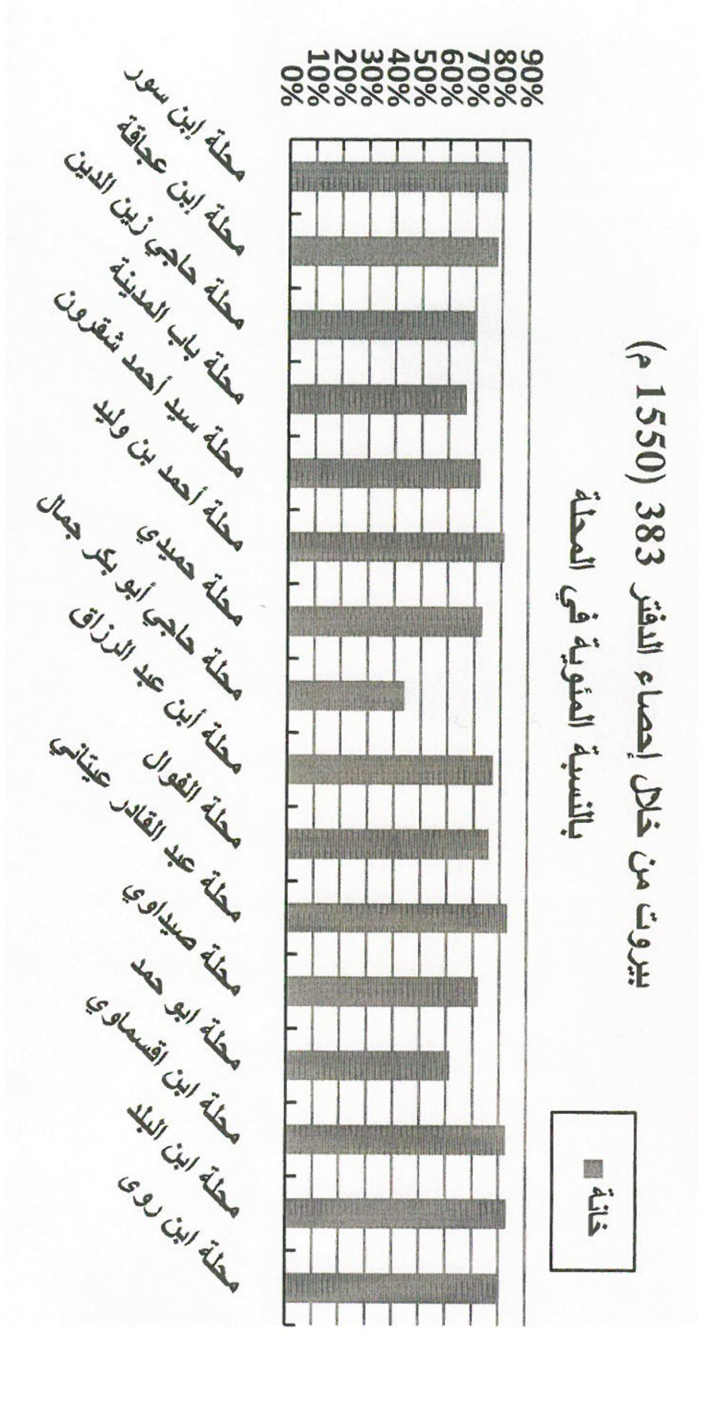

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠ م)
بالنسبة المئوية في المحلة
مجرد
60%
50%
40%
30%
20%
10%
0%
محلة ابن سور
محلة ابن عجاقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة الفوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة أبو حمد
محلة ابن القسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى

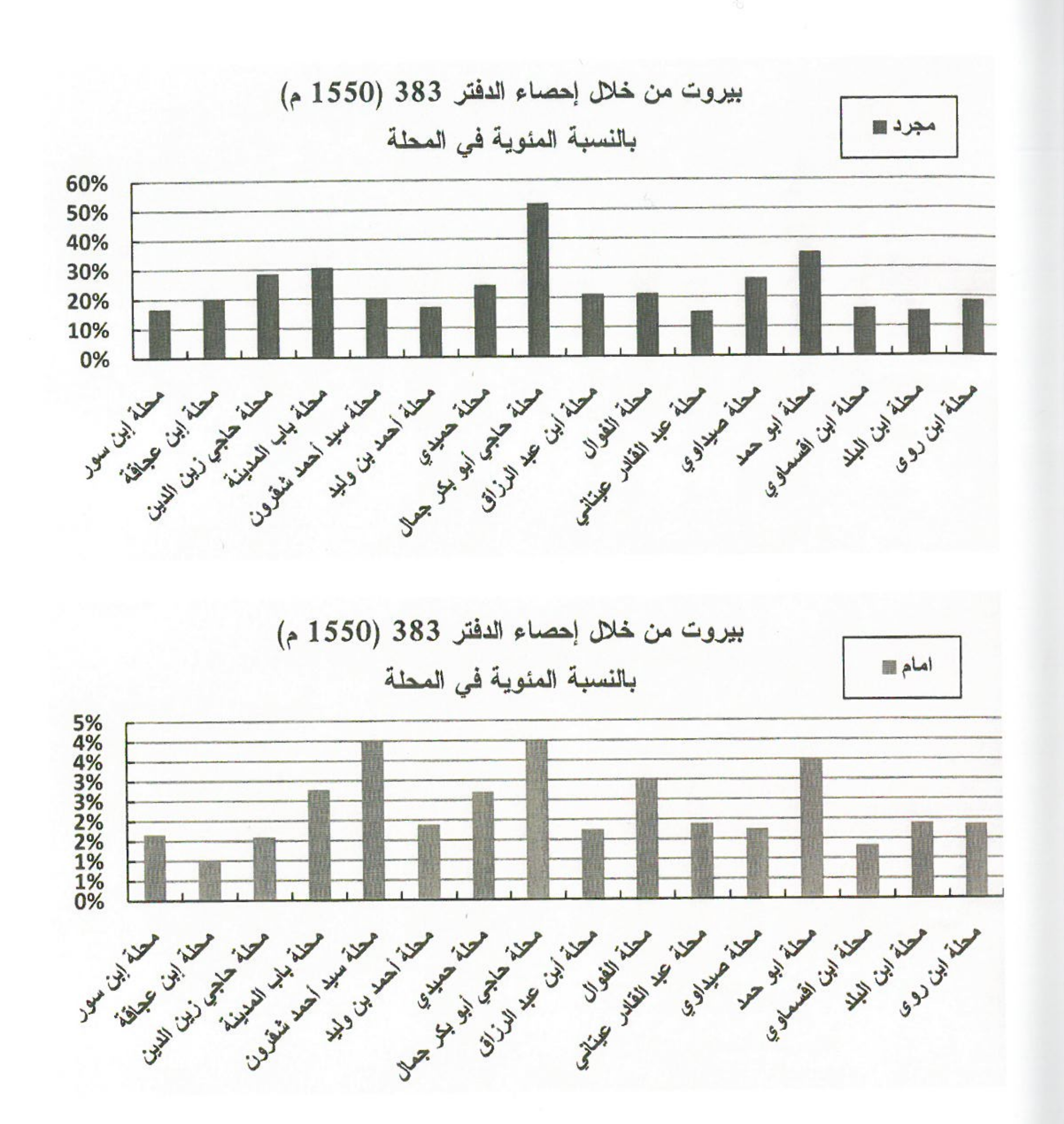

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠ م)
بالنسبة المئوية في المحلة
امام
0%
1%
1%
2%
2%
3%
3%
4%
4%
5%
محلة ابن سور
محلة ابن عجيقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة القوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة ابو حمد
محلة ابن اقسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى

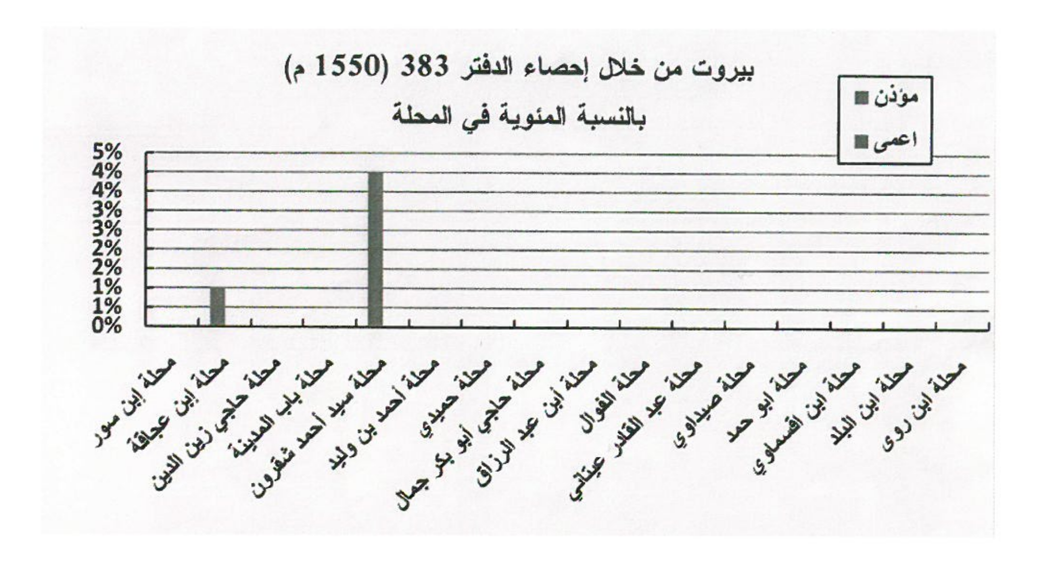

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٣٨٣ (١٥٥٠ م)
بالنسبة المئوية في المحلة
مؤذن
اعمى
0%
1%
1%
2%
2%
3%
3%
4%
4%
5%
محلة ابن سور
محلة ابن عجيقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة القوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة ابو حمد
محلة ابن اقسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى


بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٣٨٢ (١٥٠٠م) في الحالة الاجتماعية
0%
10%
20%
30%
40%
50%
60%
محلة ابن سور
محلة ابن عجاقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة حميدي
محلة القوال
محلة صيداوي


التغير ما بين ٣٨٢ و ٤٠١
1
10
100
1000
10000
مجموع المسلمين
جماعات نصارى بيروت


بيروت من خلال إحصاء الدفتر 383 (1550 م)
بالنسبة المئوية في المحلة
خانة
0%
10%
20%
30%
40%
50%
60%
70%
80%
90%
محلة ابن سور
محلة ابن عجاقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة الفوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة أبو حمد
محلة ابن اقسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى


بيروت من خلال إحصاء الدفتر 383 (1550 م)
بالنسبة المئوية في المحلة
مجرد
60%
50%
40%
30%
20%
10%
0%
محلة ابن سور
محلة ابن عجاقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة الفوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة أبو حمد
محلة ابن اقسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى
بيروت من خلال إحصاء الدفتر 383 (1550 م)
بالنسبة المئوية في المحلة
امام
5%
4%
4%
3%
3%
2%
2%
1%
1%
0%
محلة ابن سور
محلة ابن عجاقة
محلة حاجي زين الدين
محلة باب المدينة
محلة سيد أحمد شقرون
محلة أحمد بن وليد
محلة حميدي
محلة حاجي أبو بكر جمال
محلة ابن عبد الرزاق
محلة الفوال
محلة عبد القادر عيتاني
محلة صيداوي
محلة أبو حمد
محلة ابن اقسماوي
محلة ابن البلد
محلة ابن روى



الدفتر ٤٠١ (١٥٦٦):

من خلال ما ورد في هذا الدفتر عن بيروت يمكننا أن نستنتج المعطيات التالية:

أ) التقسيم الجغرافي:

ثمة ١٨ زقاق أو محلة. هناك محلة لم تعد موجودة رغم أنها وردت في الإحصاء السابق. وثمة ثلاث محلات جديدة (زقاق سليمان المصري، زقاق عبد القادر الخطيب، زقاق عبد الرزاق).

والجدير ذكره أن قسماً من هذه المحلات «شهر باسم بعض الأشخاص من الذين سكنوا في ذلك الحي. كذلك نلاحظ أحياء عرفت بمهنة أحد القاطنين هناك، كالفوّال أو ابن اقسماوي أي بائع الأشربة والمرطبات... وذكر أسماء محلات جديدة في الدفتر يدل على الأغلب على نمو المدينة»[1].

١. د. محمد عدنان البخيت، دراسات في تاريخ بلاد الشام «سوريا ولبنان»، المجلد ٣، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٤٨.

الانتماء الديني:

مجموع عدد المسلمين ٧٥٦ ذكراً ناضجاً أي ٨٩٪.

مجموع عدد المسيحيين ٦٩ ذكراً ناضجاً أي ٨,٦٪.

مجموع عدد اليهود ١٩ ذكراً ناضجاً أي ٢,٤٪.

المجموع العام ٨٤٤

ج) نسب المتزوجين والعازبين:

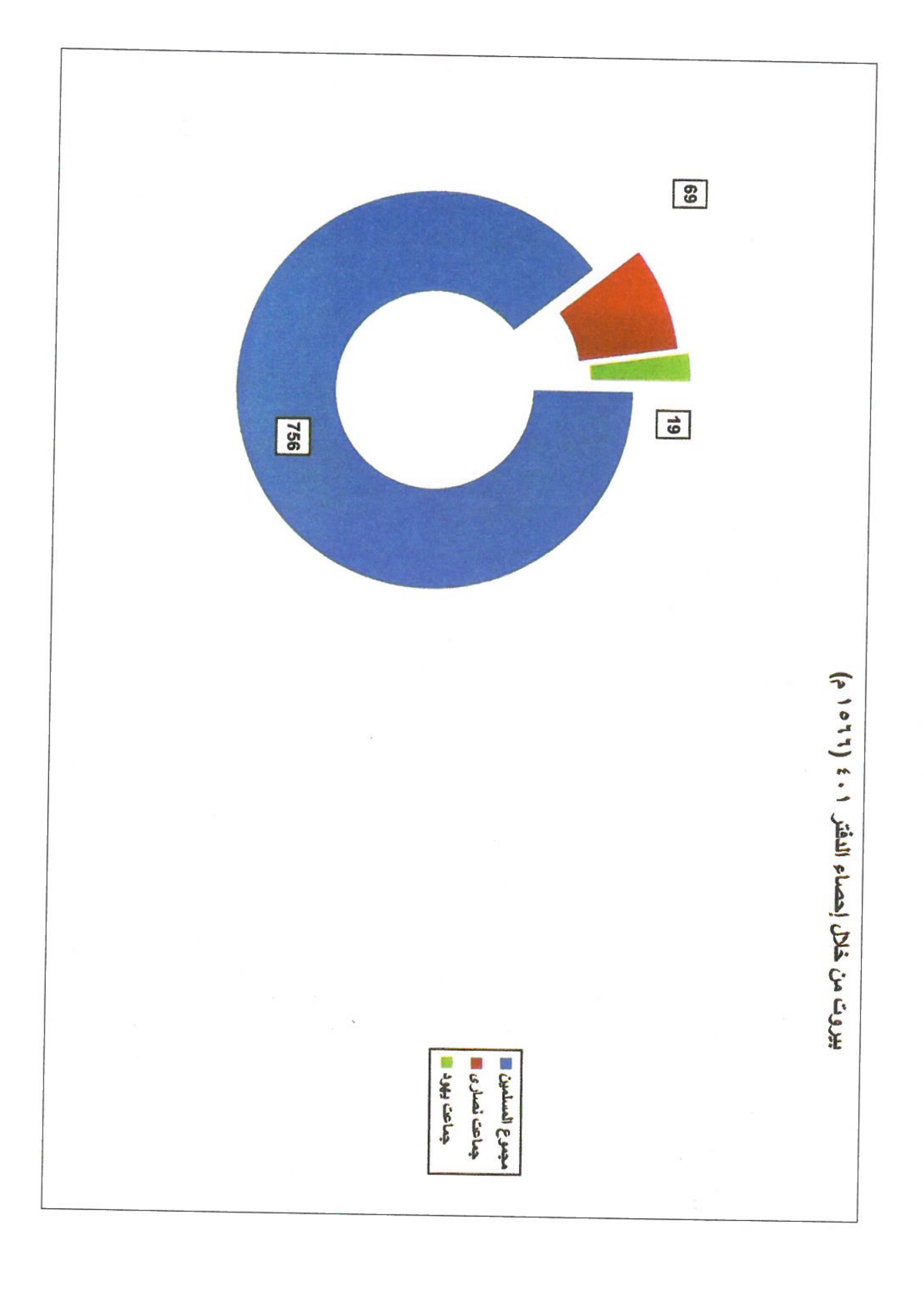
- هناك ٧٢٨ متزوج مسلم يضاف إليهم ١٤ إمام وشريف وسيّد.
- وهناك ١٤ عازباً مسلماً.
- وهناك ٦٦ متزوج نصراني و٣ عازبين.

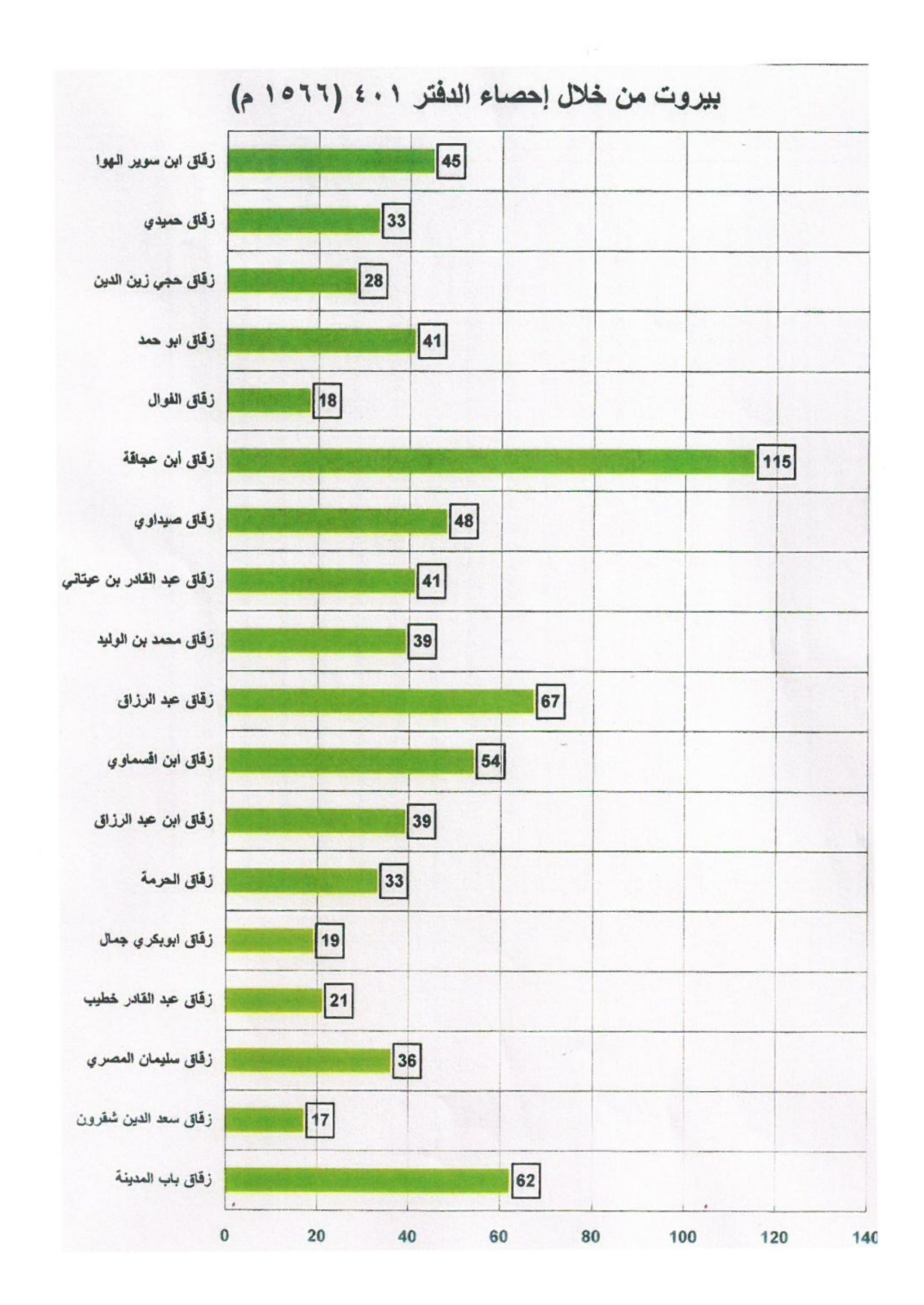
وثمة ١٩ يهودياً كلهم متزوجون.

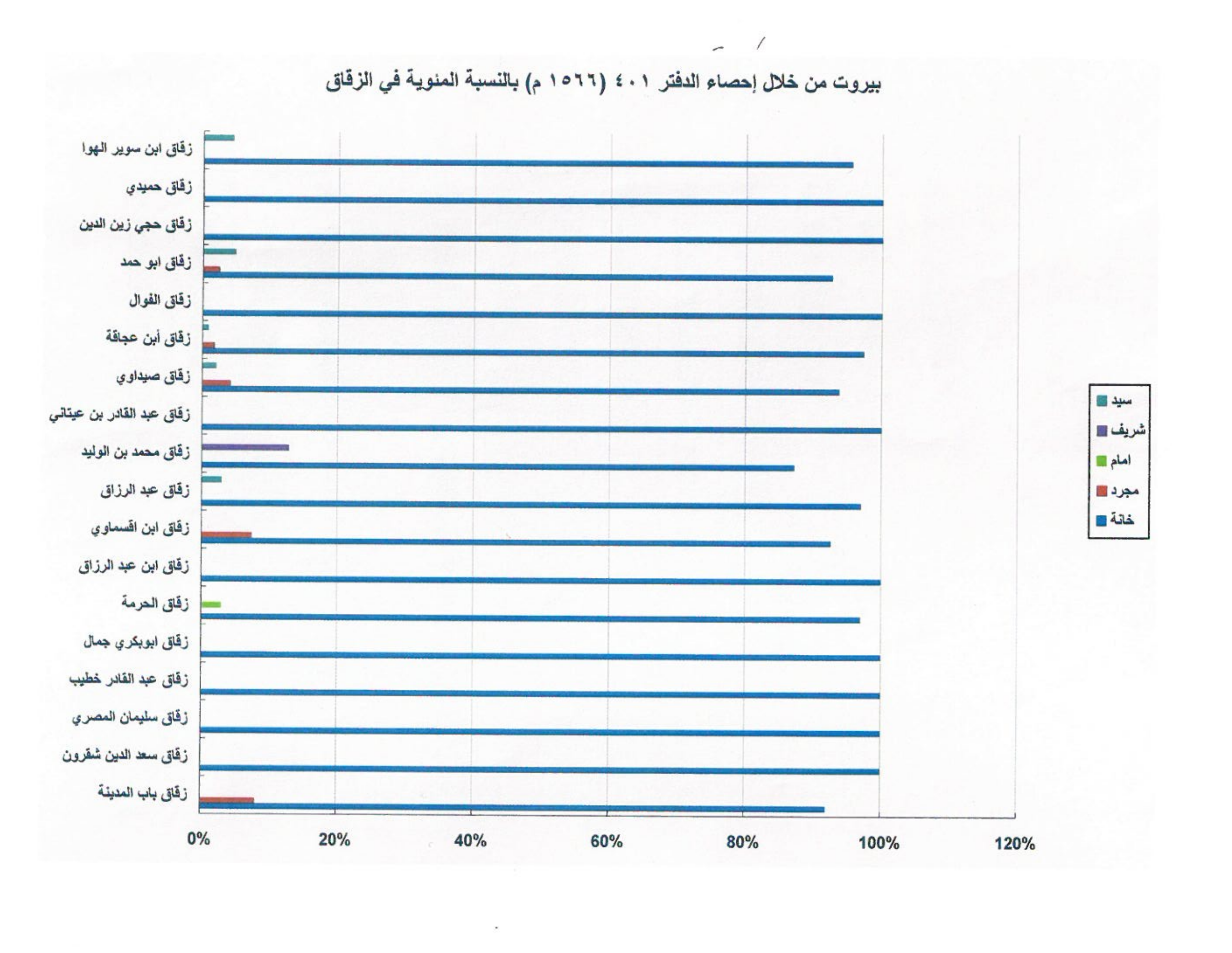
د) الانتماءات المذهبية كما في السابق متنوعة.

هـ) نسبة الزيادة بالألف بين إحصاء ١٥٥٠ وإحصاء ١٥٦٦:

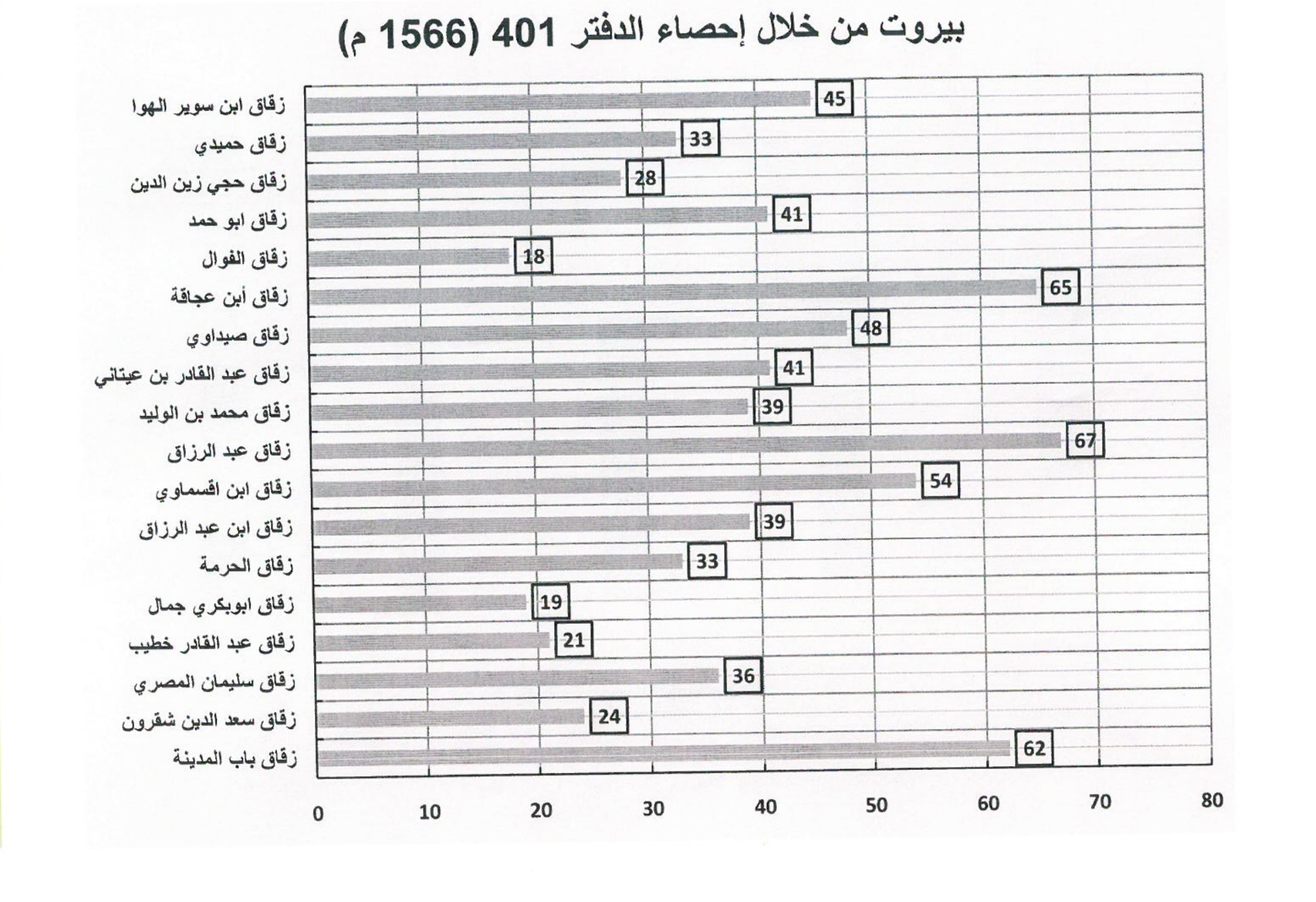
لقد حصل تناقص عند المسلمين بنسبة ١٠,١ - بالألف سنوياً وعند النصارى حصل تراجع كبير نسبته ٣٦,٩ - بالألف سنوياً. بينما اليهود كانت الزيادة عندهم ١٠,٨+ بالألف سنوياً. وبالنسبة للمجموع العام كان التناقص في بيروت ١٢,٦ - بالألف سنوياً.


بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٤٠١ (١٥٦٦ م)
756
69
19
مجموع المسلمين
جماعت نصارى
جماعت يهود


بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٤٠١ (١٥٦٦ م)
زقاق ابن سوير الهوا 45
زقاق حميدي 33
زقاق حجي زين الدين 28
زقاق ابو حمد 41
زقاق الفوال 18
زقاق ابن عجاقة 115
زقاق صيداوي 48
زقاق عبد القادر بن عيتاني 41
زقاق محمد بن الوليد 39
زقاق عبد الرزاق 67
زقاق ابن اقسماوي 54
زقاق ابن عبد الرزاق 39
زقاق الحرمة 33
زقاق ابوبكري جمال 19
زقاق عبد القادر خطيب 21
زقاق سليمان المصري 36
زقاق سعد الدين شقرون 17
زقاق باب المدينة 62
0
20
40
60
80
100
120
140



بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٤٠١ (١٥٦٦ م) بالنسبة المئوية في الزقاق
زقاق ابن سوير الهوا
زقاق حميدي
زقاق حجي زين الدين
زقاق ابو حمد
زقاق الفوال
زقاق أبن عجاقة
زقاق صيداوي
زقاق عبد القادر بن عيتاني
زقاق محمد بن الوليد
زقاق عبد الرزاق
زقاق ابن اقسماوي
زقاق ابن عبد الرزاق
زقاق الحرمة
زقاق ابوبكري جمال
زقاق عبد القادر خطيب
زقاق سليمان المصري
زقاق سعد الدين شقرون
زقاق باب المدينة
0%
20%
40%
60%
80%
100%
120%
سيد
شريف
امام
مجرد
خانة



بيروت من خلال إحصاء الدفتر 401 (1566 م)
زقاق ابن سوير الهوا 45
زقاق حميدي 33
زقاق حجي زين الدين 28
زقاق ابو حمد 41
زقاق الفوال 18
زقاق أبن عجاقة 65
زقاق صيداوي 48
زقاق عبد القادر بن عيتاني 41
زقاق محمد بن الوليد 39
زقاق عبد الرزاق 67
زقاق ابن اقسماوي 54
زقاق ابن عبد الرزاق 39
زقاق الحرمة 33
زقاق ابوبكري جمال 19
زقاق عبد القادر خطيب 21
زقاق سليمان المصري 36
زقاق سعد الدين شقرون 24
زقاق باب المدينة 62
0
10
20
30
40
50
60
70
80

الدفتر ٥٤٣ (١٥٦٨ م)

أ) التقسيم الجغرافي:

لا يعرض الإحصاء الوارد في هذا الدفتر أسماء محلات أو أزقة وإنما يقسم المدينة إلى محلتين:

- المحلة الفوقانية (ربما المنطقة العالية من المدينة).
- المحلة التحتانية (الأرجح أنها القريبة من المرفأ أو البحر).

ب) الانتماء الديني:

المسلمون من الذكور الناضجين عددهم ١٠٠١ أي ٨٧,٠٤٪

النصارى من الذكور الناضجين عددهم ١٤٠ أي ١٢,١٧٪

اليهود من الذكور الناضجين عددهم ـــ٩ــ أي ٠,٧٨٪

المجموع ١١٥٠

ج) العازبون والمتزوجون

- عدد المسلمين المتزوجين يضاف إليهم على الأرجح، مؤذنين و٣ خطباء فيصبح العدد ٤٨٥.
- عدد العازبين المسلمين ٧٢.
- عدد المسيحيين المتزوجين ١٤٠ (أي الجميع).
- عدد اليهود المتزوجين ٩.

هـ) نسبة الزيادة السنوية بالألف بين الدفترين ٤٠١ و ٥٤٣

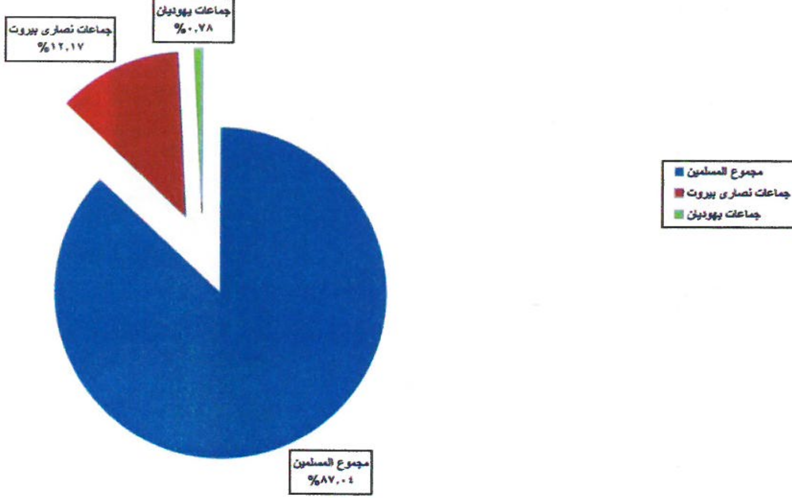
- المسلمون كانت الزيادة السنوية بالألف عندهم ١٨٤,٩ بالألف.
- المسيحيون كانت الزيادة السنوية بالألف عندهم ٤٢٤,٤ بالألف.
- اليهود كان هناك تناقص بنسبة ٣١١,٨ – بالألف.

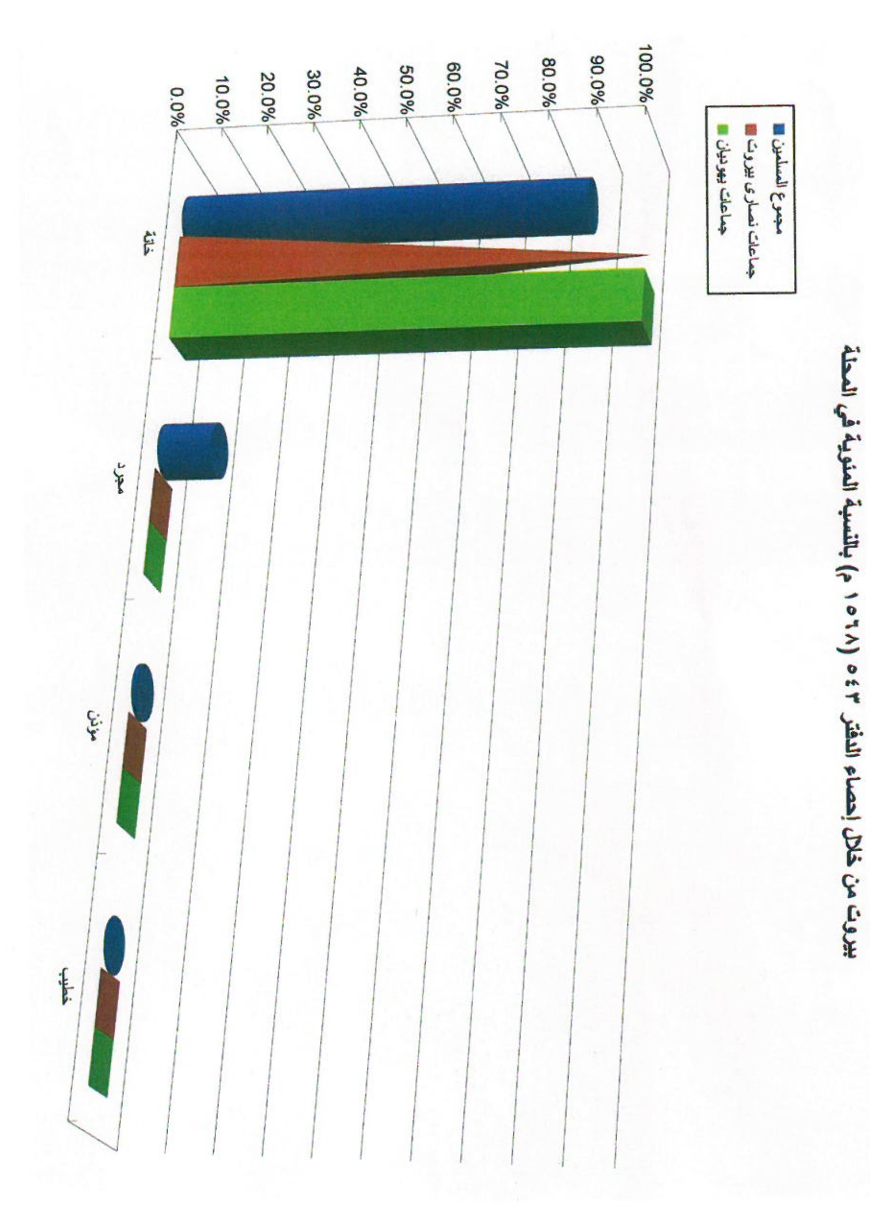
معدل المجموع العام للزيادة ١٩٨,٢ بالألف.

٣-٢ بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٥٤٣ (١٥٦٨م)

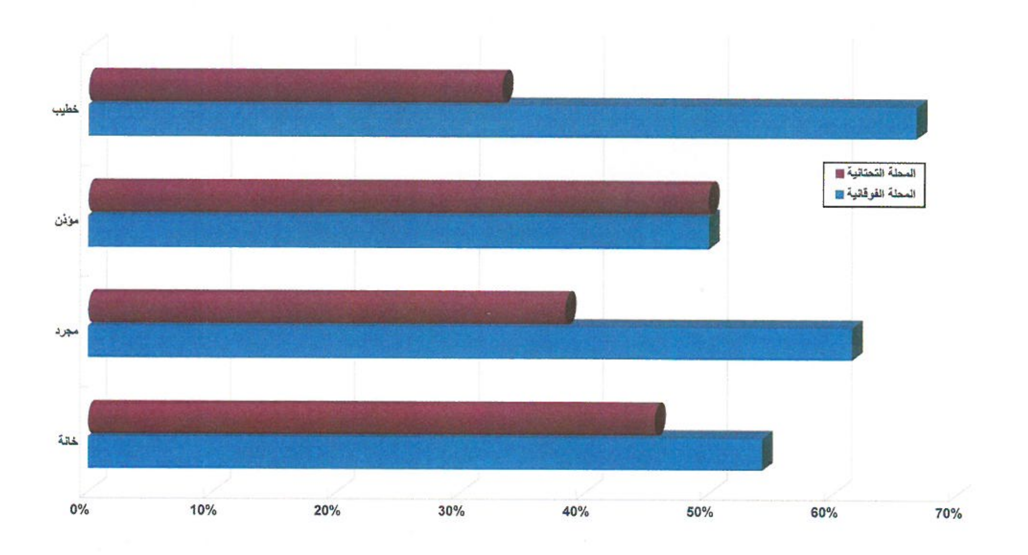
اسم المحلة	خانة	مجرد	مؤذن	خطيب	المجموع العام
المحلة الفوقانية	474	72	4	2	552
المحلة التحتانية	399	45	4	1	449
مجموع المسلمين	873				1001
جماعة نصارى بيروت	140	117	8	3	140
جماعة يهوديان	9				9
المجموع العام	**1022**	**117**	**8**	**3**	**1150**

بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٥٤٣ (١٥٦٨ م)





بيروت من خلال إحصاء الدفتر ٥٤٣ (١٥٦٨ م) بالنسبة المئوية في الحالة الإجتماعية



٥. الدفتر ١٧٧ (١٥٩٥م)

أ) التقسيم الجغرافي:

يشابه هذا الدفتر، في تقسيمه بيروت، الدفتر السابق فيقسمها إلى المحلة الفوقانية والمحلة التحتانية، مع جماعت نصارى وجماعت يهود.

ب) الانتماء الديني:

- مجموع المسلمين الناضجين من الذكور ٨٣٠ أي ٨٣,٨٣٪
- مجموع النصارى الناضجين من الذكور ١٥٠ أي ١٥,١٥٪
- مجموع اليهود الناضجين من الذكور ١٠ أي ١,٠١٪.

المجموع ٩٩٥

ج) العازبون والمتزوجون

- إذا افترضنا أن المؤذنين والخطباء هم من المتزوجين لأصبح العدد ٦٦٠ متزوجاً.
- وعدد العازبين المسلمين ١٧٠ عازباً.
- والمتزوجون المسيحيون ١١٠.
- والعازبون المسيحيون ٤٠.
- والمتزوجون اليهود ٩.
- وثمة عازب يهودي واحد.

د) المذاهب:

كما في السابق.

هـ) الزيادة السنوية بالألف بين الدفتر ٥٤٣ و ١٧٧

بين إحصاء الدفتر ٥٤٣ وإحصاء الدفتر ١٧٧ يمكن التوصل إلى النتائج التالية بالنسبة للزيادة:

- ثمة تراجع عند المسلمين بما يقارب ٦,٩ - بالألف سنوياً.
- أما عند النصارى فثمة زيادة ٢,٦ بالألف سنوياً.
- وعند اليهود هناك زيادة ٣,٩ بالألف سنوياً.

وفي المجموع العام حصل تراجع بنسبة ٥,٥- بالألف سنوياً.

أما إذا انطلقنا من الدفترين ٤٣٠ (اي عام ١٥٢٥م) و١٧٧ (١٥٩٦م)، وحاولنا أن نستقرئ نسبة الزيادة السنوية بالألف لتوصلنا إلى المعطيات التالية:

- الزيادة السنوية بالألف عند المسلمين ٧,٦+
- الزيادة السنوية بالألف عند النصارى ١١,٨+
- أما عند اليهود فقد حصل تراجع بما يوازي ٢,٦ - بالألف سنوياً.

وعلى صعيد المجموع العام للذكور الناضجين في مدينة بيروت فالزيادة السنوية كانت ٨ بالألف.[١]

١. ذكر خليل ساحلي اوغلي أن نسبة أهل بيروت إلى سكان اللواء ٤٨,١٪ وعلى سكان الولاية ١٤,٠٪. خليل اوغلي، المرجع السابق، ص ٨٢.

٣-٣ بيروت من خلال إحصاء الدفتر ١٧٧ (١٥٩٥م)

اسم المحلة	خانة	مجرد	مؤذن وخطيب	المجموع العام
المحلة الفوقانية	411	90	4	505
المحلة التحتانية	245	80		325
مجموع المسلمين	656	170	4	830
جماعت نصارى بيروت	110	40		150
جماعت يهوديان	9	1		10
المجموع العام	**775**	**211**	**4**	**990**

٣-٤ التغير ما بين الدفترين ٥٤٣ و ١٧٧

اسم المحلة	خانة	مجرد	مؤذن وخطيب	المجموع العام
المحلة الفوقانية	-13.3%	25.0%	-33.3%	-8.5%
المحلة التحتانية	-38.6%	77.8%	-100.0%	-27.6%
مجموع المسلمين	-24.9%	45.3%	-63.6%	-17.1%
جماعت نصارى بيروت	-21.4%			7.1%
جماعت يهوديان	0.0%			11.1%
المجموع العام	**-24.2%**	**80.3%**	**-63.6%**	**-13.9%**

٣-٥ التغير ما بين الدفترين ٤٣٠ و ١٧٧

اسم المحلة	خانة	مجرد	مؤذن وخطيب	المجموع العام
مجموع المسلمين	42.0%	553.8%	-71.4%	70.1%
جماعت نصارى بيروت	66.7%			127.3%
جماعت يهوديان	-25.0%			-16.7%
المجموع العام	**43.5%**	**711.5%**	**-71.4%**	**74.9%**

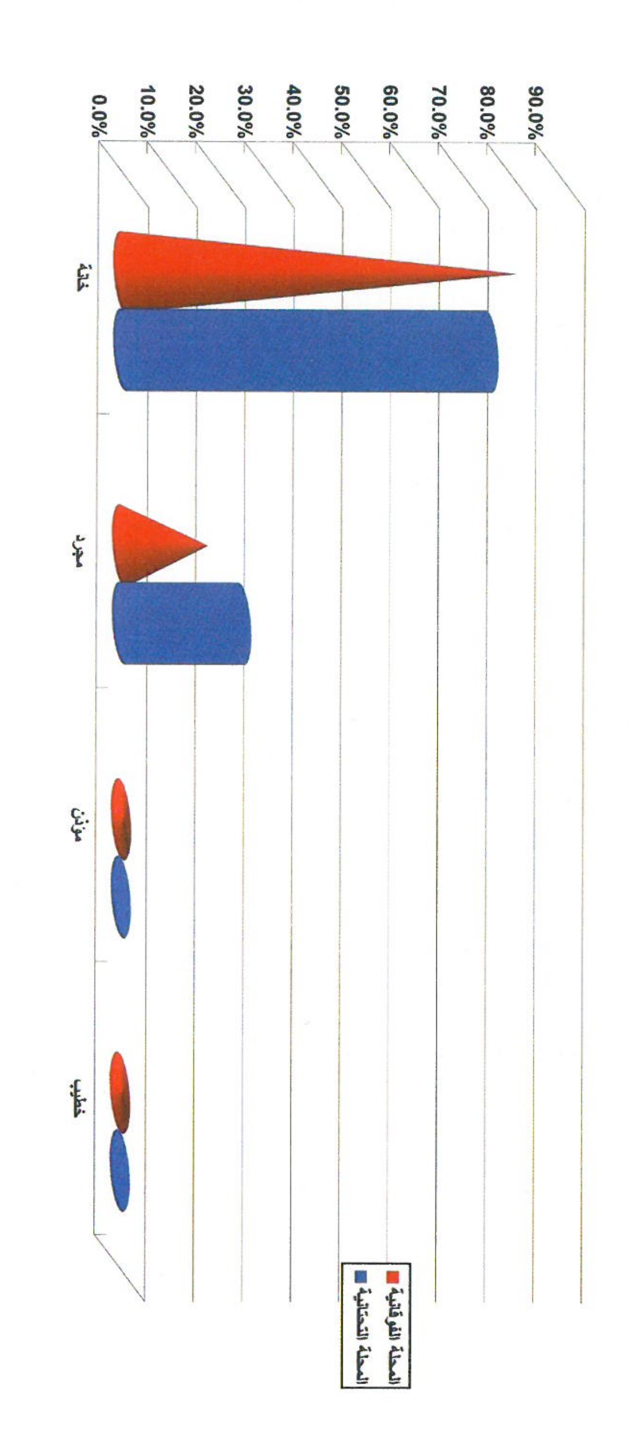
بيروت من خلال إحصاء الدفتر ١٧٧ (١٥٩٥م)

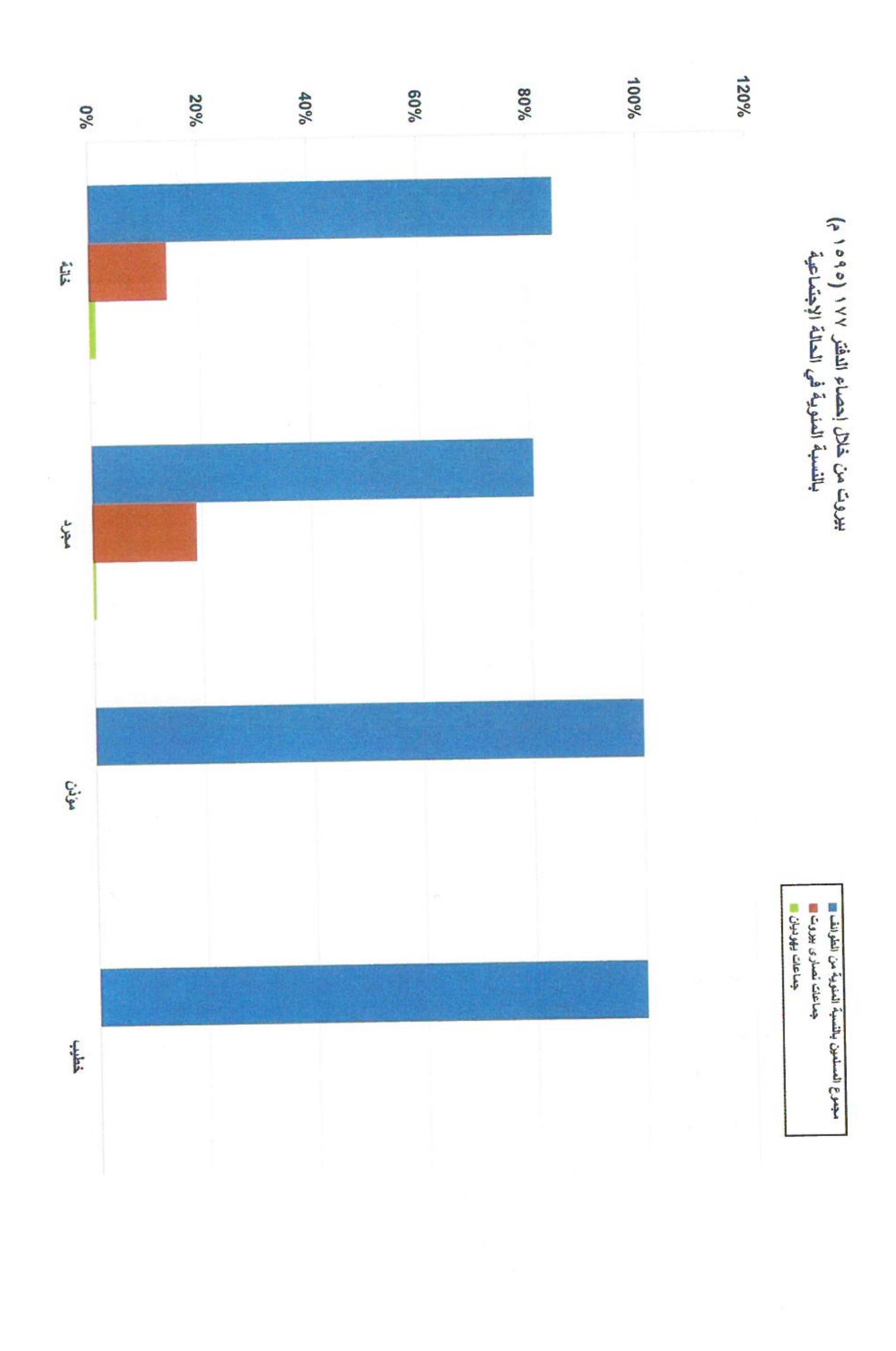
39%

60.84%

المحلة الفوقانية

المحلة التحتانية


بيروت من خلال إحصاء الدفتر ١٧٧ (١٥٩٥ م) بالنسبة المئوية في المحلة
90.0%
80.0%
70.0%
60.0%
50.0%
40.0%
30.0%
20.0%
10.0%
0.0%
خندق
مجرد
مؤذن
خطيب
المحلة الفوقانية
المحلة التحتانية


بيروت من خلال إحصاء الدفتر ١٧٧ (١٥٩٥ م)
بالنسبة المئوية في الحالة الإجتماعية
120%
100%
80%
60%
40%
20%
0%
خندق
مجرد
مؤذن
خطيب
مجموع المسلمين بالنسبة المئوية من الطوائف
جماعات نصارى بيروت
جماعات يهوديان

٣-٦ و ٣-٧

مقارنة نسب المسلمين والمسيحيين واليهود في دفاتر التحرير العثمانية
الخمس في القرن السادس عشر (مدينة بيروت)

رقم الدفتر	تاريخه (ميلادي)	نسب المسلمين	نسب المسيحيين	نسب اليهود
٤٣٠	١٥٢٥	%٨٦.٢١	%١١.٦٦	%٢.١٢
٣٨٣	١٥٥٠	%٨٦.٥٢	%١٢.٨٤	%١.٦٣
٤٠١	١٥٦٦	%٨٩.٠١	%٨.٦١	%٢.٣٧
٥٤٣	١٥٦٨	%٨٧.٠٤	%١٢.١٧	%٠.٧٨
١٧٧	١٥٩٥	%٨٣.٨٣	%١٥.١٥	%١.٠١

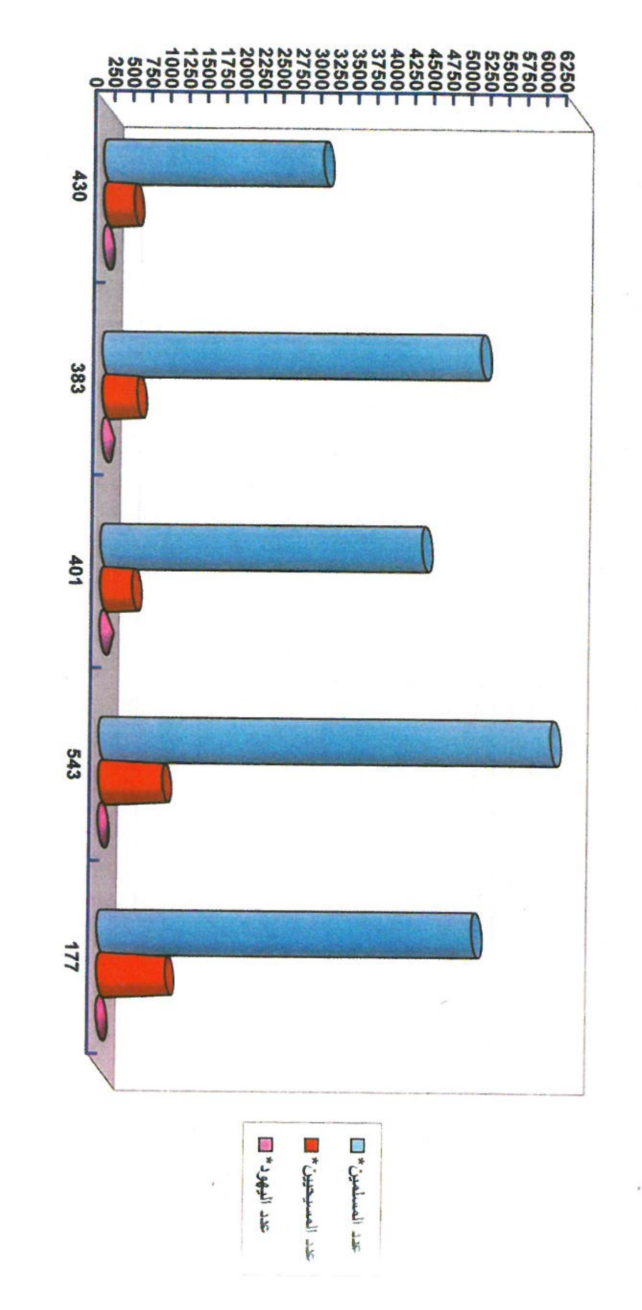
مقارنة بين عدد المسلمين والمسيحيين واليهود في دفاتر التحرير العثمانية
في القرن السادس عشر (مدينة بيروت)

رقم الدفتر	تاريخه (ميلادي)	الذكور الناضجين المسلمين	عدد المسلمين*	الذكور الناضجين المسيحيين	عدد المسيحيين*	الذكور الناضجين اليهود	عدد اليهود*	العدد العام للذكور الناضجين	العدد العام للنفوس
٤٣٠	١٥٢٥	٤٨٨	٢٩٢٨	٦٦	٣٩٦	١٢	٧٢	٥٦٦	٣٣٩٦
٣٨٣	١٥٥٠	٨٣٩	٥٠٣٤	١٢٦	٤٥٦	١٦	٩٦	٩٨١	٥٨٨٦
٤٠١	١٥٦٦	٧١٣	٤٢٧٨	٦٩	٤١٤	١٩	١١٤	٨٠١	٤٨٠٦
٥٤٣	١٥٦٨	١٠٠١	٦٠٠٦	١٤٠	٨٤٠	٩	٥٤	١١٥٠	٦٩٠٠
١٧٧	١٥٩٥	٨٣٠	٤٩٨٠	١٥٠	٩٠٠	١٠	٦٠	٩٩٠	٥٩٤٠

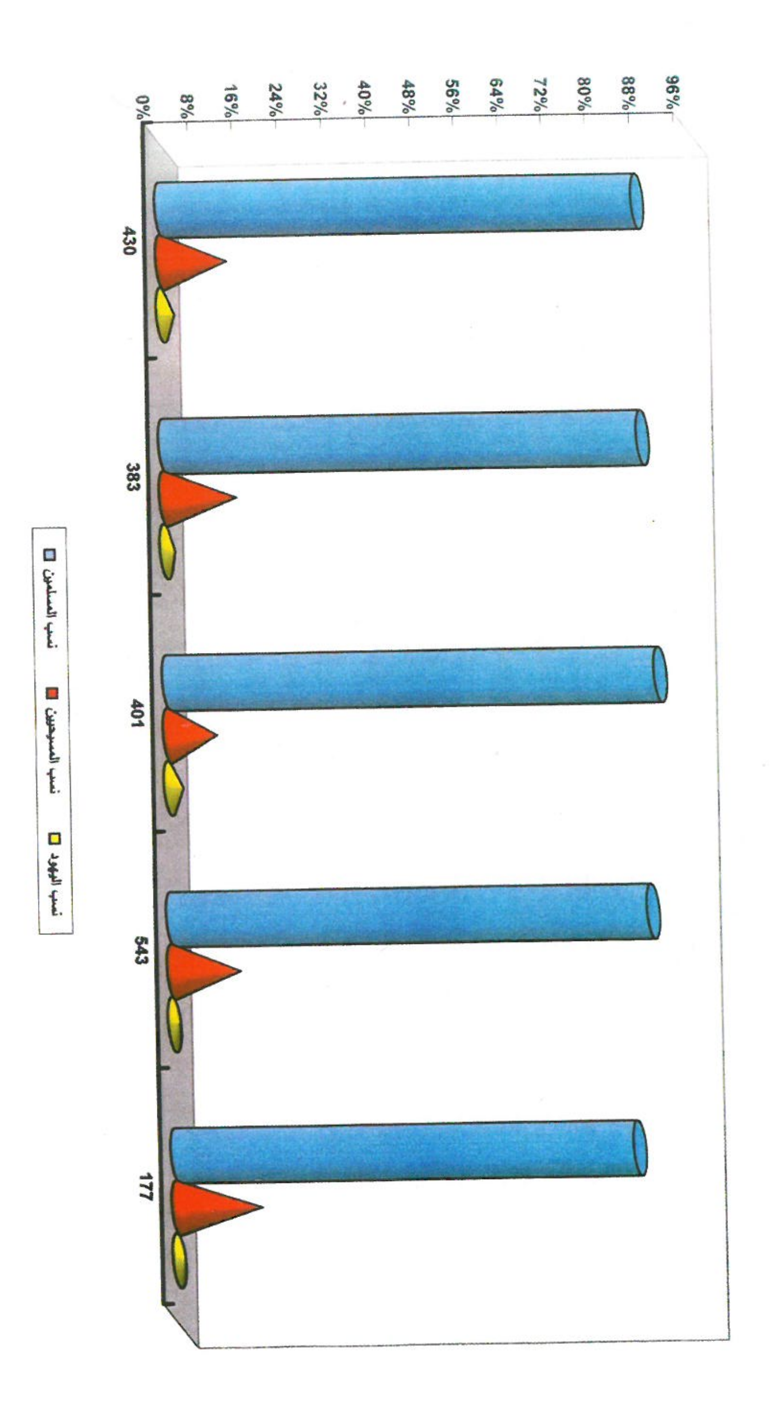
ملاحظة : ضربنا عدد الذكور الناضجين بالرقم ٦

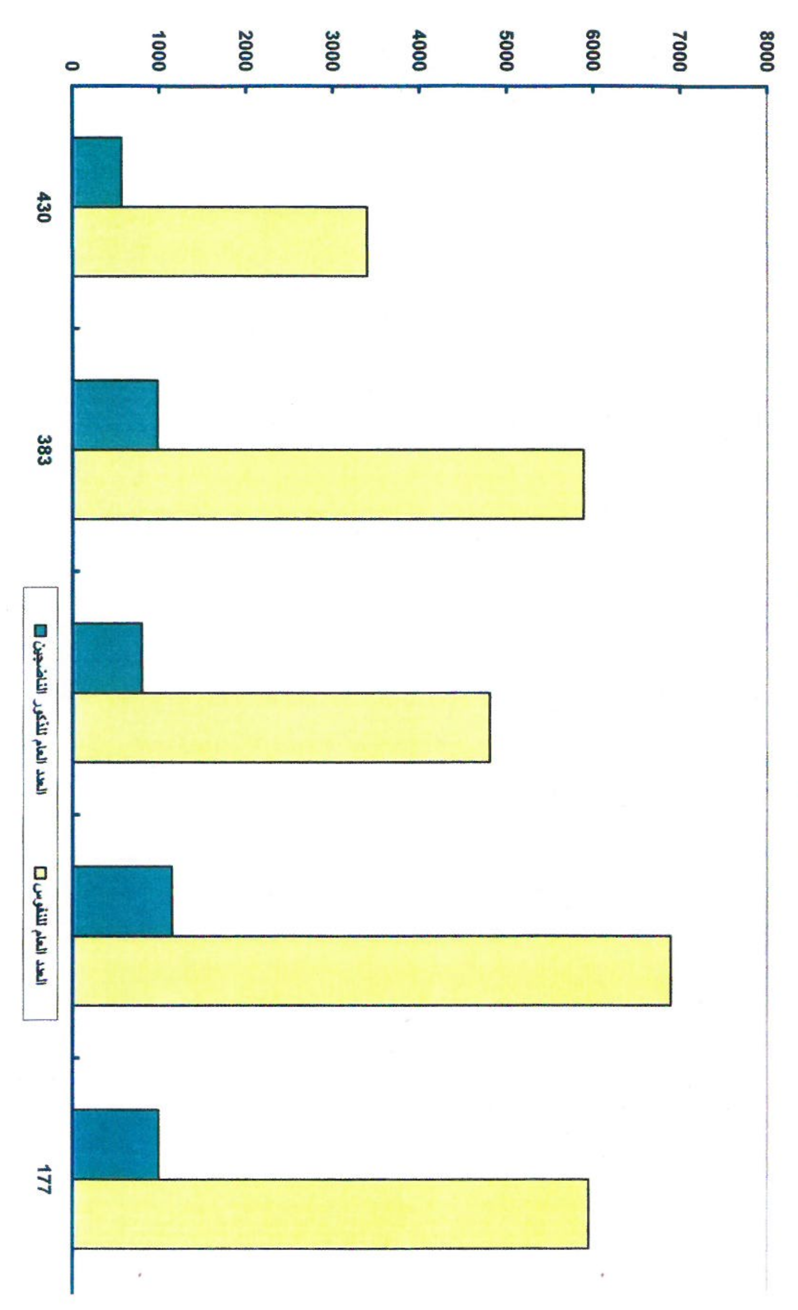
-16.7%
127.3%
التغير ما بين ٤٣٠ و ١٧٧
70.1%
11.1%
7.1%
التغير ما بين ٥٤٣ و ١٧٧
-17.1%
-20.0% 0.0% 20.0% 40.0% 60.0% 80.0% 100.0% 120.0% 140.0%

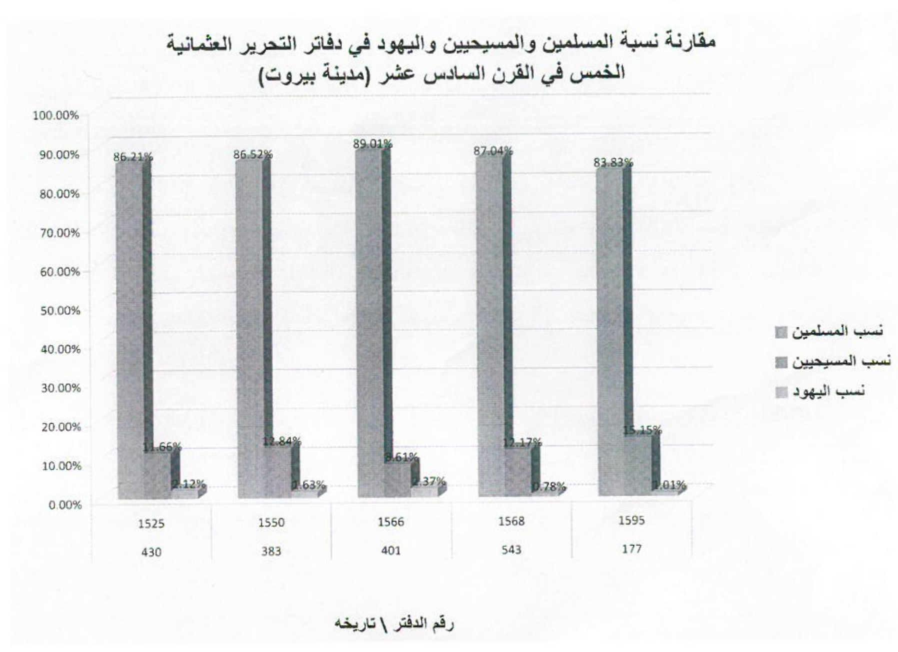
مقارنة بين عدد المسلمين والمسيحيين واليهود في دفاتر التحرير العثمانية



مقارنة نسب المسلمين والمسيحيين واليهود في دفاتر التحرير العثمانية







وإذا حاولنا أن نحلل الزيادات، أو التراجعات، الديمغرافية، في بيروت في القرن السادس عشر لتوصلنا إلى الجدول التالي:

٣-٨ الزيادات السنوية بالألف

أرقام الدفاتر	السنوات	عند المسلمين	عند المسيحيين	عند اليهود
بين الدفتر 430 والدفتر 383	1525 1550	21.9	26.2	11.6
بين الدفتر 383 والدفتر 401	1550 1566	-10.1	-36.9	10.8
بين الدفتر 401 والدفتر 543	1566 1568	184.9	424.4	-311.8
بين الدفتر 543 والدفتر 177	1568 1595	-6.9	2.6	3.9
المعدل العام للزيادة بالألف سنوياً		7.6	11.8	-2.6

انطلاقاً من هذا الجدول يمكن أن نسجل جملة ملاحظات:

أ) بين العامين **١٥٢٥** و **١٥٥٠** كانت الزيادة السنوية بالألف في بيروت طبيعية عند المسلمين وعند المسيحيين بينما كانت بطيئة عند اليهود.

ب) بين العامين **١٥٥٠** و **١٥٦٥** تعرضت المدينة لتراجع ديمغرافي واضح. والأرجح أن الصراع الدموي الخطير الذي حصل بين قايتباي ناظر بيروت وبين ابن أخيه منصور أمين جبل كسروان انعكس تهجيراً على السكان، وأن قايتباي، كما ورد في دفاتر المهمة، قتل أكثر من مئة شخص منذ أصبح ناظراً على القضاء، إضافة إلى احتمال وجود عوامل أخرى وبخاصة عامل الأمراض والأوبئة.

ج) إن التزايد غير الطبيعي الذي حصل بين العامين **١٥٦٦** و**١٥٦٨** (تزايد ١٨٤,٩ بالألف عند المسلمين، و ٤٢٤,٤ بالألف عند المسيحيين) لا يمكن أن يفسّر إلا بعاملين أساسيين:

- عودة السكان الذين هجّروا من المدينة، لأسباب مختلفة، إليها.
- ونزوح سكاني من الداخل السوري أو من الجبال اللبنانية القريبة إلى بيروت لأسباب مختلفة. وهذا الأمر ينسجم مع ما ذهب إليه بروديل من أن القاعدة العامة هي أن المدن لا تعيش إلا على ما يرد إليها من الخارج من بشر. ولكن من الملفت أن الوجود اليهودي تزايد في مرحلة تراجع عدد المسلمين والمسيحيين ولكنه تناقص في مرحلة صعودهم.

د) بين العامين **١٥٦٨** و**١٥٩٥** حصل تراجع في تزايد السكان المسلمين، مقابل تزايد محدود عند المسيحيين واليهود. وربما يعود السبب إلى مشاركة مسلمي بيروت بالحملات العسكرية للسلطة العثمانية على اليمن، وكذلك مشاركتهم في العمليات العسكرية التي شنتها السلطة العثمانية ضد الدروز، وربما المشاركة في الحروب العثمانية ضد إيران.[١]

هـ) وإن المعدل العام للزيادة السنوية بالألف هو أعلى عند المسيحيين (١١,٨ بالألف) بالمقارنة مع المسلمين (٧,٦ بالألف) بينما ثمة تراجع عند اليهود (٢,٦ – بالألف).

وإذا حاولنا أن نقارن الوضع الديمغرافي لبيروت بالوضع الديمغرافي لمدن دمشق وبعلبك وطرابلس لأمكننا أن نتوصل إلى الجداول التالية:

١. خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، استانبول، ٢٠٠٠، ص ٨٥.

٣–٩ بعلبك[١]

رقم الدفتر	تاريخ الإحصاء	عدد المسلمين	عدد المسيحيين	عدد اليهود
383	1550	1822	165	29
401	1566	1642	20	36
543	1568	1740	239	28

انطلاقاً من هذا الجدول تكون الزيادات السنوية بالألف على النحو التالي:

	المسلمون	المسيحيون	اليهود
بين عامي 1550 و 1566	–6.5	123.6	13.6
بين عامي 1566 و 1568	29.4	2456.9	–118.1
معدّل الزيادة السنوية بالألف	–2.6	20.8	–1.9

٣–١٠ دمشق[٢]

رقم الدفتر	تاريخ الإحصاء	عدد المسلمين	عدد المسيحيين	عدد اليهود
401	1566	7849	572	491
477	1568	7650	1185	551
195	1596	8192	862	736

انطلاقاً من هذا الجدول نستنتج الزيادات السنوية بالألف على النحو التالي:

	المسلمون	المسيحيون	اليهود
بين عامي 1566 و 1568	–12.8	439.3	59.3
بين عامي 1568 و 1596	2.4	–11.7	10.8
المعدل العام للزيادة السنوية بالألف	1.4	13.8	13.6

١. خليل ساحلي اوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ٨٥.
٢. المرجع السابق، ص ٨٥.

٣–١١ طرابلس[١]

رقم الدفتر	تاريخ الإحصاء	عدد المسلمين	عدد المسيحيين	عدد اليهود
68	1519	1183	297	90
513	1571	887	402	132
الزيادة السنوية بالألف		–5.52	5.96	7.39

بالمقارنة بين نسب الزيادة السنوية بالألف في المدن الأربع (بيروت – دمشق – بعلبك – طرابلس) يمكن أن نسجل بعض الملاحظات:

أ) في النصف الثاني للقرن السادس عشر حصل تراجع في بعلبك وطرابلس وبيروت، بينما حصلت زيادة قليلة في دمشق وذلك عند المسلمين.

ب) هناك تراجع كبير ثم هناك تزايد كبير جداً في أغلب المدن بالنسبة للمسيحيين.

ج) بالنسبة لليهود حصل تراجع ديمغرافي بين مطلع القرن السادس عشر ونهايته في مدينتي بيروت وبعلبك، بينما حصلت زيادة تصاعدية، ولو غير كبيرة، في كل من طرابلس ودمشق.

ثالثاً – قراءة في خلفيات التحولات الديمغرافية

من المعروف عند الباحثين أن الديمغرافية التاريخية لا تتمثل في عرض الأرقام للواقع الديمغرافي بقدر ما تسعى إلى تحليل وتفسير تغيّر هذه الأرقام انطلاقاً من المعطيات المتشابكة والمختلفة.

١. الأحداث السياسية

إذا عدنا إلى حوليات الدويهي والأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة المتعلقة بمدينة بيروت وجوارها في القرن السادس عشر، لأمكننا تسجيل الملاحظات التالية:

١. عصام خليفة، لبنان في أرشيف اسطنبول، بيروت، ١٩٩٦، ص١٥٤.

أورد الدويهي في تاريخه أنه في العام ١٥٢٨ كان مقتل حسن وحسين أولاد الأمير عساف في بيروت. وذلك أنه لما كان الخلف بينهما وبين أبيهما الأمير قايت بيه (قايدبيه) بسبب الحكم، تواسط بينهم بعض ناس حتى طلبوا الصلح ونزلوا إلى عند أبيهما قيت بيه لبيروت. فغدر بهما وقتلهما وتولى من ذلك الحين قيت بيه حكم بلاد كسروان.[١]

– أن ويودات أمير السنجق ورجاله يقومون بمختلف أشكال التعدي[٢] عام ١٥٤٤.

– وفي رسالة إلى قاضي الشام (شباط ١٥٤٥) أن صوباشيي النواحي يأخذون الأموال من أهالي الولاية خلافاً للشرع والقانون وذلك تحت اسم الفراشية (الفراشة) والطباخية (الطبخ) والترجمانية (الترجمة) واليازيجية (أجرة كاتب). وهم يجمعون الأموال من أهالي الولاية على شكل عوارض تحت اسم سلاملق = العرض وذلك عند تبديل الصوباشي[٣].

– (وفي آذار ١٥٤٥) ثمة إشارة إلى تغيير خط تجارة التوابل بين الشرق والبندقية من بيروت إلى طرابلس.[٤]

– وفي توجيه مرسل إلى قاضي طرابلس (نيسان ١٥٤٥) ثمة أمر بوضع حد لتعديات الصوباشية الذين يفرضون الضرائب غير القانونية ويجمعون في نهاية كل شهر الشعير والخروف والغنم ومأكولات أخرى، ويأخذون المال ثم الكشك والبرغل والزيت وغير ذلك في أيام الشتاء. ويجمعون الخروف والشعير تحت اسم «تقديمة هدية» عند مرور الأكابر.[٥]

– في العام ١٥٦٥ ثمة تقرير هام عن الصراع بين قايتباي الذي يسكن في بيروت وله زعامة فيها، وبين ابن أخيه أمين كسروان ويضيف التقرير أنه قد تبع أهواء كل واحد منهما ٤٠٠–٥٠٠ نفر فارس ومسلح بالبندقية ومشاة ولا يخلو الحرب والخصام والقتال بين بعضهما البعض. ولهذا فإن الرعايا أصبحوا في وضع يرثي لهم. وخرج القضاء المذكور من اليد وتبع كل واحد منهما عدد كبير من الرجال. ومعظم المجتمعين حولهما روافض. ولقيامهما بالإغارة العشوائية فإن الولاية (أو البلاد) أصبحت خراباً ولا يمكن حفظ وحراسة القضاء المذكور (أي بيروت) دون إزالتهما كليهما وتأديبهما».[٦]

١. تاريخ الأزمنة للعلامة الكبير اسطفان الدويهي، تحقيق الأباتي بطرس فهد، مطابع الكريم. جونية، ١٩٧٦، ص ٤٠٨.

٢. فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، ج١، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥، ص ٨٩.

٣. المرجع السابق، ص ٩٥–٩٦.

٤. المرجع نفسه، ص ١٥٥.

٥. المرجع نفسه، ص ١١٨–١١٩.

٦. المرجع نفسه، ص ٢٦٣.

- وفي حكم مرسل في ٢٨ ايار **١٥٦٥** إشارة إلى أن قاضي بيروت، تحرك لحل النزاع والخصومة بين قايتباي الذي أصبح ناظر بيروت وبين ابن أخيه منصور أمين جبل كسروان وذلك وفق الشرع. ولاحظ قاضي بيروت ان بين الطرفين عداوات قديمة حسب ميول الراية البيضاء والحمراء ويتبع كل طرف ٣٠٠–٤٠٠ نفر من الفرسان والمشاة المسلحين بالبنادق والأسلحة. ويذكر قاضي بيروت أن قايتباي قتل ٧ اشحاص في قرية العزونية. وأن قضاء بيروت، ما دام هذا مسؤولاً، لن يخلو من الفساد ولن يتم تأمين الطرق. وبحضور هذا القاضي ونائب قاضي الشام ثبت على قايتباي انه قام بعدة حالات قتل. وأخبر أعيان الولاية بأنه قتل اكثر من مائة شخص منذ أن أصبح أميناً وناظراً على القضاء المذكور. وذكر بأنه يترتب عليه المال الميري... وأنه توارى عن الأنظار».[1]
- وفي ١٤ تشرين الثاني **١٥٦٥** ثمة حكم إلى بكلربكي الشام بالتشدد في جمع الضرائب[2]. و٢١ الشهر نفسه تأكيد على ضرورة التأهب لقمع الفتن والفساد (الاضطرابات) التي قد تحدث في مناطق ولاية الشام. وبعد ذلك بشهر ايضاً ثمة إشارة إلى أن أهالي قرية عين دارا، وهم من طائفة الدروز، قد رفعوا لواء العصيان ويمتنعون عن دفع الرسوم والضرائب، وأنهم اقتحموا بيت السباهي محمد بن حنش المكلف بتحصيل المال الميري. وسقط عدد كبير من القتلى من كلا الطرفين. ثم تجدد الاقتتال في قرية المتين وذهب أيضاً عدد كبير من الضحايا. ثم تضيف الوثيقة أن الدروز أصبح بيدهم ٣–٤ آلاف بندقية. وأن بنادقهم من النوع الطويل جداً وهي ترمي ٧–٨ دراهم من البندق».
- في حكم مرسل بتاريخ ٢٤ شباط **١٥٦٦** إشارة إلى أن مقدم ناحية الدروز شرف الدين وابنه محمد وأتباعه حولوا الناحية المذكورة إلى الفتن والخراب وحشد بضعة مئات من الناس مسلحين بالبنادق والأقواس والسهام والنبال وخاض قتالاً مع الأشخاص الذين جاؤوا إليه. ويضيف الحكم نفسه: «إن معظم أهالي الناحية المذكورة والتي هي من توابع بيروت وصيدا مسلحون بالبنادق وقد تركوا أعمالهم».[3]
- وفي حكم مرسل بتاريخ ١٢ آذار **١٥٦٦** توجيه يؤكد على محافظ قلعة بيروت بإجراء جردة على الأسلحة والبنادق والبارود والبندق الموجود في القلعة. وأهمية تعويض ما نقص.[4]

١. المرجع نفسه، ص ٢٧٨–٢٧٩.
٢. المرجع نفسه، ص ٣١٢.
٣. المرجع نفسه، ص ٣٤٠–٣٤١.
٤. المرجع نفسه، ص ٣٤٦.

وفي حكم مرسل بتاريخ ٢٦ تشرين الأول **١٥٦٧** ثمة أمر إلى بكلربكي الشام وقاضيي صيدا وبيروت بنزع البنادق الموجودة في أيدي مقدمي طائفة الدروز وغيرهم من الرعايا.[1]

وفي ٢٧ آذار **١٥٦٨** هناك أمر إلى تأمين ألف قواس من بلاد الشام للمشاركة في حرب اليمن[2]. وبعدها بوقت قليل[3] ثمة طلب بتأمين ألف وخمسماية قواس وإرسالهم من ولاية الشام للمشاركة أيضاً في حرب اليمن[4]. وحكم آخر بعد يوم بنفس المعنى[5]، ثم تأكيد لاحق في شهر أيار على هذا الأمر[6].

- في ١١ تموز **١٥٦٨** يذكر دفتر المهمة أن بيت «أمين خواص الغرب شرف الدين قد اقتحم ونهب المال الميري وممتلكاته وقتل رجاله، وأن محمد بك فرض العوارض على الولاية وقتل كل من جاء لتقديم الشكوى، وعلى الرغم مما اشترط عليه بالوجه المشروح فإنه عرض البلاد للخراب...»[7].
- وفي ٧ أيلول **١٥٦٨م** يقدم الذّمي المدعو جرجيس، من قضاء بيروت، شكوى على الوزير السابق مصطفى باشا الذي اعتقله وأخذ منه قسراً خمسة آلاف ذهباً وما يعادل ألفاً ذهباً من الملح والرز لمخازنه بحجة أنه يقوم ببيع الحبوب لطائفة الافرنج بالسفن ولهذا أصبح يطالبه شرعاً بما مجموعه ستة آلاف ذهباً».[8]
- في ١٤ ايلول **١٥٦٨** ثمة أمر بإرسال قوّاسين من ولاية الشام للمشاركة في حرب اليمن، مع علوفاتهم.[9]
- وفي حكم مرسل بتاريخ ١١ كانون الأول **١٥٦٨** إلى مقدم كسروان منصور بن عساف، وأرسلت صورة عنه إلى مقدم ناحية البقاع محمد بن حنش، ومقدم ناحية الغرب شرف الدين، ومقدم دار اللخم قورقماز بن معن، يؤكد على «القيام بحملة على أعراب الجبل

١. المرجع نفسه، ج٢، عمان، ٢٠٠٦، ص ٨٩.
٢. المرجع السابق، ص ١١٨.
٣. ١٣ شوال ٩٧٥ هـ أي ما يوازي ١١ نيسان ١٥٦٨م.
٤. المرجع السابق، ص ١٢٣.
٥. في ١٢ نيسان ١٥٦٨م.
٦. المرجع السابق، ص ١٣٥.
٧. المرجع نفسه، ص ١٥٤.
٨. المرجع نفسه، ص ١٨٣.
٩. المرجع نفسه، ص ١٩١.

والعصاة الاخرين في أرجاء الشام وتأديب أهل الفساد والشناعة»[1]. وفي حكم آخر إلى بكلربكي الشام مرسل ايضاً في نفس اليوم (١١ كانون الول ١٥٦٨) أمر بأنه إذا ما ثبت «أن الدروز هم بالفعل من قطاع الطرق وأهل الفساد والشناعة – مثلما أبلغت عنه (والكلام موجه إلى والي الشام) – ترسل إلى مقدميهم أوراق استمالة من جانبك أيضاً وتستقدمهم لجمعهم في مكان مناسب وتلقي القبض عليهم ... وتؤدبهم ليكونوا عبرة ونصيحة لأهل الفساد والشناعة والأشقياء الآخرين... والأبراج التي أقامتها الطائفة المذكورة أبراج محكمة، فأيهما أنسب عند القيام بحملة عليها ابضربها بالمدافع؟ أم بطريقة أخرى بحسن التدارك؟»[2].

في العام ١٥٧٠ ثمة جملة أحكام سلطانية تذكر أن هناك ظلم وتعدي من ملتزمي مقاطعة الاحتساب، وأن الأمناء والعمال في الإدارة العثمانية يمارسون الظلم مما أدى إلى تذمّر الرعايا. «وأن بادهوا الخواص المستحصل في قضاءي صيدا وبيروت سجّل في الدفتر العتيق بمائة ألف (آقجة)»[3].

- وفي حكم أرسل بتاريخ ٤ آذار ١٥٧١ ثمة ذكر «بإخراج مائة وواحد واربعين قواساً من مدينة بيروت وقرية البرج، من أصل ستمائة وخمسة وخمسين قواساً، وسلموا إلى أمير سنجق بيروت – صيدا محمد، دام عزه، الذي عيّن قائداً وتوجه بهم إلى قبرص.»

ويذكر نفس الفرمان أن الدروز لم يدفعوا الضرائب وأنهم لا يطيعون الشرع القويم، ولا ينقادون إليه، ويقطعون الطرق ويسلبون أموال المسلمين وهم على التمرد دائماً».[4]

- وفي أحكام متوالية ثمة ذكر لاضطرابات تقع في نطاق مسؤولية قاضي بيروت[5]، وتقاعس سنجقدار محمد أمير سنجق بيروت وصيدا عن دفع ١٢ الف وواحد وسبعين ذهباً، لمشاركته في الحملة السلطانية (على الأرجح إلى قبرص).

وفي نفس الفرمان ذكر بأن ريع البادهوا المتحقق في قضاء صيدا وبيروت حدد بمائة ألف آقجة[6]. وهذا يدل على الاضطراب الأمني في هذه المنطقة. ثم يضيف فرمان آخر، ذكر في دفاتر المهمة، أن مقاطعات ولاية الشام وقعت في أيدي بعض الحكام الضعفاء الأمر الذي لم يسمح للدفتردار من تحصيل المال.[7]

١. المرجع نفسه، ص ٢٤٣.
٢. المرجع نفسه، ص ٢٤٥.
٣. المرجع السابق، الجزء ٣، عمان، ٢٠٠٧، ص ٨٨.
٤. المرجع نفسه، ص ١٥٥–١٥٦.
٥. ١٨ أيلول ١٥٧١، المرجع السابق، ص ٢٤٧. فرمان إلى بكلربكي الشام وقاضي بيروت.
٦. المرجع السابق، ص ٢٦٢.
٧. المرجع نفسه، ص ٢٨٤.

- ويذكر د. خليل ساحلي اوغلي أن أحد أبرز أسباب انخفاض عدد سكان المدن في شرق المتوسط يرجع إلى الحروب مع إيران في أواخر القرن (١٥٧٦–١٥٨٨)[1]، وهذه الحروب زادت من مصاريف الدولة العثمانية. وكان الوزير الأعظم سنان باشا يكرر قوله بأن مصاريفنا تفوق مداخيلنا بنسبة الثلث[2]. وفي العام ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) تم تخفيض أنواع العملات المتداولة من آقجه وبارة وشاهي. وبهذا ارتفع سعر النقد الذهبي (السلطاني) وما يعادله من ذهب افرنجي من ٦٠ آقجة إلى ١٢٠ آقجة.[3]

٢- الطاعون وباقي الأمراض والمناخ

لقد شبه الطاعون «بأفعى لها رأسان» «وحرباء عجيبة» تتبدى على أشكال وألوان تعددت وتداخلت على نحو جعل المعاصرين يخلطون أشكال الطاعون المختلفة بأمراض أخرى. والطاعون مرضان على الأقل. أولهما الطاعون الرئوي، وهو صورة جديدة من الداء، وثانيهما طاعون الخراريج (تتكون تحت الإبط وتتسمم). والأول مسببه فيروس تنقله براغيث فأر من نوع الموس راتوس Mus Rattus.

هذا المرض عرف أيضاً بالواغش، وهو وبائي ومعدٍ. ويتمثل بظهور دمّل في جسم الإنسان، وتلعب الفئران دوراً هاماً في تفشيه ونقله إلى الإنسان.[4]

ويبدو أن العادات السلوكية للسكان وممارساتهم اليومية كانت تحمل الكثير من التصرفات التي تساهم بتفشي الوباء بشكل أوسع، كاستعمال الكوب الواحد للشرب من قبل العديد من الأشخاص، وعدم الاهتمام الكافي بالنظافة البدنية... ويجب ألا يغيب عن بالنا دور الحمامات الشعبية في نقل العدوى، وغالباً ما كان يلجأ الفقراء إلى الاستيلاء على ألبسة الوفيات من المطعونين دون إدراكهم أنه يمكن للثياب أن تحمل الجراثيم لأيام عديدة.[5]

١. خليل ساحلي اوغلي، المرجع السابق، ص ٨٥.
٢. المرجع السابق، ص ١١٢.
٣. المرجع نفسه، ص ١١١.
٤. Garnier, M. et Delamare, V. Dictionnaire des termes techniques de médecine, 20 ed. Paris, 1980, pp. 965-966 وكذلك فرنان برودل، الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر، ج١، ترجمة مصطفى ماهر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة – باريس، ١٩٩٣، ص ٩٣.
٥. فادي توا، المناخ والأسعار والأمراض في نيابات دمشق وحلب وطرابلس وصفد في العهد المملوكي (١٢٥٠–١٥١٦، أطروحة دكتورا بإشراف د. جوزف لبكي، كلية الآداب (الفرع ٢) – الجامعة اللبنانية، ١٩٩٦، ص ٥١١–٥١٢).

إضافة إلى الطاعون هناك أمراض كثيرة أخرى ليس بينها عامل مشترك إلا العدوى. من هذه الأمراض الدفتريا، الكوليرا الصغيرة Cholerine، الحمى التيفودية، والحكة picotte، والجدري، والحمى القرمزية، والحدبة bosse، والديندو، وجرب التاك أو الهاريون، وشوطة الشباب أو الداء الساخن أو السعال الديكي، والحمى القرمزية، ونزلات البرد grippe، والانفلونزا. ولئن كانت هذه اللائحة أعدت بالنسبة لفرنسا فإنها يمكن أن تنطبق على بلادنا مع بعض التغييرات.

والحوليات العائدة للقرن السادس عشر تذكر وجود موجات الطاعون والأمراض المختلفة في المشرق العربي. فالدويهي يذكر وجود الطاعون والجدري والحكاك الثقيل في مطالع القرن[1]، وخلال خمسينات القرن حصد هذا الوباء الكثير من الضحايا ثم عاد وهدد مختلف الديار الشامية عام ١٥٧٩ حيث وصل شنبل القمح في أعمال طرابلس إلى ماية وخمسين والحمّص إلى ماية وأربعين وقلة الزيت إلى ثلاثماية وأربعين[2].

وابن طولون يورد في حوادث العام ٩٣٠ هـ كثرة انتشار الطاعون بدمشق ومحيطها[3] وتهديد هذا الوباء للحجاج الشاميين والحلبيين[4]. وفي العام ٩٣٩ هـ تجدد الطاعون في المنطقة ومات بسببه الكثيرون[5]. وكذلك في السنة التالية ٩٤٠ هـ «كثر الطاعون»[6]. وهناك ذكر للجدري والجرب[7].

على صعيد آخر هناك عامل المناخ وبخاصة (قلة الأمطار أو حصول سيول جارفة وثلوج كثيفة). فالجفاف[8] يؤثر على إنتاج الغذاء. والثلوج قد تحرق الزروع وتميت الماعز. وفي عام ١٥٥٧

١. البطريرك الدويهي، تاريخ الأزمنة، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥١، ص ٢٢٨.
٢. المرجع السابق، ص ٢٨٠.
٣. حوادث دمشق اليومية من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون الصالحي الدمشقي، تحقيق أحمد ايبش، دار الأوائل، ٢٠٠٢، ص ١٦٥-١٦٦.
٤. المرجع السابق، ص ١٧٢.
٥. المرجع نفسه، ص ٢٦٣-٢٦٤.
٦. المرجع نفسه، ص ٢٧٥، وص ٢٨٣.
٧. فادي توا، المناخ والأسعار والأمراض في جبل لبنان... أطروحة بإشراف د. عصام خليفة، كلية الآداب (الفرع ٢)، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٢، ص ٣٦٠.
٨. في أمر مهمة أرسل في ٨ شباط ١٥٧٢ إلى والي الشام من الديوان الهمايوني ثمة ذكر بأن «ولاية الشام ساد فيها قحط شديد» فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، ج٣، المرجع السابق، ص ٢٨٩. وهناك تقرير آخر بنفس المعنى، المرجع نفسه، ج١، ص ٢٠٦.

أحرق الثلج توت القز والكرم مع ساير الفاكية[1]. والجراد يقضي على الإخضرار[2]، وهنا ذكر للغلاء العظيم، في حوليات الدويهي، يربطه بعامل كثافة الثلوج والجراد[3].

هكذا يتضح أن هناك ترابطاً بين العوامل المناخية والجراد من جهة وغلاء الأسعار من جهة أخرى. فإذا حدث مرة أن أخرجت الأرض محصولاً رديئاً، فقد يستطيع الناس احتمال الوضع على نحو ما. أما إذا ساء المحصول مرتين متتاليتين، فإن الأسعار تلتهب، ويحل القحط، والقحط لا يأتي أبداً وحده. فما يأتي حتى يعمد، في وقت، قد يبكر قليلاً مرة، وقد يتأخر قليلاً مرة أخرى، إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الأوبئة التي تسير يقيناً طبقاً لإيقاعاتها الخاصة. وأول هذه الأوبئة الطاعون. إن نقص الغذاء يؤدي إلى انتشار الأمراض. وطالما كانت المجاعة زائراً ثقيلاً عنيداً يتردد على المدن والريف. ويبدو أن المجاعات كانت تتكرر بإلحاح، وكانت ألوان الغلاء وصنوف القحط مستمرة. والوصف الذي أطلقه برودل على أوروبا يمكن أن نطلقه على المشرق العربي، إذ ثمة تساوٍ بين الموت والحياة، وارتفاع في وفيات الأطفال، ومجاعات، وسوء تغذية مزمن، وأوبئة عارمة، وهو هيكل يمثل هذا العهد البيولوجي الذي تكلمنا عنه[4].

رابعاً – قراءة في أسماء بعض سكان محلات بيروت

كان من المفترض، إذا كان البحث صارماً في جديته، أن ندرس كل الأسماء الواردة في كل محلات بيروت، وفي جميع الدفاتر موضوع الدراسة، وأن نخلص من خلال ذلك إلى النتائج المناسبة. لكن هذا الأمر يتطلب الكثير من الوقت والجهد واستعمال تقنيات الحاسوب، ونأمل أن نؤمن كل هذه الشروط في مرحلة لاحقة.
لذلك سيقتصر تحليلنا على درس:
- أسماء النصارى واليهود في الدفترين ٣٨٣ و ٤٠١.

١. تاريخ الأزمنة، المرجع السابق، ص ٢٣٨ وص٢٦٢. وفي عام ١٥٣٩ انقطع المطر، المرجع نفسه، ص ٢٥٣، وفي السنة اللاحقة حصل أمر مشابه، نفسه، ص ٢٥٤.
٢. «في سنة ١٥٢٤ زحف الجراد في بلاد الشام وأكل الزروع ثم تبعه الغلاء والنقص». المرجع السابق، ص ٢٤٤. وفي عام ١٥٢٦ جاء الجراد ثم تبعه الغلاء العظيم. المرجع السابق، ص ٢٤٦.
٣. المرجع نفسه، ص ٢٨٧.
٤. فرنان برودل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

- أسماء المسلمين في محلتي باب المدينة والفوال في نفس الدفترين.

وجدير بنا أن نذكّر بعدة ملاحظات:

١. الأسماء هي للذكور الناضجين فقط.

٢. ما يدوّن هو اسم الذكر واسم والده وليس اسم عائلته.

٣. ثمة ذكر لحرف (م) تحت أسماء الذكور العازبين (مجرد).

٤. مصطلح برادر او يعني – حيثما يرد – شقيق الاسم الذي سبقه في الدفتر.

٥. مصطلح ولد او يعني، حيثما يرد، ابن الاسم الذي سبقه في الدفتر.

٦. بسبب صعوبة الحسم في الأسماء قد نضطر إلى إيراد احتمالين للقراءة.

٧. يطلق لقب ريّس على الاسم الذي يرد ي مطلع أسماء المحلة، والأرجح أنه بمثابة المسؤول الذي يشكل صلة الوصل بين الأهالي وبين السلطة العثمانية.

٨.. مع ذكر محلة باب المدينة ثمة إيراد لاسم بكر خليل القزاز. ولا نستطيع الجزم في تفسير إيراد هذا الاسم في هذا المكان من الدفتر. ولكن نستطيع أن نطرح فرضيات منها:

   - أن اسم محلة باب المدينة هو نفسه اسم محلة بكر خليل القزاز.
   - أن هذا الشخص هو مسؤول عن المحلة، من الجانب الأمني على الأرجح.
   - يبدو أن المهنة التي يعمل فيها هي الزجاج.

٩. في هذه المحلة (باب المدينة) هناك ٢٤ ذكراً متزوجاً و١١ ذكراً عازباً وإمام واحد.

١٠. في محلة الفوال لا ذكر للريّس.

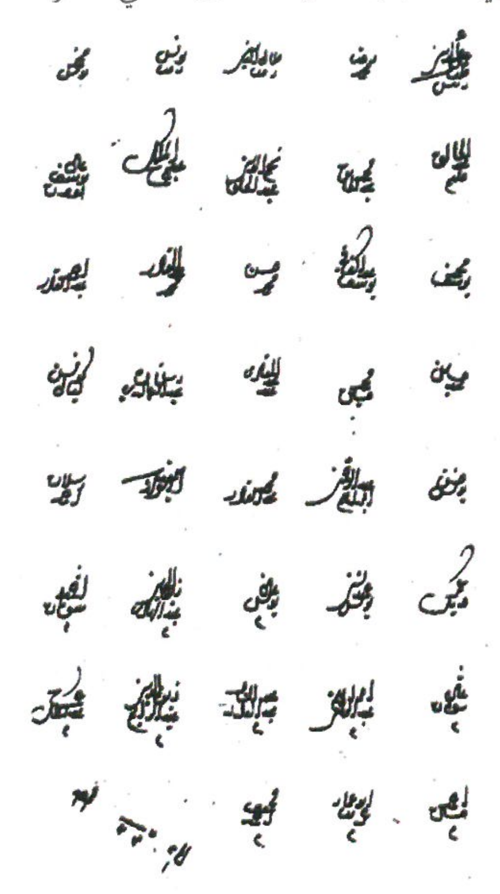
١١. وفيها إمام واحد و٢٥ ذكراً متزوجاً وسبع ذكور من العازبين.

١٢. في إحصاء الدفتر ٤٠١ لا ذكر لوجود إمام وإنما هناك ٥٧ ذكراً متزوجاً و٥ ذكور عازبين.

١٣. وتغيّر الاسم في الدفتر ٤٠١ من محلة إلى زقاق.

١٤. زقاق الفوّال لا وجود فيه للذكور العازبين وثمة ١٨ ذكراً متزوجاً.

١– أسماء المسلمين في محلة باب المدينة كما وردت في الدفتر ٣٨٣



هذه الأسماء هي التالية:

ريّس علاء الدين خليل – رجب (وربما رضا) محمد – جلال الدين رجب (وربما رضا) – يونس رجب (وربما رضا) – محمد يونس

عبد الخالق حليم (أو صلح) – محمد عبد الخالق – نجم الدين عبد الخالق – عبد الملك حمزه(؟) – علي يوسف المؤذن(وربما امّون)

محمد يوسف – عبد الفاتح يوسف – حسن محمد – عبد القادر عيد – رسلان عبد الهادي – يونس كيال.

حسن يونس – عبد الرحمن ابراهيم – محمد عبد القادر – اسمعيل الولد(؟) – رسلان أحمد.

عمر ديك – عميد يونس(؟) – علي يونس – زين الدين عبد الهادي – احمد شومان

م م م

علي شومان – ابراهيم عبد الرحمن – عبد العال عبد القادر – زين الدين عبد الدايم

م م م م

– حمزه عبد الملك.

م

احمد حسين – ابو عمار عريف – محمد احمد.

م م م

٢– أسماء المسلمين في محلة الفوّال كما وردت في الدفتر ٣٨٣

هذه الأسماء هي التالية:

أبو بكر صحيح (أو حجيج) – شهاب الدين فوال – علي رئيس (أو ريّس علي) – محمد صحيح (أو حجيج) – احمد عمر.

محمد عمر – عمر احمد – احمد فرح – محمد احمد – احمد عز الدين.

إبراهيم عز الدين – محمد عز الدين – علي حمدان – محمد سماك – أبو بكر محمد.

علي محمد – شرف الدين سماك – محمد شومان – محمد سويدان – أبو بكر سماك.

احمد ابو بكر – محمد شهاب الدين – عبد القادر شهاب الدين – محمد نصيف – محمد أحمد.

عثمان جبيلي – أحمد أبو بكر – علي أبو بكر – عبد القادر أبو بكر – نصر الدين

م م م م

محمد.

إبراهيم سويدان – محي الدين الطرق – محمد الطرق.

م م م

٣– أسماء المسلمين في محلة باب المدينة كما وردت في الدفتر ٤٠١

وهذه الأسماء هي التالية:

محمد جمعه – مسلم ولد عسال – محمد ولد او – محمد ولد قباني – علي يوسف(؟)

م

برهان مفيد(؟) – قمر (وربما عمر) غزالة – علي معبدين – محمد ولد مصطفى.

شهاب الدين – قيس (أو حسن) ولد او – محمد برادر او – احمد ولد دخلو(أو دحلان) – ذوارث – عبد القادر ولد او – علي برادراو – محمد بابا (وربما بايع) – عماش ولد عبد الله.

م

شهاب ولد سليم – علي كركه – جمال ولد او – أحمد عانوتي – احمد ولداو محمد

م

برادر او – ابو بكر ولد عبدالله – ابو احمد ولد بو بكر ناصر الدين.

م

سليمان ولداو – احمد ولد نعمه (؟) – حسن كنج – علي كنج – علي ولد او – ابو بكر عمر – عثمان ولد سعيد – شهاب برادراو محمد برادر او.

عمر اخرس – ابو بكر اخرس – علي ولد او – قطين اخرس – ابو العصام اخرس البابا – عمر سليمان (؟) – علي ابو قره – محمد ولد او – احمد برادر او.

حسن برادر او – اسمعيل خادم – عبدالله ولد او – جرير برادر او – عمر نابلوس(؟) – خضر سويف – سعد (أو سيد) عبد القادر شريف احمد شريف – علي مقدر.

حسن تومیه – یوسف برادر او – یونس برادر او – عبد القادر برادر او – ذوغمیش – علي ولداو – خليل ولداو – احمد ذبياني.

٤. أسماء المسلمين في زقاق الفوّال كما وردت في الدفتر ٤٠١:

هذه الأسماء هي:

معلم خليل – كمال الدين ولد احمد – عبد الملك – ابو ريش ولد عبدالله – عبد الحلو – حسين برادراو – محمد سماك – حسن ولداو – سلميان]منصور[– علي شويفاتي (؟) – عبد الرحمن – عبد الدايم – معلم رجب – يونس ولداو – يوسف – حسن جحا – محمد يتيم.

٥. ملاحظات حول الأسماء:

إذا قارنا الأسماء الإسلامية الواردة في الدفترين ٣٨٣ (١٥٥٠) و٤٠١ (١٥٦٦) لتوصلنا إلى الجداول التالية:

أ) أسماء محلة باب المدينة في الإحصاءَين:

٣-١٢ مقارنة بين أسماء مسلمي محلة باب المدينة (بيروت) من خلال الدفترين ٤٠١ و ٣٨٣

اسماء دينية	الدفتر 401	الدفتر 383
الرسول محمد (احمد)	15	15
ابو بكر	4	–
عمر	4	1
عثمان	1	–
علي	9	4
حسن	2	2
حسين	–	3

اسماء مركبة	الدفتر 383	اسماء مركبة	الدفتر 401
عبد القادر	6	عبد القادر	2
عبد الخالق	3	عبدالله	2
عبد الهادي	2	شهاب الدين	1
عبد الرحمن	2	ابو احمد	1
زين الدين	2	ناصر الدن	1
عبد الملك	2	ابو العصام	1
علاء الدين	–	ابو قرة	1
جلال الدين	–		
نجم الدين	–		
عبد الفاتح	–		
عبد العال	–		
عبد الدايم	–		

٣-١٣ مقارنة بين أسماء مسلمي بيروت

(محلة باب المدينة) من خلال الدفترين ٤٠١ و ٣٨٣

أسماء عهد قديم	الدفتر ٤٠١	الدفتر ٣٨٣
يوسف	1	4
سليمان	2	–
يونس	–	7
خليل	–	2
ابراهيم	–	2

اسم مهنة	الدفتر ٤٠١	الدفتر ٣٨٣
المؤذّن	–	1
كيّال	–	1
عريف	–	1
خادم	1	–

اسماء صفة	الدفتر 401	الدفتر 383
حليم	–	1
الولد	–	1
اخرس	4	–
كنج	2	–
جمال	1	–
مفيد	1	–
سليم	1	–
نعمة	1	–
عماش	1	–
قطيش	1	–

أسماء مختلفة (401)	اسماء مختلفة (383)
مصطفى	رجب 3
مسلم	حمزة 2
برهان	عيد 2
قيس	رسلان 2
معبدية	شومان 2
دنبو	ديك
ازر	عميد
بابا	ابو عمار
كرله	تومیه
اسمعيل	اسمعيل
جرير	غميش
خضر	ذبياني
سويف	

ب) أسماء محلة الفوال في الإحصاءَين:

٣-١٤ مقارنة بين أسماء محلة الفوال في مدينة بيروت بين الدفترين ٤٠١ و ٣٨٣

اسماء دينية	الدفتر 401	الدفتر 383
الرسول محمد	3	18
ابو بكر	–	7
عثمان	–	1
علي	1	4
حسين	1	–
حسن	2	–

عهد قديم	الدفتر 401	الدفتر 383
ابراهيم	–	2
خليل	1	–
سليمان	1	–
يوسف	1	–
يونس	1	–

اسماء مركبة	الدفتر 401	اسماء مركبة	الدفتر 383
كمال الدين	1	شهاب الدين	3
عبد الملك	1	عز الدين	3
عبدالله	1	شرف الدين	1
عبد الرحمن	1	نصر الدين	1
عبد الدايم	1	محي الدين	1

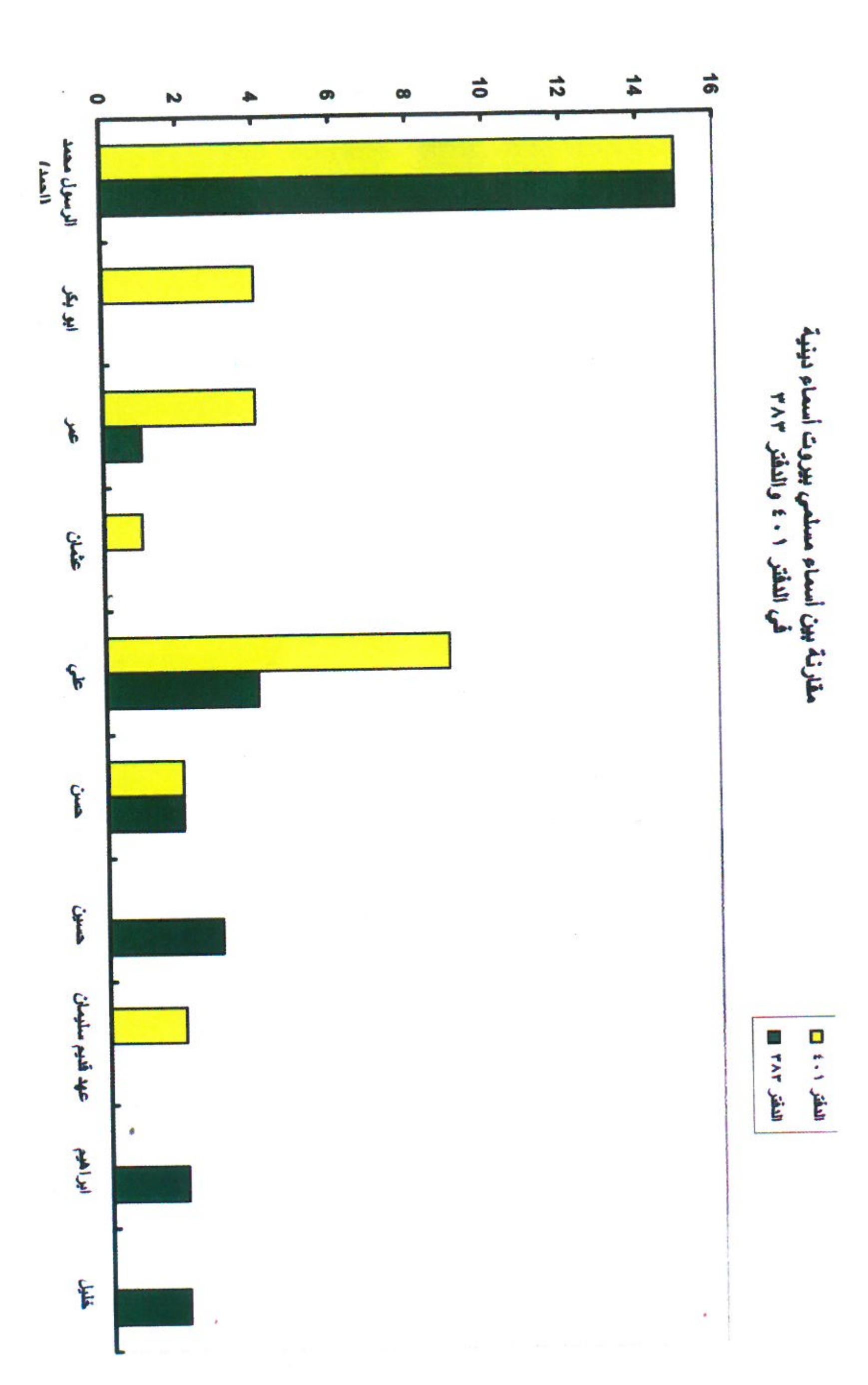
تابع مقارنة بين اسماء محلة الفوال في مدينة بيروت بين الدفترين ٤٠١ و ٣٨٣

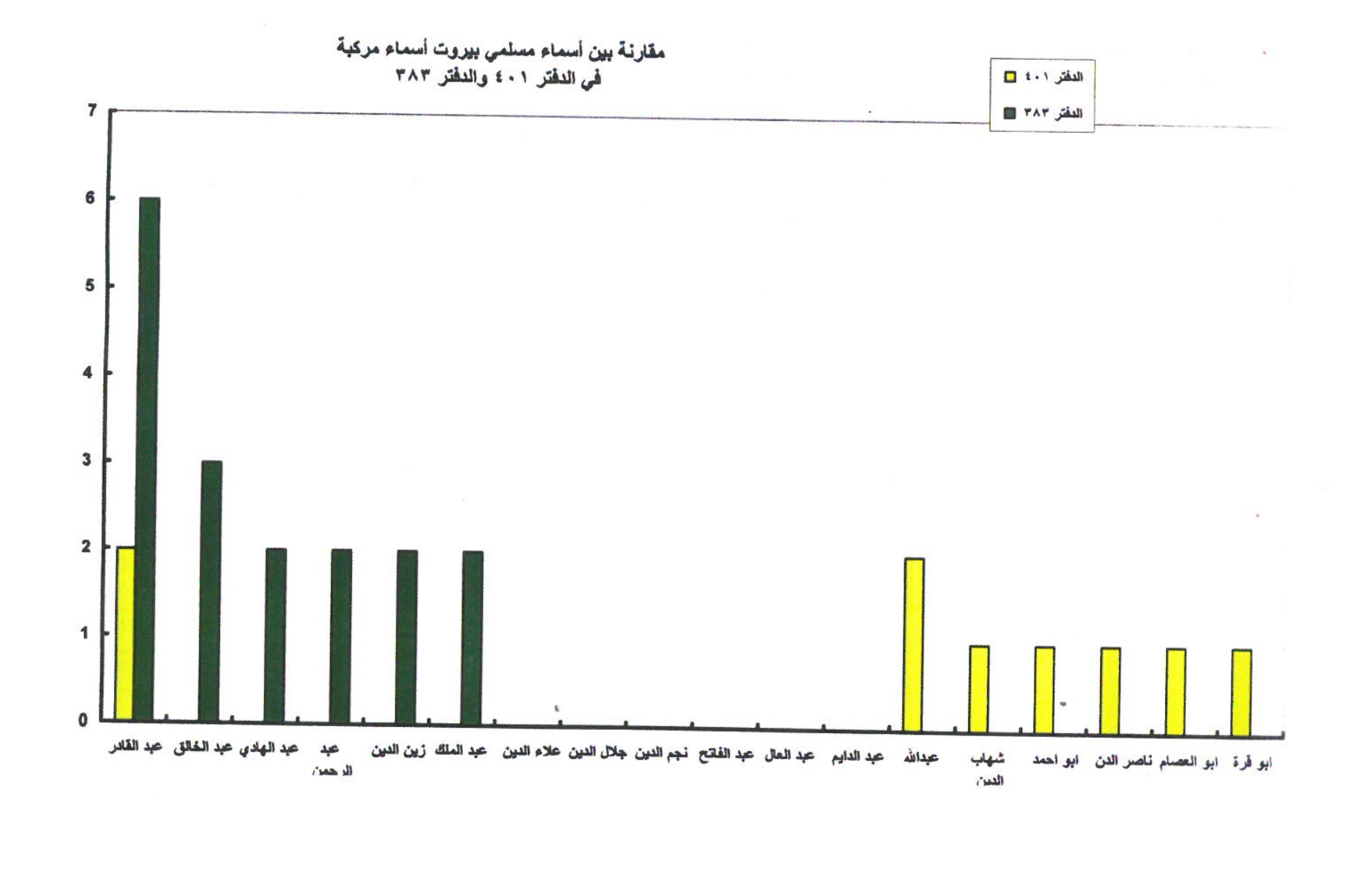
اسماء مهن*	الدفتر 401	الدفتر 383
فوّال	–	1
سماك	1	3
فاعل	1	–
الطرق	–	2

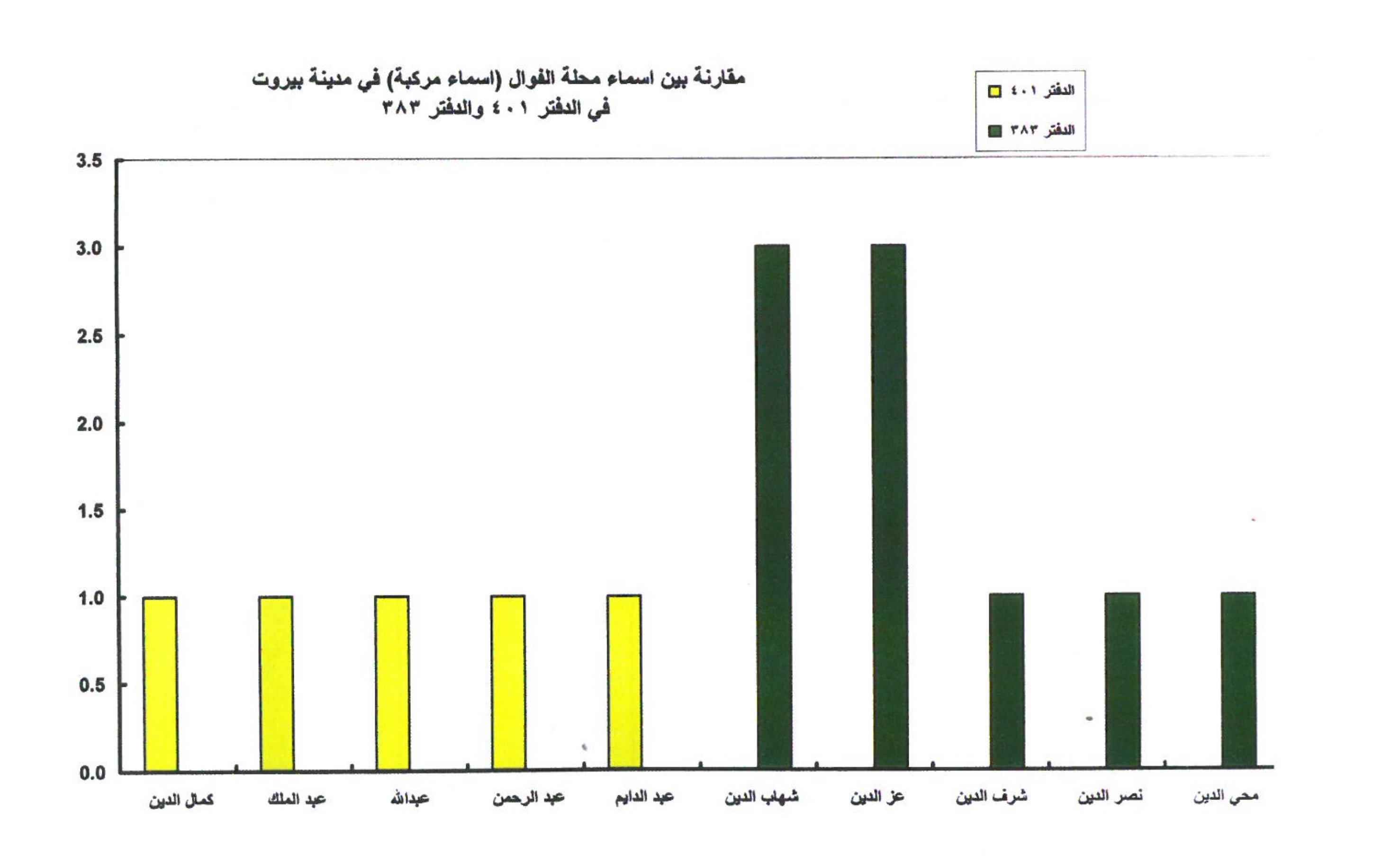
* ملاحظة: ثمة إشارة الى معلم خليل والى معلم رجب (دفتر ٤٠١) والريّس علي (الدفتر ٣٨٣)

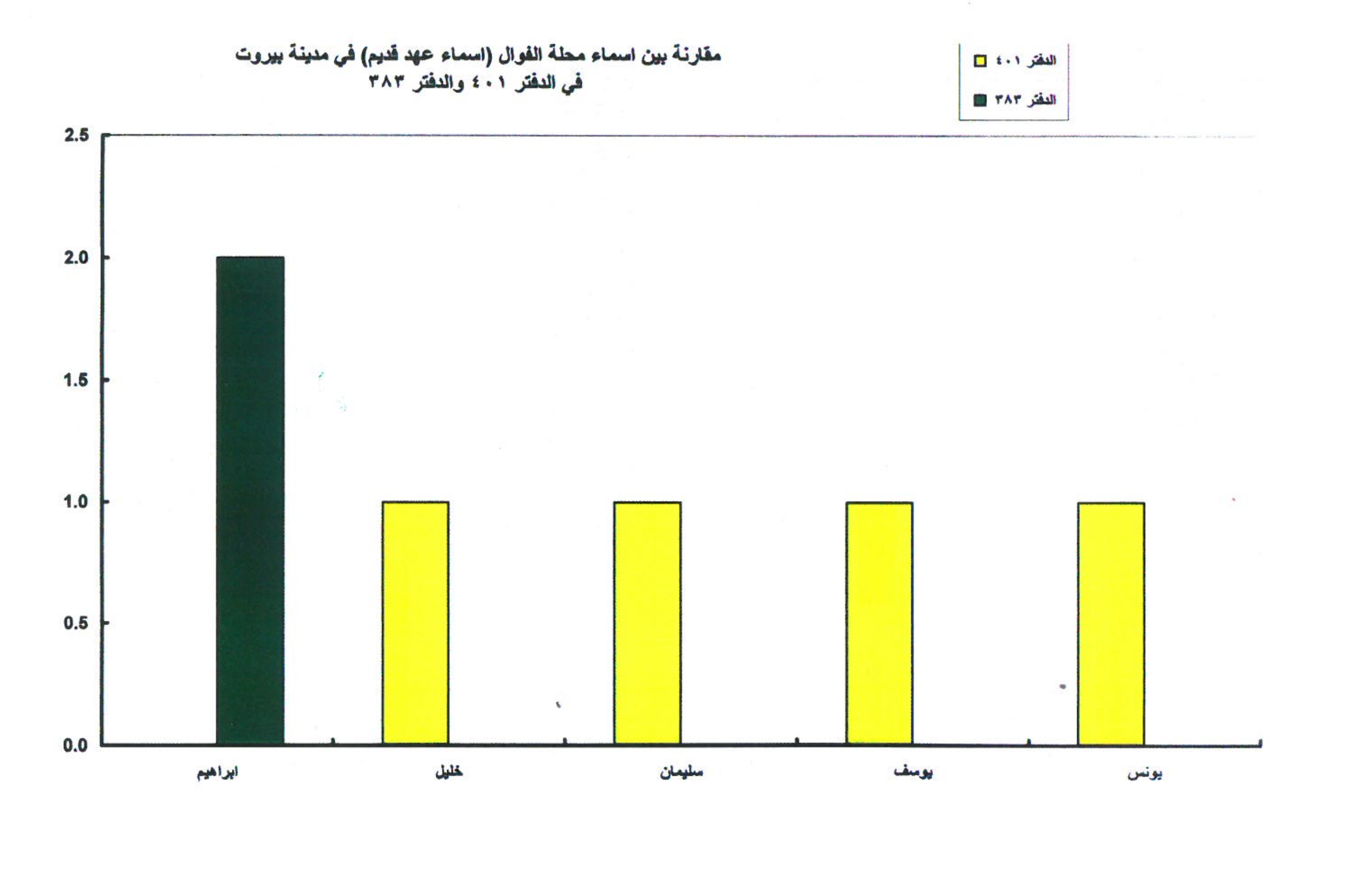
اسماء مختلفة	الدفتر 401	اسماء مختلفة	الدفتر 383
شويفاتي	1	جبيلي	1
عبد	1	حمدان	1
رجب	1	سويدان	2
يتيم	1	شومان	1
ابو الريّس	1	نصيف	1
منصور	1	صحيح	1
حلو	1		

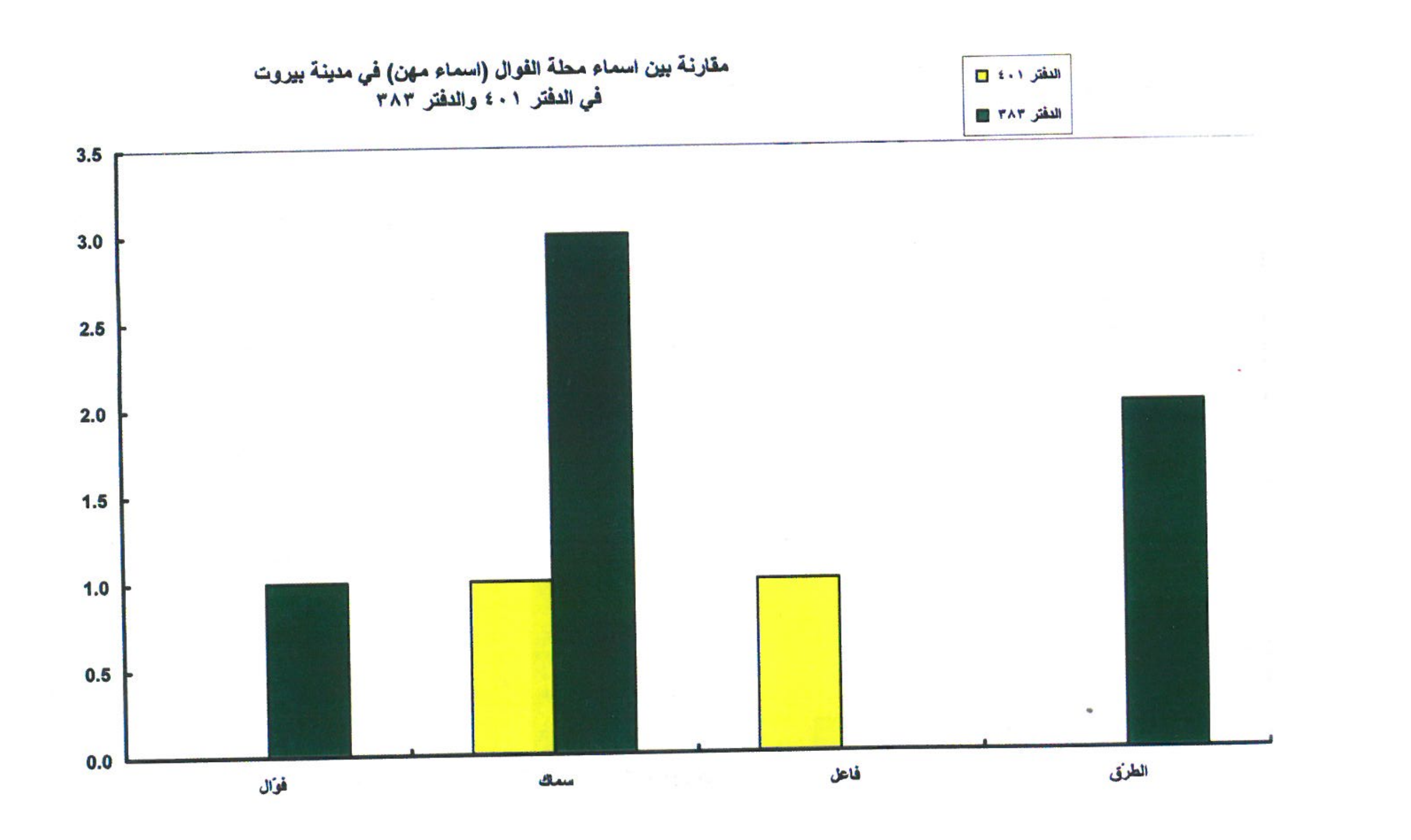
وإذا حاولنا أن نبرز المعطيات والجداول الرقمية إلى غرافيك بياني لأمكن التوصل إلى المقارنات البيانية التالية:

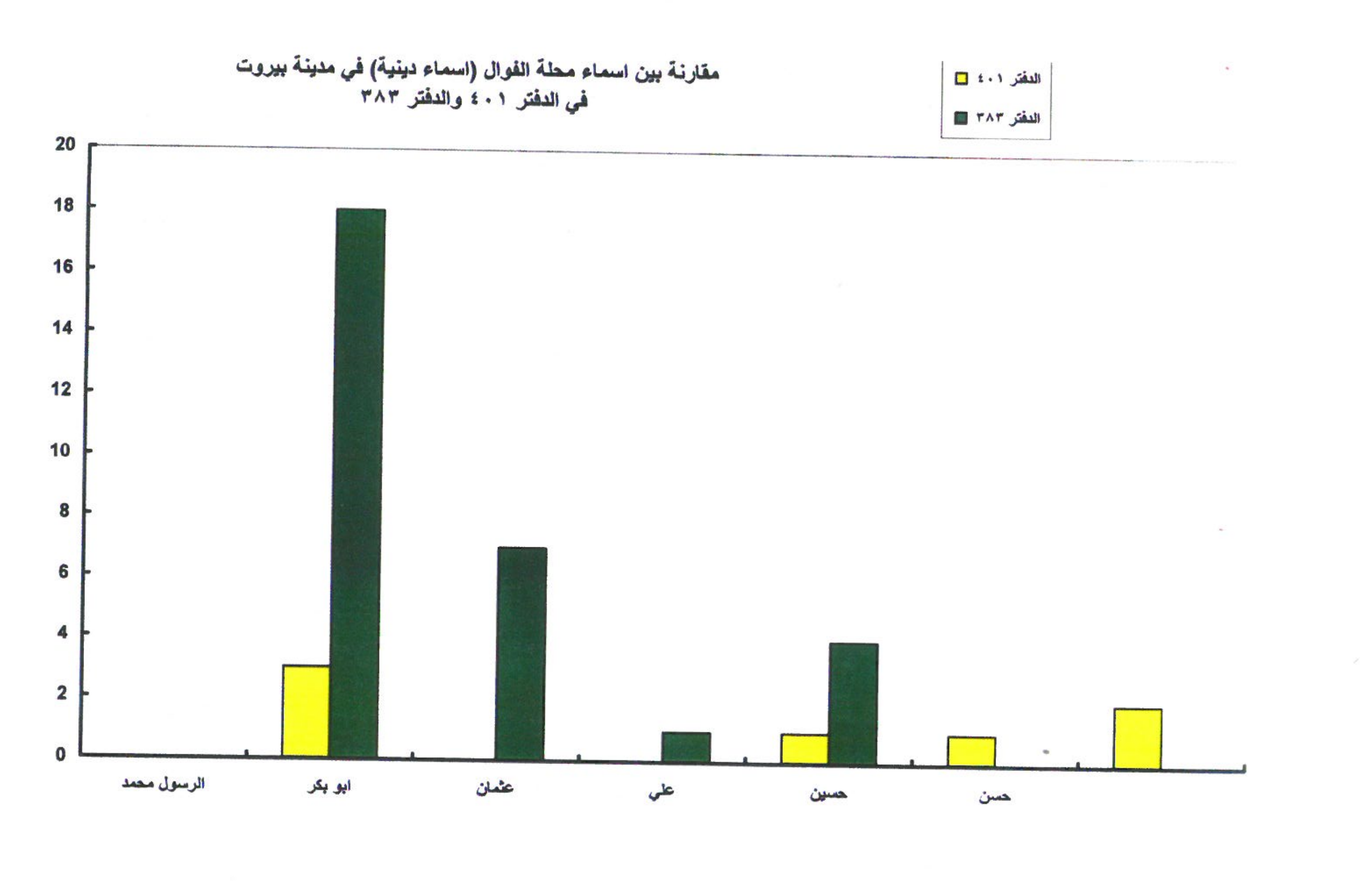


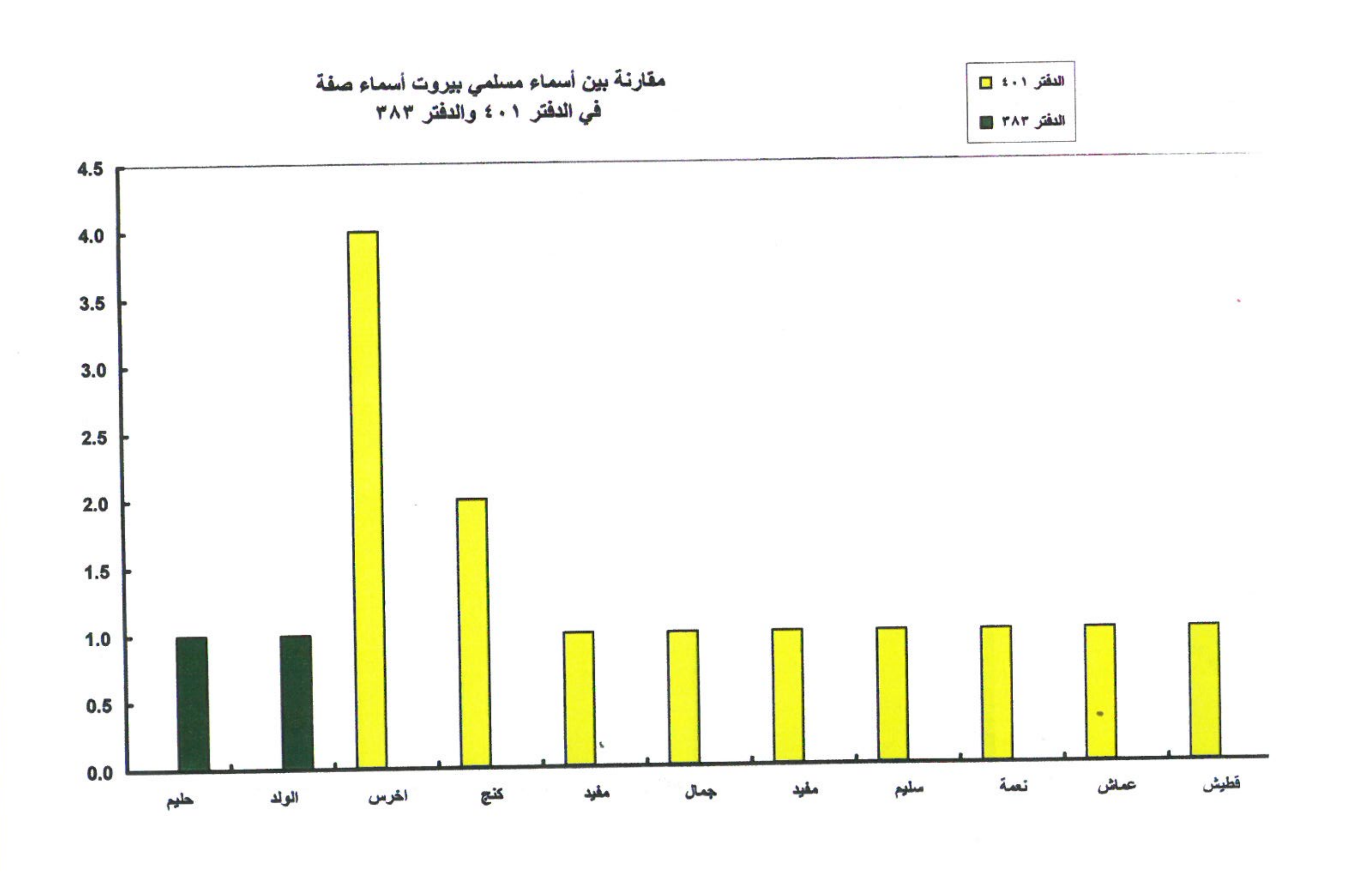

مقارنة بين أسماء مسلمي بيروت أسماء مركبة
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
0
1
2
3
4
5
6
7
عبد القادر
عبد الخالق
عبد الهادي
عبد الرحمن
زين الدين
عبد الملك
علاء الدين
جلال الدين
نجم الدين
عبد الفتاح
عبد العال
عبد الدايم
عبدالله
شهاب الدين
ابو احمد
ناصر الدن
ابو العصام
ابو قرة

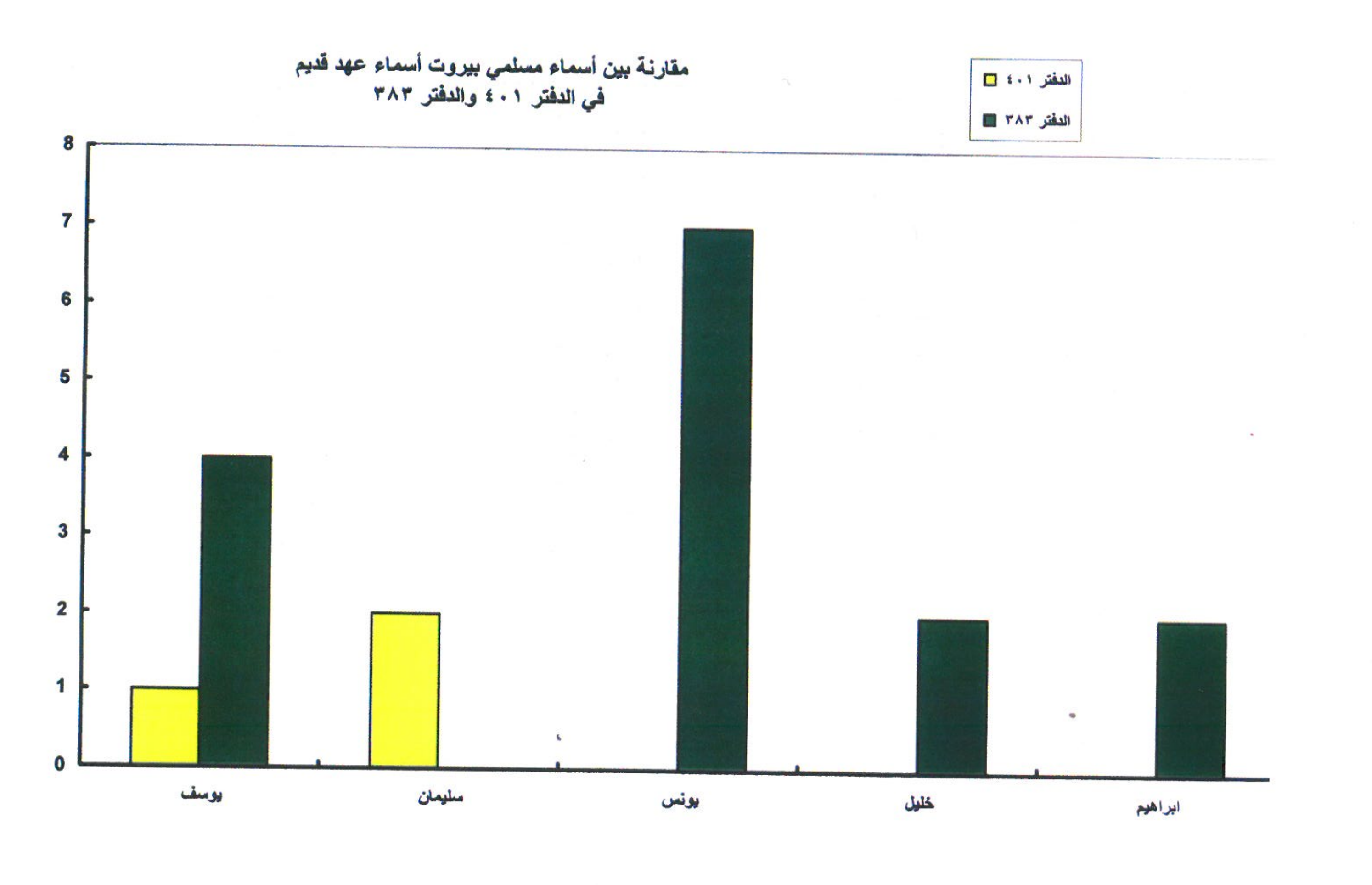

مقارنة بين اسماء محلة الفوال (اسماء مركبة) في مدينة بيروت
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
0.0
0.5
1.0
1.5
2.0
2.5
3.0
3.5
كمال الدين
عبد الملك
عبدالله
عبد الرحمن
عبد الدايم
شهاب الدين
عز الدين
شرف الدين
نصر الدين
محي الدين

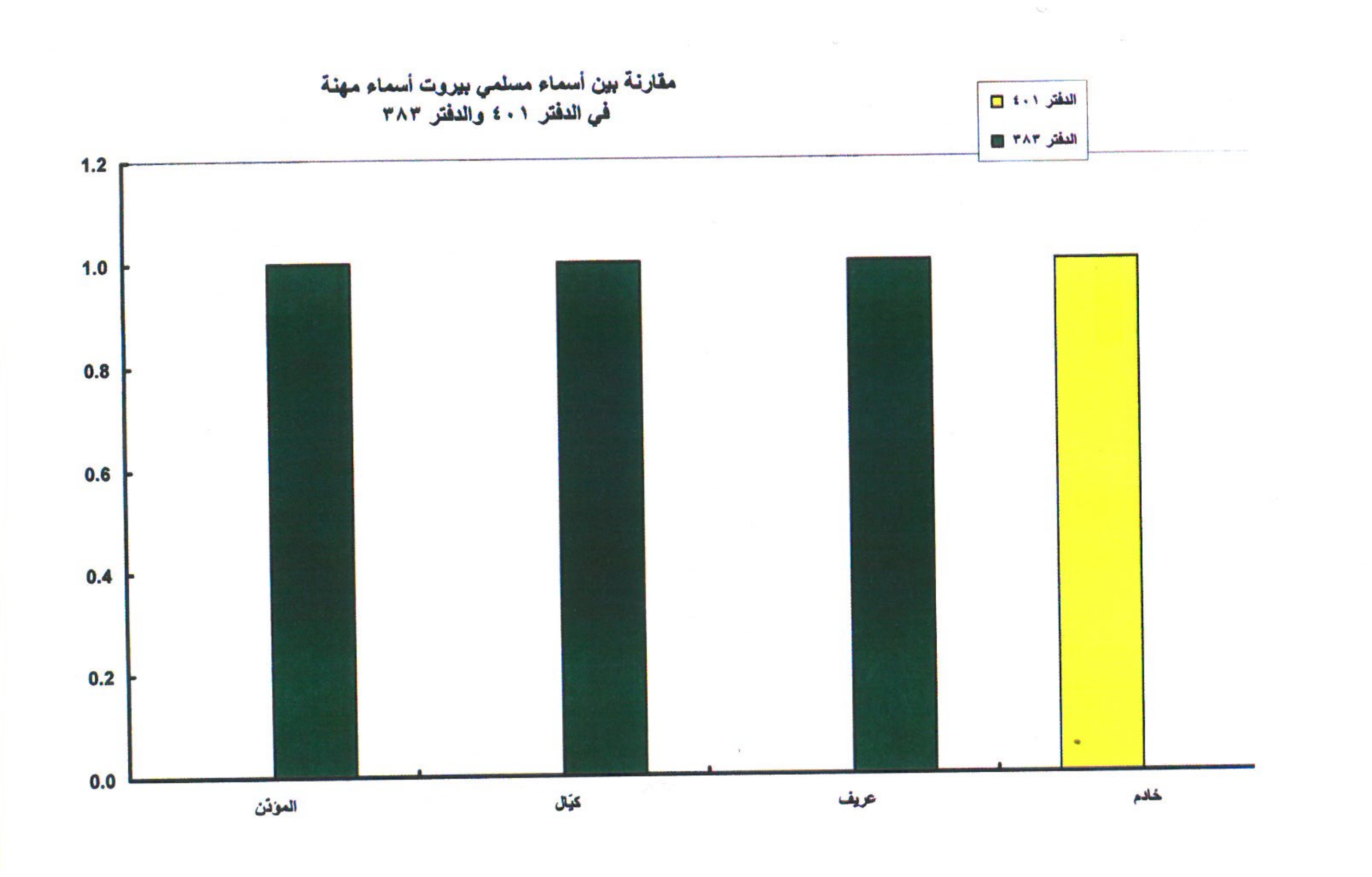

مقارنة بين اسماء محلة الفوال (اسماء عهد قديم) في مدينة بيروت
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
2.5
2.0
1.5
1.0
0.5
0.0
ابراهيم
خليل
سليمان
يوسف
يونس

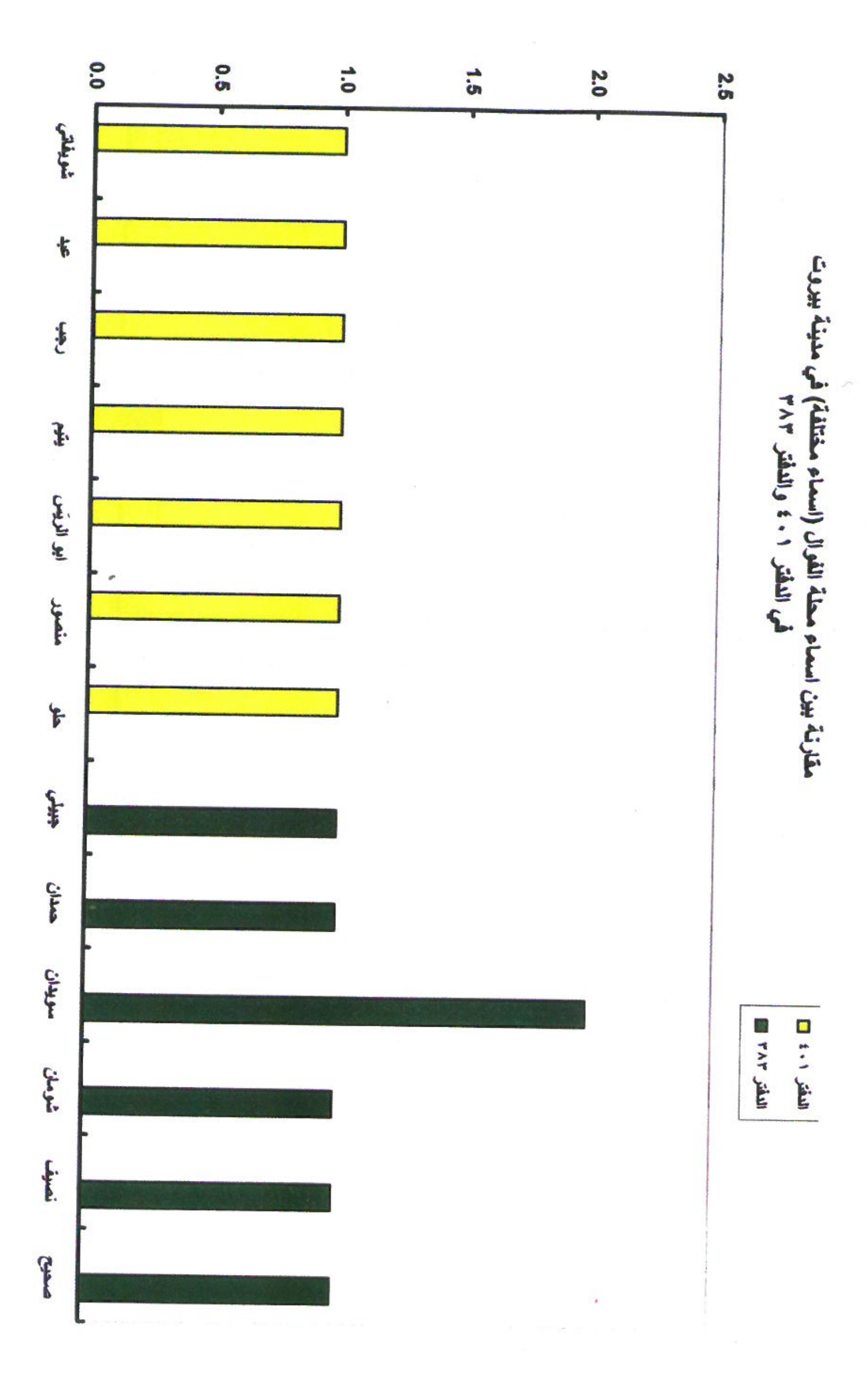

مقارنة بين اسماء محلة الفوال (اسماء مهن) في مدينة بيروت
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
3.5
3.0
2.5
2.0
1.5
1.0
0.5
0.0
فوّال
سماك
فاعل
الطرق


مقارنة بين اسماء محلة الفوال (اسماء دينية) في مدينة بيروت
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
20
18
16
14
12
10
8
6
4
2
0
الرسول محمد
ابو بكر
عثمان
علي
حسين
حسن


مقارنة بين أسماء مسلمي بيروت أسماء صفة
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
4.5
4.0
3.5
3.0
2.5
2.0
1.5
1.0
0.5
0.0
حليم
الولد
اخرس
كنج
مفيد
جمال
مفيد
سليم
نعمة
عماش
قطيش


مقارنة بين أسماء مسلمي بيروت أسماء عهد قديم
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
8
7
6
5
4
3
2
1
0
يوسف
سليمان
يونس
خليل
ابراهيم

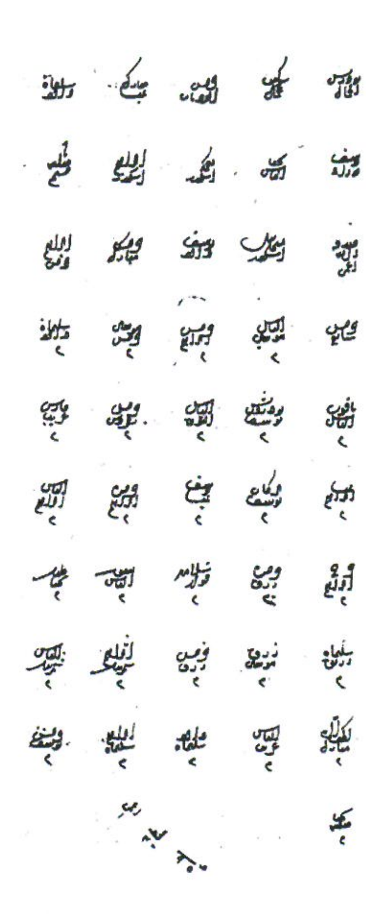

مقارنة بين أسماء مسلمي بيروت أسماء مهنة
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
1.2
1.0
0.8
0.6
0.4
0.2
0.0
المؤذن
كيّال
عريف
خادم



٦- أسماء المسيحيين في الدفتر ٣٨٣

يجدر بنا قبل إيراد هذه الأسماء أن نسجل بعض الملاحظات:

١. لم يلحظ الدفتر كتابة العنوان التقليدي، كما في الكثير من دفاتر التحرير (جماعت نصارى).
٢. هناك ١٢١ اسماً مسجلاً على الدفتر. ونتيجة الجمع المدوّن في آخر الأسماء (٩٥ خانة أي متزوج، ٣٠ مجرد أي أعزب، ١ أعمى) هي ١٢٦ اسماً.
٣. فهل يمكننا الافتراض أن العنوان (أي جماعت نصارى) والأسماء الناقصة قد سقطت من الدفتر بفعل عوامل مختلفة. أم أن الخطأ موجود من الأساس في الدفتر؟!
٤. هناك اسمان يحملان لقب خوري واسم واحد لقب شماس.
٥. لا ذكر لاسم المحلة التي يسكنها هؤلاء المسيحيون ولا إشارة إلى توزعهم على المحلات المختلفة.
٦. لقد فصل الدفتر بين أسماء المتزوجين الذين أوردهم في المقدمة والعازبين الذين أوردهم الدفتر في آخر أسماء النصارى حيث لحظ تحت اسمهم حرف (م).



وهذه الأسماء هي التالية:

ابراهيم حنا – يوسف غريب – داود كلاس – موسى جريج – ابراهيم الشامي –
مرزوق الحايك – ابو صياح (؟) يوسف – جرجس خوري – وهبة – ابو خليل كدي –
طعان عقاد – اسحق نقوله – عيسا رميه – اذر يعقوب – عيد ربعون –
حنا قيامه – ابراهيم فروخ – جرجس سليمان – شماس عيسا – فرح شماس – جرجس سليمان
– موسى خليل – عيسا جرجس – جرجس مهدي – يوسف نصراني –
يوسف صادق – عيسا حليب – ابراهيم كوراني – ابراهيم فرج – بطروس يحنا –
يعقوب يحنا – يوسف خوري – ابراهيم دياله – يوسف ربابه – ابراهيم لغد (؟) –

خليل لوزاني – يوسف خليل – معاهد خليل – بطرس النبا – موسى فرزلي –
ابراهيم وهبه – عيسا منصوراتي – ربعون قبرس – حنا قطان – حنا طحان –
عيسا اسكندر – اسحق بشاره – بطروس بشاره – خليل موسى – بطروس عيسا
موسى قبالة – يوسف موسى – يوسف خليل – ابراهيم نجار – يعقوب عريف.
موسى جبرائيل – الياس جمعه – وهبه تادرس – يوسف سمعان – حسن جرجس.
موسى ماجد – بطروس جرجس – ابراهيم قطان – يوسف سليمان – داود يوسف.
رزق داود – بطروس قمر – جرجس بطروس – خليل مسعود – نعمه حاطوم.
يحنا نعمه – يحنا يوسف – زريق صياح – يعقوب الحمال – هوله الجمال.
تودرس الجمال – سركيس حمال – جرجس الوديان (؟) – مبارك عيسا – سليمان داود.
يوسف حوراني – يحنا الياس – نعمه اسكندر – ابراهيم اسكندر – صليبه مسيح.
صدقه داود (أعمى) – ميخائيل اسكندر – يوسف داود – جرجس مبارك – ابراهيم جرجس.
جرجس سانع – الياس موسى – جرجس ابراهيم – موسى جرجس – سليمان داود

م م م م

ياقوب (يعقوب) الياس – بودرويش يوسف – الياس اشقرجه – جرجس بطروس –

م م م م

حارس غريب.

م

عيسى ابراهيم – ركان يوسف – يوسف عيسا – جرجس ابراهيم – الياس ابراهيم.

م م م م م

فرح ابراهيم – جرجس رزق – سلامه مولد – يعقوب الياس – يحنا طويل.

م م م م

سليمان زريق – زريق موصلي – جرجس رزق – ابراهيم سمر جبيل –

م م م م

الياس سمر جبيل.

م

لطف الله مبارك – الياس عريف – داود سليمان – ابراهيم سليمان –

م م م م

جرجس يوسف – يحنا صليبه

م م

٧– أسماء المسيحيين في الدفتر ٤٠١:

وهذه الأسماء هي التالية:

ابراهيم جرجس – جرجس او – رزق الله داود – جرجس قمر – يوسف او – عيسى يوسف –
يوسف يحنا – قسيس صدقه – سليمان يوسف.
يوسف او – لطف الله موسى – يوسف نعمان – اسحاق شامه – بطرس برادراو –

م

ابراهيم الوس – خليل عدله(؟) – فؤاد ابراهيم – يحنا نجار.
معتوق صدقه – خليل برادر او – نعمه يحنا – زريق صباغ – داود بصيبس – مبارك فوزي –
حلف دلو – يوسف قسقوص – يوسف ذكرى.

م

سليمان داود – الياس دموس – نعمه اسكندر – امين الغبريس – وهبه تدروس – يوسف برادر او – صدقه ابراهيم – موسى نادر – ميخائيل اسكندر.
ابراهيم الصبان – بطرس الفاعل – مصلب قيم – داود الشوا – حيان مجدلى – يحنا موسى – ابراهيم محدلي – سليمان توما – عيسى امين.
فرح يحنا – سليمان داود – القسيس وهبه – عيسى مبارك – ابراهيم اسكندر – الياس نعمه – ابو موسى الورد – خليل موسى – جرجس فوزي.
ميخائيل مقير – فؤاد كوره – ابراهيم كوره – ابراهيم ربابه (أو دياب) – موسى الطويل – عيسى هلون – ابراهيم هلّون – يعقوب غبريل – طوماوس ابراهيم.

م

الياس كوره – يوسف خوري – عيسى حوراني – ابو نبيل قمرين (؟) – حبيش جرجس حبيش طويل.

٣–١٥ مقارنة بين أسماء نصارى بيروت في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣

اسماء العهد القديم	الدفتر 401	الدفتر 383
ابراهيم	11	16
موسى	7	10
داود	5	7
خليل	3	8
سليمان	4	6
يعقوب	1	6
اسحق	1	2
الياس	3	–
يوسف	10	19

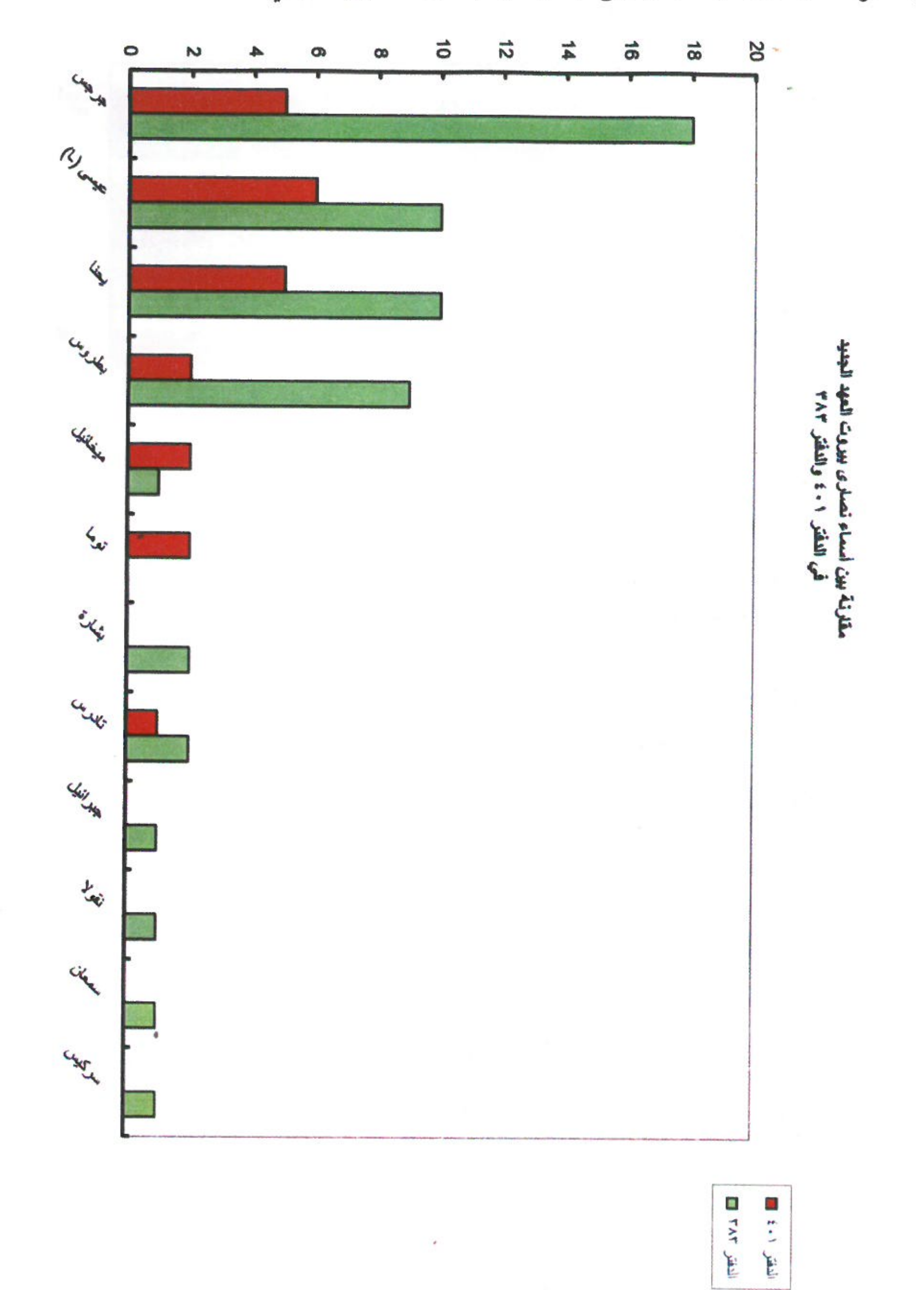
اسماء العهد الجديد	الدفتر 401	الدفتر 383
جرجس	5	18
عيسى (لا)	6	10
يحنا	5	10
بطروس	2	9
ميخائيل	2	1
توما	2	–
بشارة	–	2
تادرس	1	2
جبرائيل	–	1
نقولا	–	1
سمعان	–	1
سركيس	–	1

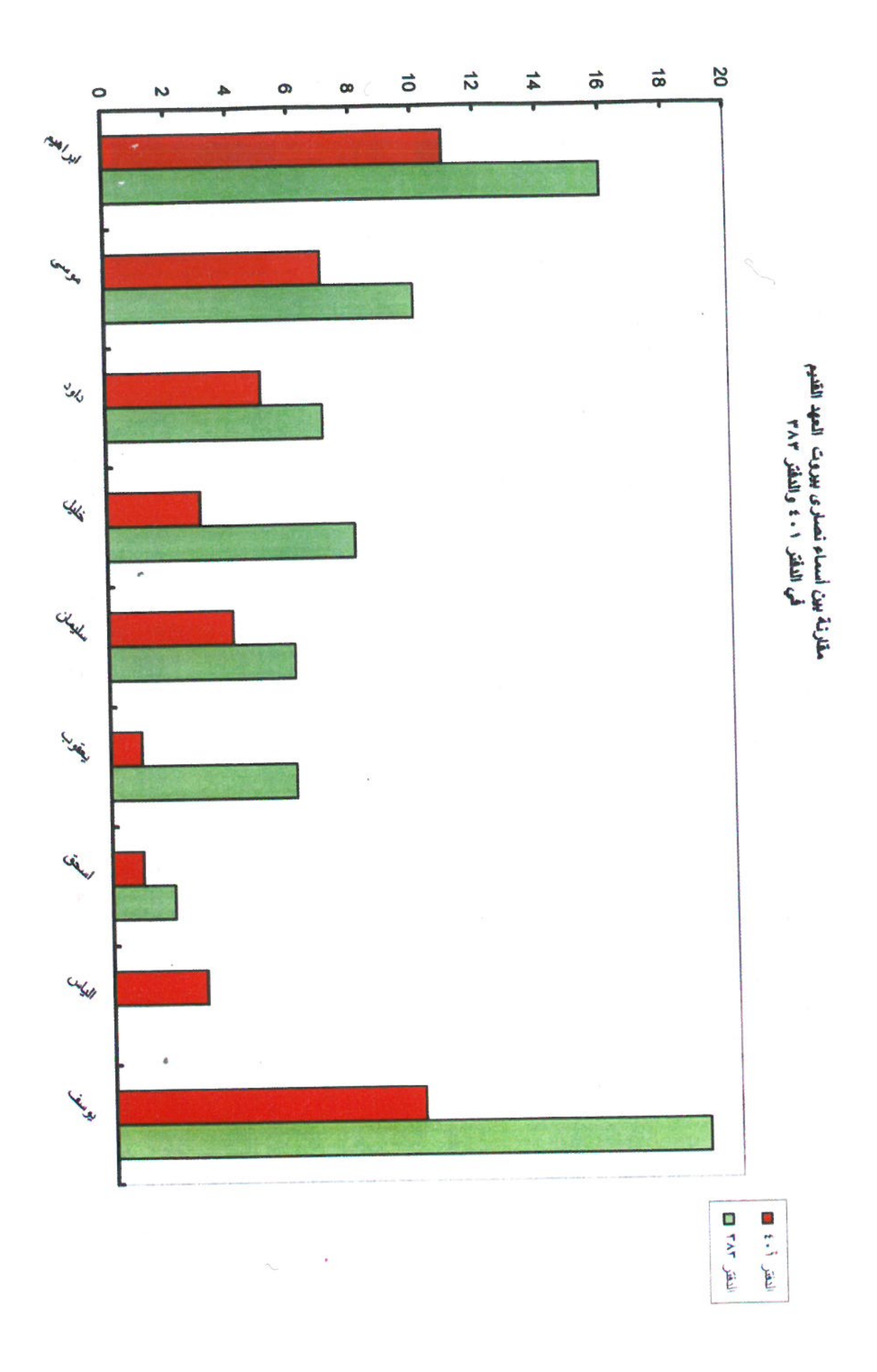
تابع مقارنة أسماء نصارى بيروت في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣

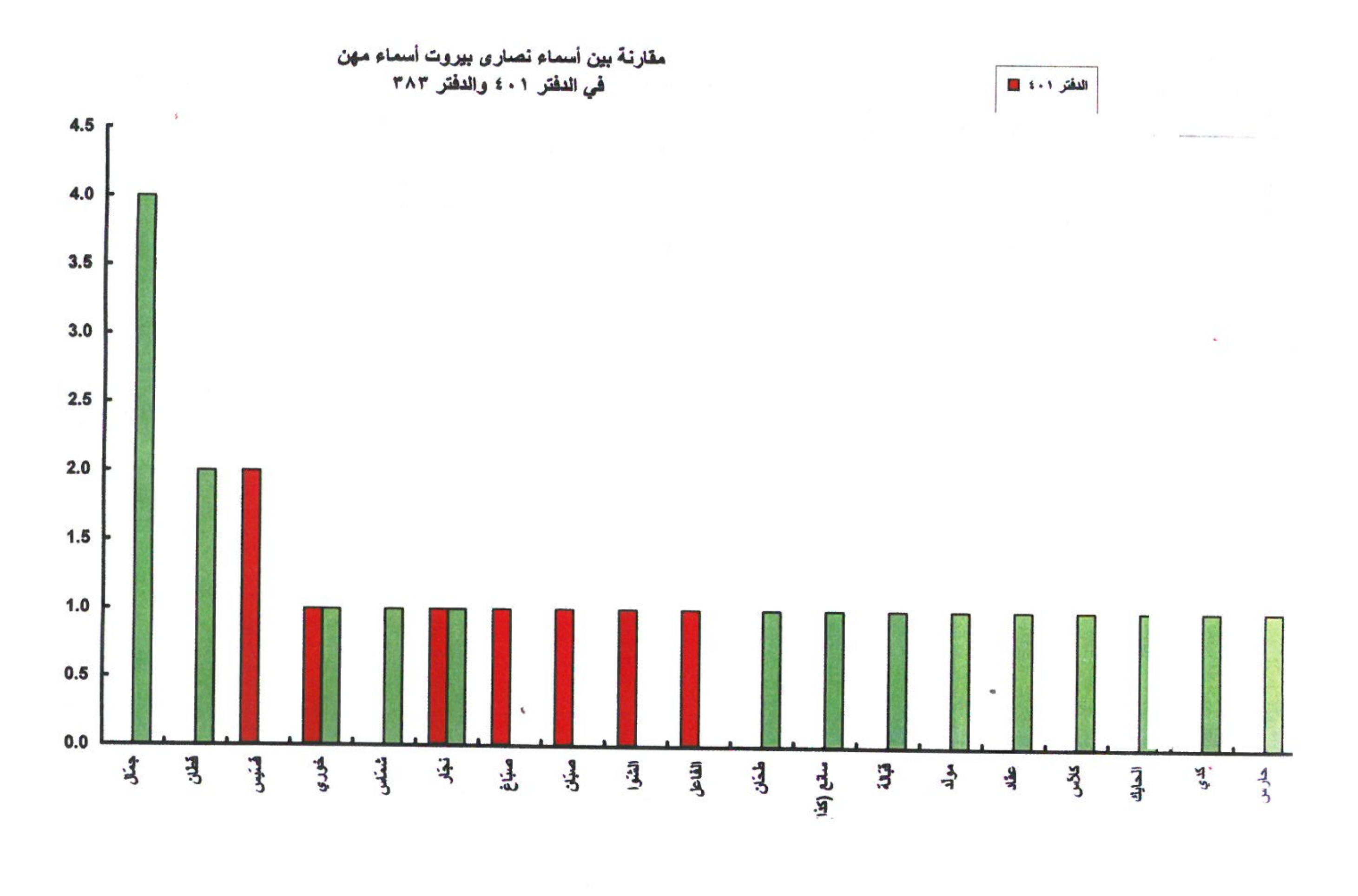
اسماء مهن	الدفتر 401	الدفتر 383
جمّال	–	4
قطّان	–	2
قسّيس	2	–
خوري	1	1
شمّاس	–	1
نجّار	1	1
صبّاغ	1	–
صبّان	1	–
الشّوا	1	–
الفاعل	1	–
طحّان	–	1
سانع (كذا)	–	1
قبّالة	–	1
مولّد	–	1
عقّاد	–	1
كلاّس	–	1
الحايك	–	1
كدي	–	1
حارس	–	1

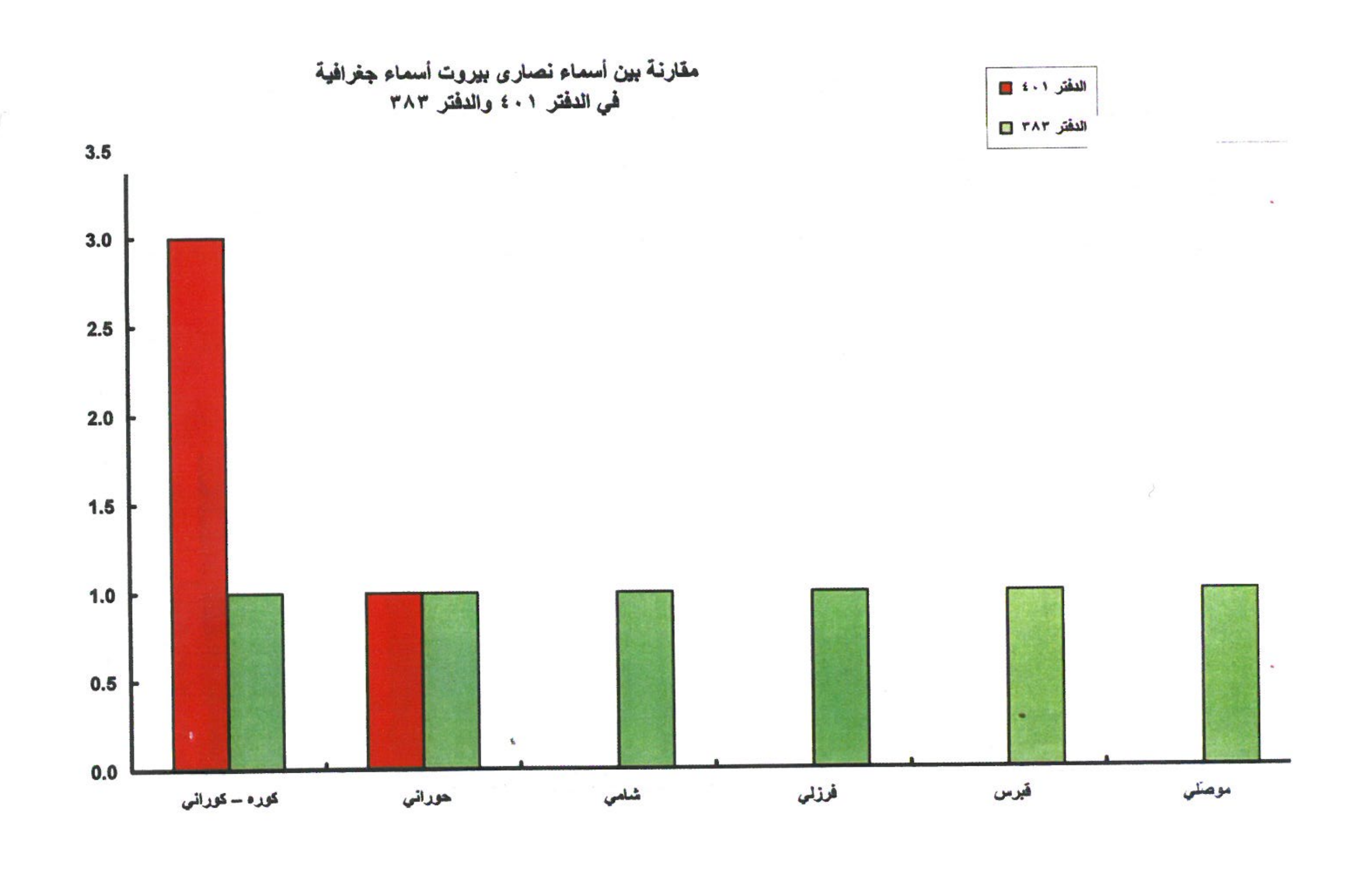
أسماء جغرافية	الدفتر 401	الدفتر 383
كوره – كوراني	3	1
حوراني	1	1
شامي	–	1
فرزلي	–	1
قبرس	–	1
موصّلي	–	1

وإذا حولنا الجداول الإحصائية إلى جداول بيانية لتوصلنا إلى ما يأتي:






مقارنة بين أسماء نصارى بيروت أسماء مهن
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
4.5
4.0
3.5
3.0
2.5
2.0
1.5
1.0
0.5
0.0
جمّال
قطان
قسّيس
خوري
شمّاس
نجّار
صبّاغ
صبّان
الشوا
الفاعل
طحّان
صائع (كذا)
قبّالة
مولد
عقّاد
كلاس
الحايك
كدي
حارس


مقارنة بين أسماء نصارى بيروت أسماء جغرافية
في الدفتر ٤٠١ والدفتر ٣٨٣
الدفتر ٤٠١
الدفتر ٣٨٣
3.5
3.0
2.5
2.0
1.5
1.0
0.5
0.0
كوره – كوراني
حوراني
شامي
فرزلي
قبرس
موصلي

٨. أسماء اليهود في الدفترين ٣٨٣ و٤٠١:

بعد إيراد أسماء ارى يورد الدفتر أسماء الذكور الناضجين من اليهود تحت عنوان (جماعت يهود در نفس ت)، وعددهم ١٦ كلهم من المتزوجين.

وهذه الأسماء هي التالية:

نسيم ابراهيم – اليان ابراهيم – يعقوب الحشاش – افرايم يوسف شعيب افرايم.
موسى افرايم – اذره (عزرا) افرايم – يعقوب سليمان – يحنا سموئيل – ابراهيم حداد.
اسحق خريس (أو جريس) – يوسف طويل – عمر يزبك (؟) – اسحاق ابراهام – يعقوب خريس (أو جريس) – سليمان ابراهام.
وفي الدفتر ٤٠١، ص ٤٠٧، يتم إيراد أسماء الذكور الناضجين من اليهود تحت عنوان: (جماعت يهوديان در نفس بيروت) وعددهم ١٩ خانة أي أنهم كلهم من المتزوجين.

وهذه الأسماء هي التالية:

يحنى او يحيى سمومن (؟) – سليمان داود – ابراهيم هارون – ابراهيم در لوماك – سلمون او – دلباني ديك – ابراهيم حداد – ابراهيم صباغ – اسحق جرجس.
يوسف طويل – ابراهيم اسحق – الياس او – نسيم او – عمران يونسي – اسحق ابراهام – يعقوب جرايس – سليمان ابراهام – دوير بدروس – ابراهيم وجماعت (...) ابراهيم.

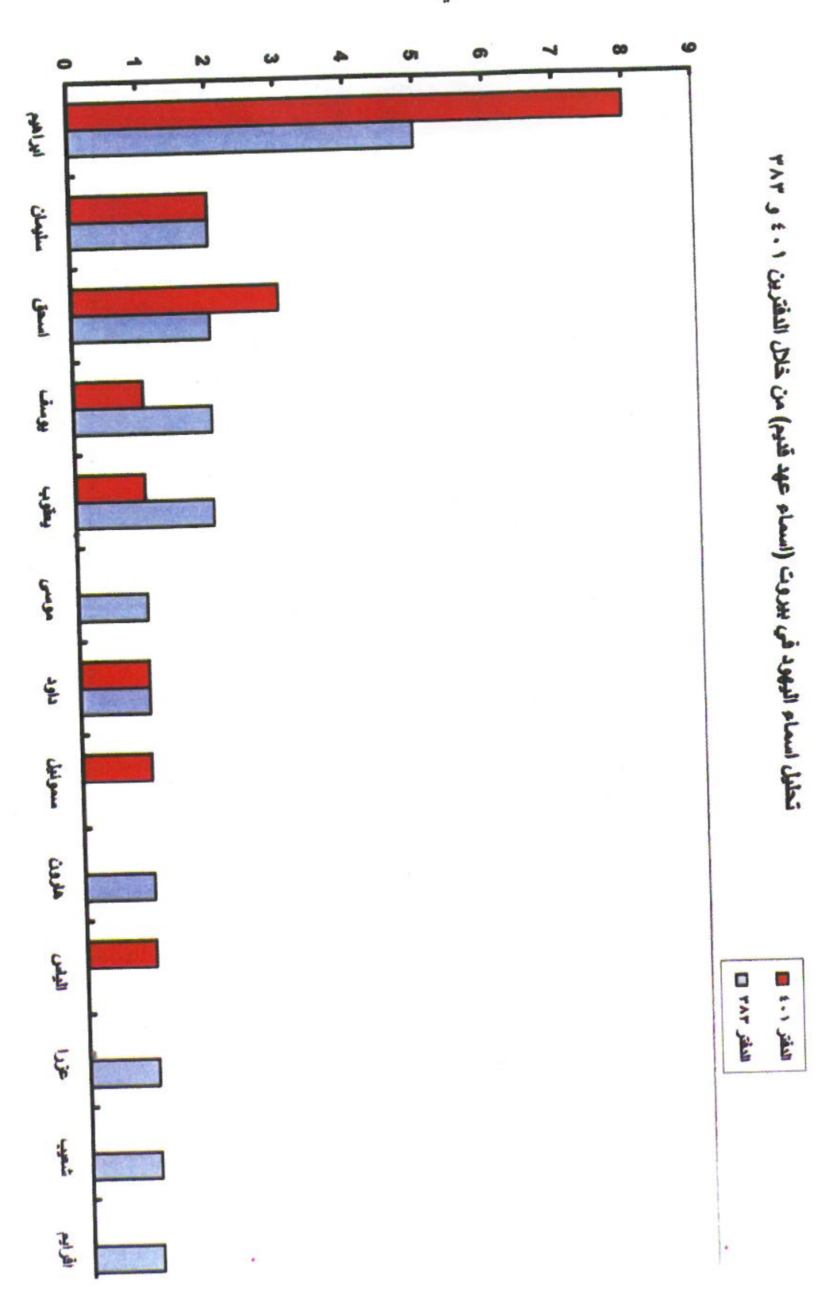
وإذا قمنا بمقارنة الأسماء في الإحصاءَين لتوصلنا إلى الجدولين التاليين:

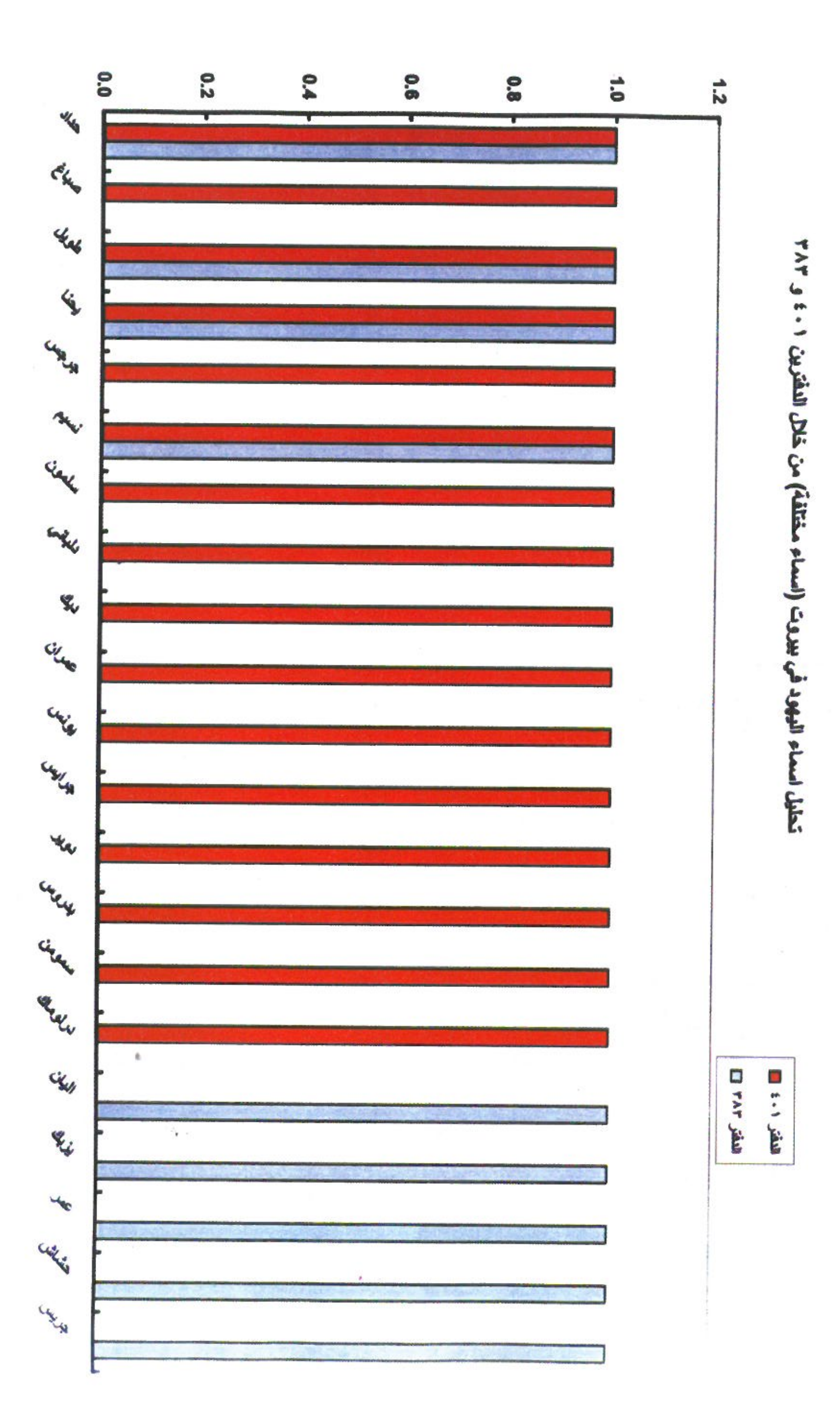
٣-١٦ تحليل أسماء اليهود في بيروت من خلال الدفترين ٤٠١ و ٣٨٣

اسماء عهد قديم	الدفتر 401	الدفتر 383
ابراهيم	8	5
سليمان	2	2
اسحق	3	2
يوسف	1	2
يعقوب	1	2
موسى	–	1
داود	1	1
سموئيل	1	–
هارون	–	1
الياس	1	–
عزرا	–	1
شعيب	–	1
افرايم	–	1

اسماء مختلفة	الدفتر 401	اسماء مختلفة	الدفتر 383
حداد	1	حداد	1
صباغ	1	حشاش	1
طويل	1	طويل	1
يحنا	1	يحنا	1
جرجس	1	جريس	1
نسيم	1	نسيم	1
سلمون	1	اليان	1
دلباني	1	يزبك	1
ديك	1	عمر	1
عمران	1		
يونس	1		
جرايس	1		
دوير	1		
بدروس	1		
سمومن	1		
درلوماك	1		

وإذا حوّلنا هذين الجدولين إلى غرافيك بياني:





٩. ملاحظات عامة:

هناك استنتاجات عامة يمكن التوصل إليها في ضوء تحليل الأسماء التي عرضناها بشكل جزئي عند المسلمين، وبشكل كلي عند المسيحيين واليهود.

بالنسبة لأسماء المسلمين في محلتي باب المدينة والفوال نلاحظ:

- غزارة الأسماء الدينية للرسول محمد (١٥ مرة في كل من الإحصاءَين) وللخلفاء الراشدين (أبو بكر وعثمان وعمر وعلي) وللأسماء المركبة.
- وجود أسماء من العهد القديم.
- وجود أسماء صفة.
- ضآلة أسماء المهن (كيّال، فوّال، قباني، خادم، قوّال، فاعل، الخ...).
- وجود هام لأسماء شيعية (علي، حسن، حسين) الأمر الذي يرجح وجود شيعة في المدينة، وكذلك هناك احتمال وجود درزي (حمزة عبد الملك). وما يؤكد هذه الفرضية ما ورد في دفاتر المهمة عن الدور الذي يقوم به الروافض في بيروت. ففي حكم مرسل، كما ذكرنا، من الديوان الهمايوني في اسطنبول إلى بكلربكي الشام بتاريخ ١٥ شباط ١٥٦٥ ورد ما يلي:

«أرسلت رسالة تعلم فيها أن قايتباي الذي يسكن في بيروت وله زعامة فيها، بينه وبين ابن أخيه أمين كسروان منصور عداء قديم بسبب نزعة رايتي البيضاء والحمراء. وتبع أهواء كل واحد منهما ٤٠٠–٥٠٠ نفر فارس ومسلح بالبندقية ومشاة لا يخلو الحرب والخصام والقتال بين بعضهما البعض. ولهذا فإن الرعايا أصبحوا في وضع يرثى لهم. وخرج القضاء المذكور من اليد وتبع كل واحد منهما عدد كبير من الرجال. ومعظم المجتمعين حولهما روافض. ولقيامهما بالإغارة العشوائية فإن الولاية أصبحت خراباً ولا يمكن حفظ وحراسة القضاء المذكور دون إزالتهما كليهما وتأديبهما»...

هذا النص يؤكد وجود الشيعة والدروز بين سكان بيروت. وإذا كان هناك احتمال بأن يكون بعض أنفار الفرسان من خارج بيروت، فالأكيد أن جزءاً غير قليل منهم يفترض أن يكون من نفس بيروت، لا سيما وأن العدد المذكور (٤٠٠–٥٠٠ فارس) هو عدد كبير بالنسبة للذكور الناضجين في هذه المرحلة.

ب) بالنسبة لأسماء النصارى:

- هناك اتساع لاستعمال اسم جرجس (١٨ مرة في الدفتر ٣٨٣، و٥ مرات في الدفتر ٤٠١)، واسم عيسى ويحنا وبطروس.
- وهناك شيوع كبير لأسماء من العهد القديم (إبراهيم ١٦ مرة في الدفتر ٣٨٣ و١١ مرة في الدفتر ٤٠١). وكذلك أسماء موسى وداود وخليل وسليمان ويعقوب.
- ما يلفت بروز الأهمية الكبرى لأسماء الحرف والمهن، بالمقارنة مع أسماء المسلمين (حمّال، قطّان، قسّيس، خوري، شمّاس، نجّار، صبّاغ، صبّان، الشّوا، الفاعل، طحّان، سانع (كذا)، قبّالة، مولّد، عقّاد، كلاس، الحايك، كدي، حارس.
- وجود أسماء ترتبط بأسماء جغرافية (كورة – كوراني، حوراني، شامي، فرزلي، قبرس، موصللي) وهذا يدل إلى وجود هجرة مسيحية من المدن الداخلية باتجاه جبل لبنان وبيروت.

ج) بالنسبة لأسماء اليهود:

- هناك وجود لأسماء توراتية بشكل واسع.
- أسماء المهن محدودة (حداد، صباغ، حشاش).

بعكس يهود طرابلس لم يتزايد عدد يهود بيروت، ولم نلاحظ مجيء مهاجرين من اسبانيا كما حصل في المدينة الشمالية.

إن الحراك الديمغرافي كان ظاهرة واضحة في الديمغرافية التاريخية لبيروت. والملاحظ أن تزايد السكان في هذه المدينة، خلال القرن السادس عشر كان ضئيلاً كما توضح الجداول. ويبدو أن الاضطرابات السياسية والأمنية داخل المدينة والمجاعة والأمراض أثرت على الوضع الديمغرافي على نحو واضح. والملفت وجود تنوع مستمر على الأصعدة الدينية والأتنية.

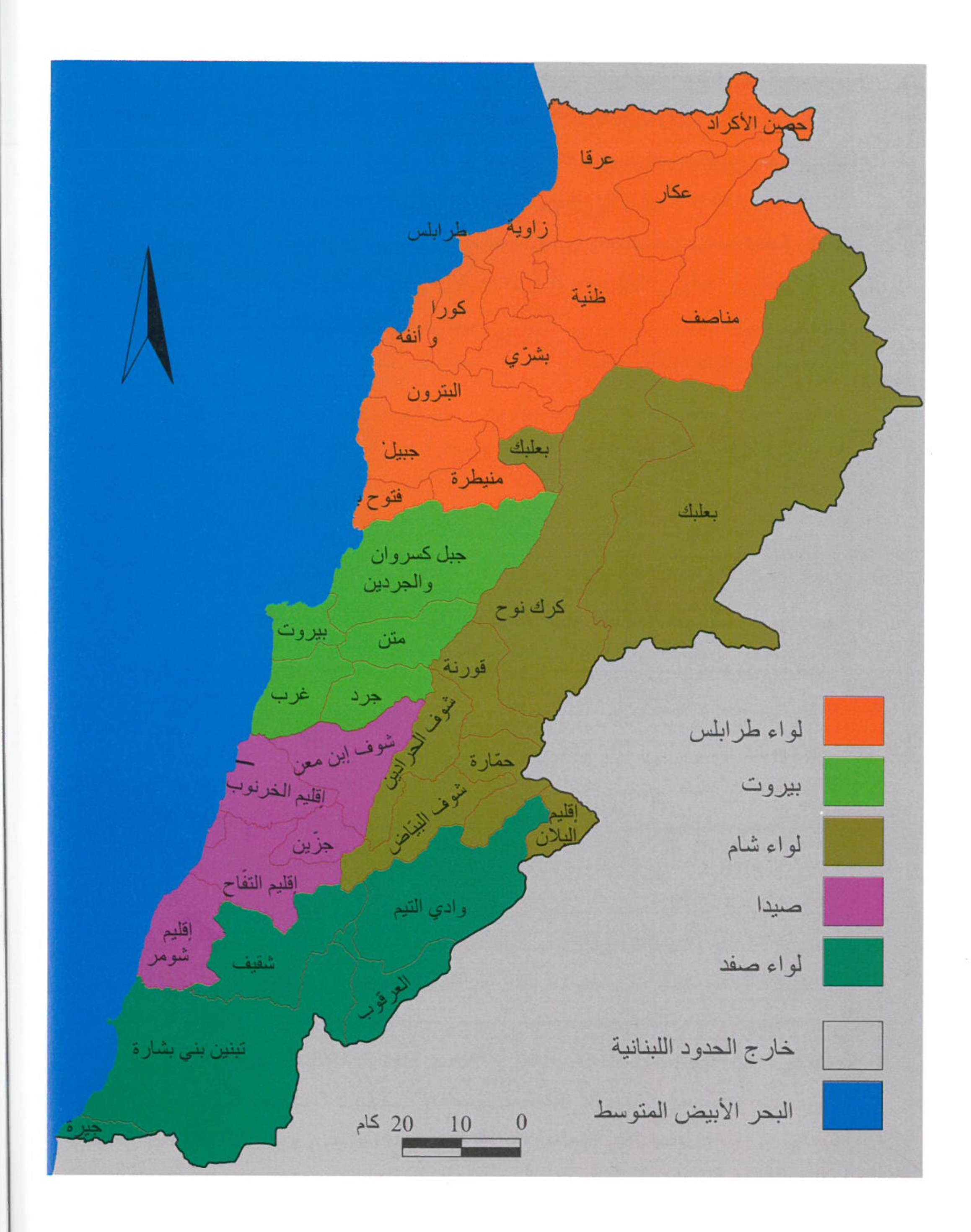
لقد شكل الرعايا القاعدة السكانية الواسعة لبيروت. وكانوا هم عامل التحول الاقتصادي على صعيدي الانتاج والتجارة، وذلك بموازاة أهل السيف (الحكام) وأهل القلم (رجال الدين والعلم). هؤلاء الرعايا عملوا في الحرف بقدر ما كان بينهم عامة عاشوا مهمشين في المدينة، يتراوح وضعهم بين الحرمان والعنف ومنهم العمال المياومون. هؤلاء كانوا يلبسون الثياب الرثة ويعيشون في منازل متواضعة ويتغذون بسعرات حرارية تبقيهم بالكاد على قيد الحياة.

وبالنسبة للمسيحيين واليهود فقد كانت معاملة السلطات العثمانية، لهم، في المدن – ومن ضمنها بيروت – أفضل من المعاملة التي عرفوها مع المماليك. ويبدو أن هذه الجماعات كانت قديمة العهد في مدن المشرق العربي، وكان لها أن تلعب دوراً هاماً على صعيدي الانتاج

الحرفي والتجارة، خاصة مع الغرب الأوروبي. فالمسيحيون كانوا صلة الوصل بين فرنسا والتجار المحليين، كما كانوا حامياً لأماكن تواجد الارساليات المسيحية الغربية.

وليس من قبيل المصادفة أن يكون التفاعل الثقافي والتربوي بين أوروبا وبين مسيحيي بيروت هو من الظواهر اللافتة، وكذلك تمركز المطبعة في جبل لبنان وتالياً في هذه المدينة.

واليهود كانوا حاضرين في بيروت ولعبوا دوراً تجارياً واضحاً منذ مرحلة العصور الوسطى. والأعمال التي كانوا مشهورين بها: صياغة الأحجار الكريمة، وتبادل العملة، والتجارة الكبرى باعتبار أن لهم صلات بيهود أوروبا.



٤ الدستور ١٩٠٨: ردود فعل النخب الثقافية والسياسية على إعلانه في بيروت وجبل لبنان ١٩٠٨ - ١٩٠٩

للبنانيين عموماً، وأبناء بيروت وجبل لبنان خصوصاً، علاقة خاصة مع الدستور العثماني منذ وضعه. فقد كان خليل غانم[1] الماروني اللبناني، من بيروت، المساعد الأساسي لمدحت باشا في كتابة مسودة الدستور.

---

١. ولد في ٨ تشرين الثاني ١٨٤٦ في بيروت. تعلّم في مدرسة عينطورا. تضلّع باللغات العربية والفرنسية والتركية والإنجليزية. عيّن ترجماناً في ولاية بيروت ثم في ولاية الشام مع تولي راشد باشا ١٨٦٥. وعندما أسندت الصدارة العظمى الى اسعد باشا، الذي كان والياً على الشام، استصحبه معه وعينه ترجمانا في وزارة الخارجية فبقي في هذا المنصب حتى العام ١٨٧٥ عندما تولى ترجمة الصدارة العظمى ورئاسة تشريفاتها. وعهد اليه مدحت باشا ان يطالع مع اغوب باشا دساتير الدول ويؤلفا دستوراً موافقاً لحالة الدولة. فوضع هذان الرجلان الدستور مع لجنة من ٢٢ عضواً من كبار موظفي الدولة.
وبعد دفاعه عن مدحت باشا وتعرضه للسلطان عبد الحميد بالقول المأثور: «أيّدْ حرية المنبر واسندها الى القانون. ومنذ شاء السلطان ان يمنح الدستور فلا يحق له الرجوع عما صدّق عليه ومنحه وصدرت ارادتُه به رسمياً. **والسلطان تحت الدستور لا فوقه**» بعد ذلك هرب غانم الى باريس بعد ان عزم السلطان على إعدامه. وهناك انشأ عدة صحف منها «البصير» بالعربية، «وتركيا الفتاة» بالفرنسية والعربية، «والهلال» بالفرنسية، ولا فرانس انترناسيونال. وكان يحرر في جريدة «مشوره» لصاحبها احمد رضا بك، ويكتب في جريدة «الديبا» «والفيغارو» وغيرهما من الجرائد الفرنسية.
له عدة مؤلفات منها: الاقتصاد السياسي بالعربية، «تاريخ سلاطين آل عثمان» في جزئين بالفرنسية، وحياة المسيح بالعربية.
اصبح مرجعاً لكل النخب العثمانية المتحررة: محمود باشا، احمد رضا بك، الأمير صباح الدين، اديب اسحق، الامير امين ارسلان، سليم سركيس وغيرهم. وكان وراء تأليف جمعية «تركيا الفتاة» وترأسها حتى وفاته. عرض عليه السلطان النيشان العثماني من الطبقة الأولى ومبلغ ١٥ الف ليرة عثمانية. كما عرض عليه ان يكون معتمداً للدولة في باريس بمعاش وافر طوال حياته. غير انه رفض بعزة نفس قبول النيشان والمبلغ الطائل والوظيفة. قدم السلطان ضده دعوى في باريس فلم تسفر عن شيء.
عام ١٨٨٣ تزوّج من فرنسية. انتخب عضواً في الجمعية العلمية الوطنية في باريس. وتوفي عام ١٩٠٦.

ولقد انضوى لبنانيون كثر في حركات سياسية وفكرية من اجل قيام حكم دستوري في السلطنة العثمانية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن العشرين. وليس صدفة ان يترجم اللبناني نوفل نعمة الله نوفل ليس فقط الدستور وانما اغلب قوانين السلطنة الى العربية.

وسنقتصر في مداخلتنا على عرض ردود الفعل على اعلان الدستور في اوساط النخب الثقافية والسياسية في بيروت وجبل لبنان بين عامي ١٩٠٨ – ١٩٠٩.

مصادر الدراسة ومراجعها:

- وثائق من الأرشيف العثماني (رئاسة الوزراء – اسطنبول) ولاسيما تلك الموجودة تحت رقم A.M.T.Z.C.L ١٣٢٧/٤.
- وثائق من الأرشيف الفرنسي (وزارة الخارجية) N.S. (Syrie – Liban) A.E. Turquie ١٩٠٨ – ١٩٠٩
- أرشيف البطريركية المارونية
- والصحف التي تعود إلى هذه الحقبة (الاتحاد العثماني، الاخاء العثماني، أبابيل، البرق، الثبات، الحقيقة، الحرية، البشير، المفيد، الحكمة، لسان الحال، الاقبال، الهدى، الصفاء، الاهرام)

المجلات: المشرق، الهلال، المقتطف، النور

قال عنه البرت حوراني انه كان يجسّد جملة التيارات الليبرالية العثمانية على امتداد الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

حول خليل غانم يمكن مراجعة:

- الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثاني، بيروت، المطبعة الأدبية، ١٩١٣، ص ٢٦٨ – ٢٧١.
- حسن قايالي، الحركة القومية العربية بعيون عثمانية ١٩٠٨ – ١٩١٨، ترجمة فاضل جتكر، ٢٠٠٣، دار قدمس، دمشق، ص ٥٣ – ٥٩ – ٧٧ – ٧٨ – ٨١ – ٩٠.

Bernard Lewis, Islam et laïcité, Fayard, Paris, 1988, P. 176.

Encyclopédie de l'Islam, N.E, 1965, T.2, P65.

- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩٣٩، دار النهار للنشر، بيروت الطبعة الأولى، ص ٣١٦ – ٣١٧.

أولاً: رد فعل بعض النخب الثقافية على اعلان الدستور:

أ) على صعيد الشعر:

بعد إعلان الدستور جادت قرائح الشعراء بنظم عشرات القصائد. ويمكننا ان نصنّف أبرزها في جملة محاور:

ب) الفرح والاغتباط:

قال الامير شكيب ارسلان قصيدة مطلعها:

الا يا بني عثمان حسبكم بشرى — لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى

وانشد أخوه الامير عادل ارسلان:

قد بشرتنا بها الانباء ناقلة — امر الخليفة نعم الآمِرُ الحَكَم

والزجال الكسرواني ناصيف مراد قال قصيدة (بالعامية)

أهل الأرض بطول وعرض — يقولوا تحيا الحرية

فليحيا نيازي وانور — والجيوش الشاهانية

ج) تغير الاحوال: مع قصيد الأديب يوسف حيدر:

مضى عصر وذا عصر جديدُ — به صرنا نفيد ونستفيد

ويقول نعوم شقير:

من الدستور لا نرضى بديلا — ولو طحنت اضالعنا طحينا

د) الاشادة بالجيش العثماني:

قال الشاعر محيي الدين الخياط:

سرت نبأة من جانب الجيش قد دوت — مشارقنا اهتزت بها والمغارب

وقال الأديب نجيب مصّور:

يا جند عثمانَ السلام عليكمُ — فلقد دوت بكم الجهات الأربع

وفي نفس السياق قال الشاعر شبلي الملاط:

فلتحيَ تركيا الفتاة ورددوا   عاش ابن تركيا وعاش العسكر

ومما ورد في قصيدة للشاعر عبدالله البستاني:

فاستحرّ الجنود طرباً وقالوا   حرُ تموز هائج الحرية

ه) الرجاء بالحاضر والفخر بالمستقبل:

يقول د. نقولا فياض في هذا المجال

يا بني عثمان انتم أمةٌ   اصبحت موضوع اعجاب الامم

ويذكر الشاعر نقولا رزق الله:

أيها الناس حيوا ذلك العلما   وسبّحوا مانح الحرية الامما

وقال سعيد بك شقير:

احرار تركية انهضتمُ وطناً   بكم سيبلغ شأواً دونه السحب

و) اعلان الدستور قوّى روح الوحدة الوطنية:

قال الشاعر نقولا رزق الله:

تعانق الشيخ والقسيس واصطحبا   من بعد ما افترقا ضدّين واختصما

تعانقا في حمى الدستور واتّحدا   ورفرفت راية التوحيد فوقهما

ومن أزجال ناصيف مراد تعليقاً على إعلان الدستور:

ما شاء الله مدينة بيروت   ونصارتها ومسلمين

شعبا مكيف مبسوط   وكل البشر فرحانين

فيها ما عاد حدا يموت   لا بقواس ولا بسكين

ولا يصير فيها طرح صوت   البسطا والاشرفية

وقال نعوم شقير:

ليعضد بعضنا بعضاً ونبني   أمانينا على أسس قوية

ففي ضم القلوب الخير بادٍ   وفي تفريقها شر البلية

وايوب ثابت يدين الانقسام ويؤكد على الوطنية:

قاتل الله كل من رام شرّاً   باخيه وعاشت الوطنية

والاديب طانيوس عبده يقول:

ورأينا بيروت ترقص تيهاً   وبنوها يعانقون بنيها

ز) استذكار الذين ناضلوا من اجل الدستور:

يقول اسعد ملحم

اذكروهم في كل صقع ونادِ   انهم حرروا رقاب العباد

بعدما جاهدوا واي جهادٍ   اذكروا كل خادم للبلادِ

من ثرى غانمٍ الى البستاني

رفرفي فوقهم ايا روح مدحتٍ   انتِ من في هذا السبيل تضحت

ح) ادانة الجواسيس والرشوة:

يقول عبدالله البستاني:

يترجمون على البرئ جنايةً   مع انه مما جنوه عارِ

وقال سعيد شقير:

فلا جواسيس نخشى من وشايتهم   ولا جرائد تأتينا فنرتعب

وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا   وان جلسنا فلا جاسوس يرتقب

ومما جاء على لسان اسعد رستم:

ما دامت الحكم فيها ترتشي   ينجو بها الخاطي ولا ينجو البري

ط) ادانة الرقابة على المطبوعات:

قال عبدالله البستاني في هذا المجال:

فلكم كتاب كان طعم بصيرتي   قد ابصرته الناس طُعم النار

والشاعر الشعبي الياس الفران قال:

تحيا تركيا الفتاة   لولاها كنا اموات

وكانت كل المطبوعات   بالزوايا مخفيّة...

والشاعر المهجري جرجس عبدالله معلوف يقول (باللهجة العامية):

عاشان ورقة او جريدة عادلة   للكبير بيلقطوا ثم الصغير

ي) الاشادة بالمساواة والعدل:

يقول اسعد رستم:

فالعدل قد شمل الجميع بظلّه   والناس بين مهلل ومكبّر
...تحيا المساواة التي لا فرق ما   بين ابن سرسق عندها والسنكري

ثانياً: على صعيد النثر

١. سليمان البستاني: عبرة وذكرى:

بعد اشهر من انقلاب تموز ١٩٠٨ (٤ اشهر تقريباً) طبع سليمان البستاني مؤلفه (عبرة وذكرى. او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده) ولا نغالي اذا قلنا ان هذا الكتاب هو من أهم البرامج التي صدرت في هذه المرحلة تأييداً للدستور وتنظيراً لموجبات العمل بمضمونه وقد تم إهداؤه إلى «شهيد الحرية» مدحت باشا.

وفي إيراد الأسباب التي حدت به لتأليف هذا الكتاب يقول البستاني: «رأينا ان نجمع على هذه الصفحات بعض ما وعته الذاكرة فيما مضى بالنظر الى الدستور العثماني وما يتراءى لنا من نتائجه المقبلة، وما ينال العثمانيين من رغد العيش بخفوق أعلام الحرية فوق رؤوسهم، وفك عقال العقل والفكر واللسان، واطلاق عنان التجارة والصناعة وتمهيد سبل التجارة واستخراج ثروة البلاد الدفينة تحت التراب والمنبوذة على رؤوس الجبال، وما ينجم عنه من إصلاح جباية الأموال ومالية البلاد»[1].

يحدد البستاني الدستور بانه»الحكم النيابي على الطراز الحديث، حيث تحكم الأمة نفسها بنفسها مع حفظ حقوق الخليفة الأعظم، وتتضافر على انفاذ مضمون الدستور النظامي حرفاً»[2] يسجل البستاني عودة العمل بالدستور دون اراقة دم وبسرعة ويُرجع ذلك الى حكمة وحنكة نيازي وانور والجيش العثماني وجمعية الاتحاد والترقي[3]. ولكنه لا ينسى عشرات بل مئات الألوف من ضحايا الحرية ومنكوبيها والمنفيين والمضطهدين الذين مهدوا لهذا الانتصار.

١. سليمان البستاني، عبرة وذكرى، تحقيق د. خالد زيادة، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩، ص ٥٢ – ٥٣.
٢. المرجع السابق، ص ٥٣
٣. المرجع السابق، ص ٧٨

ويهمنا ان نتوقف عند بعض المحاور الكبرى التي ركز عليها الكتاب:

١. إدانة الاستبداد الذي يبيح الموبقات والمحرمات، والتمسك بالحرية تلك الجوهرة الفرد والتي هي أعلى قيمة من كل ما خلقه الله.

٢. والحرية، بحسب البستاني، تعني الحريات الشخصية[1]، وحرية الصحافة[2]، وحرية التعليم[3]، وحرية التأليف والقراءَة[4]، وحرية الكتابة او البوستة والتلغراف[5]، وحرية الجمعيات[6]، وحرية رجال الدولة بمواجهة نظام الخفية الذي كان بمثابة الوباء المنتشر في البلاد انتشار الجراد[7]. واعلان الدستور يعني، بالنسبة للبستاني، الغاء هذه المخابرات بحيث يستطيع الناس ان يناموا في بيوتهم آمنين.

٣. واعلان الدستور، يعني بحسب المؤلف، تعميم المساواة وترسيخ الاخاء والمودة. وفي هذا السياق يقترح لضمان اضمحلال التعصب تجنيد المسيحيين مع المسلمين، وتعميم اللغة الرسمية، وجعل تعليم اللغة التركية اجبارياً[8].

٤. وبالنسبة للدستور ورجال الدين، يركز مترجم الالياذة على ما قال شيخ الاسلام العثماني للسلطان: «بل اجبهم الى رغائبهم وامنح الدستور فانه مطابق للشرع الشريف». ويستطرد ان هذا الدستور ايضاً متوافق مع نصوص التوراة والانجيل. وهذا الدستور يؤدي الى انقضاء زمن الجهل والتعصب والى الغاء الفتن الدينية.

٥. وتحت فصل الدستور والمهاجرة يستعرض البستاني أسباب وظروف الهجرة وأماكنها في السلطنة وذلك على نحو دقيق ويستعرض اصناف المهاجرين ثم يخلص للتأكيد بان تبدل الحال باعلان الدستور سيحدث انقلاباً ليس في الحسبان. فيرجع بعض اصناف المهاجرين كلياً او جزئياً الى البلاد، ثم يقف سيل الهجرة الجارف حيث يستتب الامن ويسود العدل بصلاح الاحكام[9].

١. المرجع السابق، ص ٩٣
٢. المرجع السابق، ص ٩٧
٣. المرجع السابق، ص ١٠٤
٤. المرجع السابق، ص ١٠٨
٥. المرجع السابق، ص ١١٤
٦. المرجع السابق، ص ١٢١
٧. المرجع السابق، ص ١٢٩
٨. المرجع السابق، ص ١٥٨ – ١٥٩
٩. المرجع السابق، ص ١٨٢

٦. الدستور ومأمورو الحكومة:

بعد ان يستعرض المؤلف الخلل والفساد في الادارة العثمانية، يخلص الى ان صدور الدستور يؤدي الى تقليد المناصب لاصحاب الكفاءة، وتعادل الرواتب وانتظام دفعها، وامتناع العزل بدون محاكمة، وتمهيد سبل الترقي بدون محاباة، ومعاقبة المرتشين بدون رحمة. كما يضيف: «ان اعلان الدستور وحده مصلح من اخلاق المأمورين الفاسدة، في زمن الحرية والعدل، ما لم يكن من الممكن ان ينجح فيه دواء في زمن الاستبداد والظلم.

٧. الدستور ومالية الحكومة:

– يسجل البستاني ان موازنة التوفير في الدولة، بعد استلام جماعة الدستور الحكم بعشرين يوماً، بلغ خمسة ملايين ليرة عثمانية. ويشير الى اربعة مصادر:
– الغاء رواتب الجواسيس ونفقاتهم السرية.
– الغاء رواتب جمّ وافر من عمال الما بين ونفقاته التي كانت تذهب هباء منثوراً.
– الغاء رواتب الكثيرين من مأموري الحكومة الذين لم يكن لهم شأن في خدمتهم الا قبض الراتب.
– تخفيض الرواتب الباهظة لكبار المأمورين[1].

ويربط المؤلف بين حدود الدستور وتنظيم جباية الضرائب واسترداد الأراضي الاميرية، وضبط الأوقاف، وتنظيم الامتيازات. وتحت عنوان الدستور وموارد الثروة يتوقف البستاني عند الزراعة: على صعيد الكوادر المدربة علمياً، ووسائل الري وحسن استغلال الأراضي متوقفاً عند تجربة مدحت باشا في العراق. على صعيد آخر يتناول البستاني مسألة استغلال الثروة المعدنية في السلطنة ويتطرق الى انماء الصناعة والتجارة والأعمال العامة والشركات والسياحة.

في خاتمة الكتاب يتوقف صاحب عبرة وذكرى عند أهمية الدستور وان الجهاد هو في منطلقه وان ثمة صعاب ماثلة محذراً من أنصار الاستبداد مشيراً الى وجود أعداء للدولة من الخارج واعداء للإصلاح من الداخل. ويستشرف البستاني وجود قوى تسعى لتأجيج التعصب الديني والتعصب الجنسي وإيقاظ أبالسة الفتن. ويدعو لمواجهتها عن طريق بث المعرفة والعلم والقضاء على الجهل.

كما يدعو الجمعيات والمرأة والفلاح والصانع والعامل والتاجر الى تحمل مسؤولياتهم في معركة الإصلاح وتعميق روح التآخي. وهو متفائل بوحدة الامة بحيث يمشي المسيحي الى

١. المرجع السابق، ص ١٨٩

جانب المسلم والإسرائيلي الى جانب اليزيدي والبدوي الى جانب الحضري.

ان كتاب سليمان البستاني (عبرة وذكرى) هو برنامج عمل مثقف وسياسي متنور ورغم ان صاحبه سينتخب رئيساً ثانياً لمجلس المبعوثان، ويعين وزيراً للزراعة في الحكومة المركزية قبيل الحرب، إلا أن تفاعل الأحداث واحتدام الصراعات الداخلية والخارجية ستؤدي مع اندلاع الحرب العالمية الى انهيار السلطنة.

٢. الأب لويس رونزفال اليسوعي

كانت مجلة المشرق، التي تعكس رأي الآباء اليسوعيين، من المنابر التي اهتمت كثيراً بإعادة العمل بالدستور. وفي عدد آب **١٩٠٩** نشر الأب رونزفال مقالاً بعنوان «السنة الأولى للدستور العثماني». ونستطيع ان نستخرج من هذا المقال الأفكار التالية:

١. يذكّر الباحث بان إعلان الدستور ترافق مع السرور الشامل من قبل الناس وتبادل عبارات التهاني[1].

٢. يسجل الباحث، انه خلال سنة من صدور الدستور، فقدت الدولة سيطرتها على بلغاريا وبلاد البشناق والهرسك[2].

٣. يربط الباحث بين إعلان الدستور والفتن التي حصلت في بعض نواحي الدولة. فقد قام بعض الذين هم من الرجعيين غير المعترفين بالانقلاب الدستوري، بالقيام بالاضطراب والشغب في جهات الحجاز واليمن وبلاد الجزيرة وثغور فارس. وكذلك ما حصل من أحداث دموية في اسطنبول وفي اضنه خاصة في شهر نيسان حيث توصلت لجنة تحقيق قانونية رسمية «بان عدد القتلى لا يقل عن عشرين الفاً». وجلهم من الأرمن.

٤. يشير الأب اليسوعي الى ان نكبات أضنه قد أظهرت ان بين العنصرين الإسلامي والنصراني ولاسيما الأرمن ثلمة واسعة يصعب سدها اذ لم يمر على الفئتين غير اشهر منذ تصافحتا وتعاهدتا الوداد وصرّحتا مرحبتين بالحرية والمساواة والإخاء[3].

٥. يؤكد الأب رونزفال الى ان الداء الذي لا أمل بمداواته هو الخلط بين الوطنية والدين. فالذين «يتعصبون للأحكام الشرعية ويجعلون الدستور نعمة خاصة بدين على خلاف غيره من الأديان، كأن العثماني لا يستطيع ان يخدم وطنه ما لم يُكره على تغيير دينه

١. المشرق، السنة ١٢، العدد ٨، ١٩٠٩، ص ٥٦١.
٢. المرجع السابق، ص ٥٦٢
٣. المرجع السابق، ص ٥٦٤ – ٥٦٥

والمجاهرة بالدين المحمدي فهذا مبدأ باطل ينقض الدستور نقضاً عاماً اذ في مقدمة البنود التي يشتمل عليها الدستور ان الاديان كلها متساوية بازاء الدولة»[1].

٦. ويعتبر المؤلف ايضاً ان «على العثمانيين ان يتحققوا كما تحقق ائمّتهم ووجوه مللهم انه لا خلاف بين الدستور والدين. وان خصصنا بذلك الاسلام وجدنا ان تعاليمه لا تنافي الحكم الدستوري»[2].

٧. ويرتكز الأب اليسوعي على المنشور الأول الذي أصدره السلطان الجديد محمد رشاد (في ١١ ربيع الآخر عام ١٣٢٧):

«وان امانيّ لا ترمي الا الى التذرّع بالوسائل الضامنة للحرية والمساواة والعدل لكل طبقات رعاياي دون استثناء ومراعاة جميع الاحكام الشرعية والقوانين مراعاة تامة... وتوفير الأسباب اللازمة لإيصال مملكتنا الى مرتبة الترقيات والتكمّلات المستعدة لها مادياً وادبياً. وقانون الأساسي كافل لتحقيق هذه الرغبة الصحيحة...»[3]. ويضيف السلطان الجديد في نفس المنشور: «من الواجب على الجميع ان يضعوا جانباً الاختلافات والمنازعات الجنسية الماضية كما يجدر بأبناء وطن واحد...»[4]

٣. الأخطل الصغير:

في جريدة البرق اكد بشارة الخوري (الملقب بالاخطل الصغير) على جملة محاور في تعليقه على اعادة العمل بالدستور.

أ) الاشادة «بتركيا الفتاة»: في مقالة صدرت في العدد الثاني من البرق يذكر الاخطل الصغير ان جمعية تركيا الفتاة كسرت قيود الرق التي كان الشعب مقيداً بها، وصرفت ثلاثين سنة وهي تجاهد في سبيل الحرية والدستور. وان عدداً من ابنائها قضوا في جوار الطائف، ومنهم من قضى في قصر البوسفور. ويذكر ان النور يشع منها وعنها تصدر الحياة[5].

ب) الاشادة بالحرية ولعن الاستبداد: يشيد الاخطل بالحرية قال: «نسمة من نسمات الحرية انعشت امال الاتراك، ولمعة من لمعات الدستور كانت خيار للمهتدين. وفي لبنان – في هذا الجزء الصغير

١. المرجع السابق، ص ٥٦٥
٢. المرجع السابق، ص ٥٦٧
٣. المرجع السابق، ص ٥٦٧
٤. المرجع السابق، ص ٥٦٨
٥. البرق، العدد ٢، ١٩٠٨، ص ١.

من تلك المملكة الضخمة – لا حرية ولا دستور. وهل يخطب الحرية الا العلم، وهل يسطع الدستور، الا في سمائه النقية؟»[1]. وفي عدد آخر يؤكد: «لقد دك النظام معالك الاستبداد، ورفع راية المساواة بين طبقات الشعب، واهّل كل فرد من ابناء الأمة للمركز الذي يستحقه علمه وادبه» ويضيف: «انها المرة الأولى التي فاز بها الشعب على الحكومة، وخنق بها الصوت المجموع صوت الفرد، وهي خطوة كبيرة خطوتها بفضل الدستور»[2].

ج) نقد الاحزاب والجمعيات المحلية: يسجل الاخطل الصغير تقصير الجمعيات والاحزاب المحلية فيقول: «جمعية احزاب وقرقعة جمعيات في كل قضاء بل في كل قرية. وقد مضى على هذه الجمعيات وهذه الاحزاب زمن طويل. فماذا صفت من خير هذا الوطن؟ أأنشأت هذه الجمعيات الخيرية الأدبية، مدرسة صناعية ان ملجأ خيرياً، أو أتت عملاً يذكر ولو زهيداً؟ وهذه الجمعيات السياسية التي تدعي انها من اكبر أنصار الإصلاح، أي شيء غيرت في هيئة الحكومة؟

فبالأمس كان حزب واصا، وفرنكو ومظفر واليوم حزب الأحرار والمحافظين والمتقهقرين[3].

د) الخلاص بالعلم: يؤكد اديبنا ان الجهل يتم إزالته بالعلم، وان الاستبداد يقضى عليه بالقوة. فالمدرسة للصغير والصحافة للكبير. ويطرح ضرورة التعليم المجاني وتوزيع الصحف مجاناً[4]. ومن الملفت دعوة هذا الأديب لبذل المال من اجل إنشاء المصانع التي تدار بقوة الكهرباء وتتولد من شلالات الانهر الكثيرة.

لقد كان الأخطل الصغير معتزاً بعروبة لسانه وجنسه، وعثماني المبدأ والسياسية، منتمياً إلى الاتجاه العثماني التقدمي، كما بدا معتزاً بامتيازات جبل لبنان السياسية وباستقلاله الاداري الذي جعله في حماية الدول الكبرى[5].

١. البرق، عدد ٢٨، ص ٢١٧.
٢. البرق، عدد ٣، ص١.
٣. البرق، العدد ٣٥، ص ٢٧٦ – ٢٧٨
٤. البرق، العدد ٣٥، ص ٢٧٨.
٥. د. سهام أبو جودة، الأخطل الصغير سيرته وأدبه، مؤسسة البابطين، بيروت، ١٩٩٨، ص ٩٥ – ٩٧.

٤. خليل سركيس:

في مقال افتتاحي في جريدة لسان الحال[١] بعنوان نحن والدستور ثمة تركيز على جملة نقاط:

أ) الاصلاح:

لما بزغت شمس الدستور وارسلت اشعتها على العثمانيين قاطبة هبوا من رقادهم والتفتوا الى بلادهم فوجدوا الخراب ضارباً اطنانه والفساد رافعاً قبابه ومجال الاصلاح اوسع من ان تحيط به الابعاد والخلل متطرقاً الى كل قطر من الاقطار. وحينئذٍ كثرت آراؤهم وتعددت مذاهبهم ففئة قدمت اصلاح الصناعة وأخرى حرضت على ضبط المالية وغيرها فادت بتوسيع نطاق التجارة والمعارف الى غير ذلك من الآراء التي ترجع كلها الى نقطة واحدة يعبر عنها بالاصلاح. وعلى الاصلاح ان يكون تدريجياً. وهو متعدد الحلقات. وثمة اولوية لضبط المالية، وترسيخ العدل وضبط الأمن.

ب) التأكيد على حرية الرأي:

يؤكد سركيس في افتتاحية لسان الحال[٢] على حرية الرأي الجديدة بعد اعلان الدستور حيث يشكر السلطان الذي اباح الكلام في سبيل الاصلاح والغى الرقابة التي طال زمان ربطها حتى كادت تخمد الانفاس.

ج) وفي العيد الأول من آب ١٩٠٨ كتب سليم سركيس في لسان الحال: «هذه أول مرة شعرت فيها بالوطنية التي يشعر بها كل من قدّر الوطنية قدرها. يتزاور الناس من جميع الطبقات وهم فرحون مُنشرحو الصدر، فاليوم شعر السوريون بطيب الحرية وادركوا سؤ مغبة (الاستبداد) والضغط، وعرفوا ان التعصب الذي يفرق الكلمة يفرق القلوب. اليوم دروا ان أوروبا لم تستفحل حولتها إلا بالاتحاد، ولا اتحاد مع التعصب»

٥. عبد الباسط الانسي:[٣]

من خلال صحيفة الاقبال، التي تعكس وجهة نظر اسلامية في بيروت، يؤكد رئيس التحرير السيّد الانسي على جملة نقاط في مقال افتتاحي بعنوان (الحكومة والامة والدستور والفوضى في فهم معنى الدستور)

١. لسان الحال، العدد ٥٨٨٤، ٣ ك١ ١٩٠٨
٢. لسان الحال، العدد ٥٧٨٤، ١٩٠٨/٨/٨.
٣. انيس المقدسي، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٨، ص ٤٦.

أ) طبيعة الحكومة:

ان الحكومة لم تزل حكومة لكنها انتقلت من مطلقة تعمل ما تريد، إلى مقيّدة تعمل ما يراد، فهي لم تزل حكومة مسيطرة على كل فرد من أفراد رعاياها ضمن دائرة القانون، فالسطلة لم ينزعها عنها الدستور كما يفهم البسطاء وانما الدستور قيدها من الاستبداد والاستفراد والزيغ عن جادة العدل[١].

ب) سلوك الموظفين:

ويسجل الانسي رد فعل صدور الدستور على الموظفين في الدولة فنذكر ان «الولاة استقاموا، ورؤساء المحاكم اعتدلوا، والضابطة ضبطت شؤونها، والبوليس قوم، بل كل الإدارات اصبحت تصغر من ذكر الأصفر والأحمر، سواء كان ذلك طوعاً او قهراً، فلماذا التهور والتطوح والطفرة وطلب المستحيل وإساءَة استعمال الحرية.

ج) مراعاة وضع جمعية الاتحاد والترقي: يحاول الانسي ان يتقمص شخصية الاتحاد والترقي وينصح القراء بان يراجعوا في كل شؤونهم مراجعهم الاصلية، وعدم ازعاجها بالمطالب. وهي اكثر حرصاً على معرفة الواجب الذي ادته وتؤديه على احسن ما يرام. مع العلم ان نواب الامة هم الذين سيهتمون بمطالب الناس[٢].

٦. الأمير شكيب ارسلان:

في سيرته الذاتية[٣] يورد الامير الارسلاني بعض المقاطع عن رد فعل اهل الجبل اللبناني على اعلان الدستور. فيذكر انه «لما اعلنت الحرية في المملكة العثمانية واعيد نظام الحكم الشوروي وحصلت تلك الافراح والاعياد في جميع انحاء السلطنة اهتز لها جبل لبنان ايضاً ورأى الكثيرون ان يستفيد اهل الجبل من النظام الجديد لأنهم كانوا يرون الحكم الفردي المنحصر في المتصرف اصبح غير ملائم لحالة العصر».

ثم يضيف: «فلما اعلن الدستور العثماني احببنا ان يشترك لبنان في فائدة الحرية المعطاة لسائر المملكة مع الاحتفاظ بامتيازات لبنان التي لا غنى له عنها والتي أهله متمسكون بها وذلك مثل الاستثناء من الخدمة العسكرية ومثل دفع المال المقطوع دون تقديم اعشار كسائر الولايات ومثل انحصار المأموريات في اهالي البلاد دون غيرهم وغير ذلك».

١. جريدة الاقبال، ١٤ آب ١٩٠٨.
٢. الاقبال، ٢٤ آب ١٩٠٨.
٣. الامير شكيب ارسلان، سيرة ذاتية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٥.

٧. أحد الأدباء المسيحيين من بيروت:

ذكر المقدسي[١] ان أحد أدباء بيروت المسيحيين القى خطاباً في مدينة الإسكندرية المصرية جاء فيه: «ليبتهج العثمانيون فقد نشر الدستور، وجاء اليوم الذي التم فيه شعث الأمة العثمانية وتآلفت أعضاؤها وتآخت أجزاؤها. فكلنا بنعمة الدستور عثمانيون – عثمانيون لا نعرف غير هذا اللقب لقباً، ولا نتخذ سواه نعتاً. عثمانيون قبل كل شيء عثمانيون طول الحياة.

العصبة العثمانية:

بعد إعلان الدستور، تأسست في باريس، في تشرين الأول عام ١٩٠٨، جمعية باسم «العصبة العثمانية» ومن أبرز قيادييها: شكري غانم، جورج سمنة، الفرد سرسق، نجيب طراد. هدفها «دعم ونشر الهدف السامي للعناصر الحرة في تركيا». وقد ورد في بيانها التأسيسي: «حتى ولو كان تأسيس هذه العصبة سورياً، فإنها – وكما يدل اسمها وهدفها – عثمانية في الأصل، مفتوحة بالتالي لجميع العثمانيين من ذوي الإرادة الخيّرة»[٢] ويضيف: «انه من الضروري، وذلك من اجل خير الامبراطورية ان يشعر السوريون المبعثرون باعداد كبيرة على سطح الكرة الارضية برابطة مشتركة تجمعهم وان يفيد رقيهم سواء في الخارج او في الداخل الجماعة العثمانية»[٣].

من الواضح ان هذه العصبة تعكس وجهة نظر نخب ثقافية مسيحية ذات ميول فرنسية وهي تسعى إلى نوع من الاستقلال الذاتي لسورية.

جمعية الشورى العثمانية:

وكان رائدها الشيخ رشيد رضا. وكان صاحب المنار يعكس وجهة إسلامية إصلاحية. وحول الدستور قال رضا عام ١٩٠٨[٤] «في هذا اليوم تقر في البلاد العثمانية عين الإسلام، بما يسر به جميع أهل الأديان، من الحرية التي يظهر فيها الحجة وتدحض الشبهة، ويتميز بها صاحب السنة من صاحب البدعة» ثم يضيف: «يتساءَل بعض الناس هل الدستور العثماني في هذه الكرّة مكفول مضمون؟ هل السلطان مقتنع بان تنفيذه خير من تعطيله؟ هل طالب اولئك

١. المرجع السابق، ص ٦١.
٢. Georges Samné, La Syrie, Paris, Bossard 1920, pp60 – 62. ود. وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٦٦ – ١٦٧.
٣. المرجع السابق، ص ١٦٦.
٤. المنار، المجلد ١١ ج ٦، ١٩٠٨، ص ٤١٧ – ٤٢٢.

الضباط به لمحض المصلحة العامة ام لأغراض شخصية يسعون اليها، فتبرد نيران حميتهم اذاهم نالوها، ألا يخشى ان يتفرق شملهم بعد ان يسكن الاضطراب، ثم يحال بينهم، وبين امكان التألب مرة أخرى؟ فتأمن السلطة العليا من المعارضة بالقوة اذا هي الغت الدستور مرة أخرى؟

وفي مقال آخر يؤكد رشيد رضا[١] اثر جولة قام بها في طرابلس ودمشق بعد اعلان الدستور وقبيل انتخاب مجلس المبعوثان:

«وكنت أبيّن لهم ولغيرهم ان تنفير العرب من الترك مفسدة من اضر المفاسد، واننا في اشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لهم لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك، على اننا احوج اليهم منهم الينا، فمن يسعى الى التفرقة بيننا وبينهم فهو عدو لنا ولهم (...) ويجب ان يكون الاساس الذي نبني عليه في حاضرنا ومستقبلنا الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصة لها، وان نكون الآن من اشد الأعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها حتى ترسخ فيها الديمقراطية وتسير بعد اجتماع «المبعوثان» على الأصول الدستورية».

ويبدو ان توجهات قيادات ثقافية إسلامية في بيروت كانت مشابهة الى حد ما مع توجه رضا، ومنها الشيخ احمد طبارة[٢] عبد الغني العريسي[٣] وغيرهما.

ويجمل ندرة مطران، صاحب كتاب سوريا الغد[٤]، التحولات التي حصلت في اوساط المثقفين المسيحيين والمسلمين بعد اعلان الدستور: «ان المسيحيين والمسلمين اشتركوا سوياً في تحقيق الهدف المرتجى (يقصد النضال من اجل الحكم الدستوري)، لكن وجهاً من أوجه الخلاف كان لا بد ان يبرز في غضون هذه السنوات الاخيرة أي بعد ان منح «الاتحاديون» تركيا نظاماً دستورياً: فبينما كان المسيحيون وهم يشعرون بخيبة الامل وغموض الصورة يبحثون عن الخلاص عن طريق التدخل الاوروبي، كان المسلمون يستمرون في تعليق الآمال على رجال «تركيا الفتاة» في ان يتمكن هؤلاء من تدعيم قوة الامبراطورية التي تجسد عظمة الاسلام الخالدة وان يمنحوا العرب في نفس الوقت حقوقهم العادلة».

١. المنار، م ١١، ج ١٢، يناير ١٩٠٩، ص ٩٣٧ – ٩٣٨.
٢. يمكن مراجعة مقالة له بعنوان (واجباتنا بعد اعلان الدستور الاتحاد العثماني، ٢٢ ايلول ١٩٠٨).
٣. لقد عرف العريسي بقربه الى الاتحاد القومي العربي. لكن ورد في المفيد (العدد ٦٨٦، ٨ أيار ١٩١١): «... ان استمساك هذين العنصرين (العرب والترك) يقدر ان يحله مقتدر، فروابط عديدة تجمع بين هذين الركنين؛ اولاهما رابطة الدين وثانيتهما رابطة الوطنية»
٤. Nadra Moutran, La Syrie de demain, Paris, Plon, 1916, p31.

ولكن بعد صعود الممارسات من قبل الاتحاديين تعمقت ازمة الثقة بين النخب العربية والاتراك، الأمر الذي ادى الى بروز جمعيات مستقلة في مختلف المدن العربية، وقد تراوح برنامجها بين اللامركزية كحد ادنى، واستقلال العرب عن الاتراك كحدّ أقصى.

ثانياً : التداعيات السياسية لاعلان الدستور في متصرفية جبل لبنان

كانت متصرفية جبل لبنان تتمتع ببعض الاستقلال الذاتي منذ وافق الباب العالي وممثلو الدول الكبرى على النظام الذي اعدته لجنة دولية لاعادة تنظيم لبنان (٩ حزيران ١٨٦١) وقد ادخلت عليه تعديلات بالاتفاق بين الاطراف (٦ حزيران ١٨٦٤)[١].

وبموازاة وجود متصرف مسيحي تعينه الدولة العثمانية، كان هناك مجلس ادارة منتخب (عدد اعضائه ١٢ نائباً) ينتخبهم الشعب بواسطة شيوخ القرى (٤ موارنة، ثم اضيف عضو ماروني آخر، ٣ دروز، ٢ روم اورثوذكس، ١ روم كاثوليك، ١ مسلم، ١ متوالي)[٢].

مهمة هذا المجلس النظر في توزيع التكاليف والبحث في ادارة واردات الجبل ومصاريفه وبيان آرائه الشورية في كل ما يعرضه عليه المتصرف من المسائل، ومراقبة سير الاحكام. وقد لاحظ بعض القيادات اللبنانية ان هذا البروتكول قد حفظ للبنان استقلاله الداخلي. وكل الموظفين في الادارة هم من اللبنانيين، وكذلك القضاء والجندية. ولا خدمة عسكرية في جبل لبنان. ولا ضرائب تفرض ولا زيادات عليها، مع وجود ضمانات دولية للمتصرفية[٣].

وبعد اعلان الدستور عام ١٩٠٨، حصل تباين في وجهات النظر بين اللبنانيين. فالحزب المؤيد للعثمانيين دعا الى اندماج المتصرفية في حركة التحرر التي تعيشها السلطنة ودعا الى التخلي عن كل الامتيازات المعطاة منذ العام ١٨٦١، وبخاصة ضرورة المشاركة في انتخابات مجلس المبعوثان والمساهمة في اعماله باسطنبول[٤]. وهؤلاء كانوا من مؤيدي المتصرف والمتنورين والليبراليين المدعومين من اوساط الفرمسّون.

---

١. الموقعون على البروتوكول في ٩ حزيران ١٨٦١: عالي، بولڤز، لافاليت، بروكش، اوستين، جولتز، لوبانوف.
٢. لحد خاطر، مختصر تاريخ لبنان، مكتبة صادر، بيروت ١٩١٤، ص ١٧٠ – ١٧٢.
٣. يوسف السودا، في سبيل الاستقلال، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، لا.ت.، ص ٣٤ – ٣٥.
٤. Joseph Hajjar, Le Vatican, La France et le Catholicisme oriental (1878 – 1914) ed. Beauchesne, Paris, 1979, p. 503

١. تيار الدعوة الى انتخابات مجلس المبعوثان في المتصرفية:

في ٨ تموز عام ١٩٠٧ كان قد عيّن يوسف باشا (١٩٠٧ – ١٩١٢) متصرفاً على جبل لبنان. وبعد ٢٣ تموز ١٩٠٨ (تاريخ اعلان عودة الدستور والحرية) كان في طليعة من هلل وصفق لذلك، الحزب المعارض للمتصرف يوسف باشا. فشكل افراده وفي مقدمتهم حبيب باشا السعد ونسيب بك جنبلاط والامير مصطفى ارسلان وكنعان بك الضاهر وسليم بك عمون وغيرهم الجمعيات، وعقدوا الاجتماعات[١] وقرروا الاتصال بالاتحاديين في بيروت للاستعانة بهم على يوسف باشا. وحملهم على إلزامه بنشر الدستور في لبنان اسوة بجميع البلدان العثمانية.

أ) حادثة بيت الدين:

في ٢٧ آب ١٩٠٨ فشلت دعوة الى حفلة في بيت الدين يعلن فيها المتصرف التزامه بالدستور. وفي ٣١ آب قام وفد المعارضة بحشد الكثير من الانصار لمطالبة المتصرف باعلان الدستور الا في ما يمس نظام لبنان وامتيازاته. فتلقاهم المتصرف يوسف باشا بوجه مكفهر واجابهم: «ومن وكلكم في ذلك؟» ونهض غاضباً يريد الدخول الى غرفته فامسكه الامير شكيب ارسلان بذيل سترته وجذبه الى الوراء. فتملص من يده ومضى[٢]. عندئذ استعان الوفد بقائد العسكر النظامي سعد الدين بك فبادر الى اجابتهم، وجاء معهم الى حيث المتصرف، واضطره (باسم الاتحاد والترقي) الى الانصياع لإرادتهم، وقد اعتذر بالتركية والعربية.

وفي ٣ ايلول اقر مجلس ادارة المتصرفية برئاسة المير قبلان ابي اللمع الموافقة على الدستور وعلى الاشتراك في انتخابات مجلس المبعوثان شرط ان تؤخذ «الضمانات الكافية من المراجع الايجابية على حفظ نظام جبل لبنان، وان ما يصدر من القرارات من المجلس المشار اليه (المبعوثان) وكان مغايراً لنظامه المخصوص سواء كان بالاتفاق مع مبعوثي جبل لبنان او بمخالفتهم لا يسري على الجبل[٣].

---

٣. Adel Ismail, Documents diplomatiques et consulaires relatifs a l'histoire du Liban ed. des œuvres historiques et politiques, Beyrouth 1979, v.18, p. 74
٢. لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ – ١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٧٨ – ١٨٠.
٣. د. جوزف لبكي، متصرفية جبل لبنان مسائل وقضايا ١٨٦١ – ١٩١٥، دار الكرمة، ١٩٩٥، ص ٣ – ٥٢ وعبدالله الملاح، متصرفية جبل لبنان بين ١٩٠٢ – ١٩١٥، اطروحة دكتورا، ١٩٩٠، ص ٣١٩ – ٣٤٥.

في ٥ ايلول ١٩٠٨ قدّم زعماء المعارضة الذين اموا بيت الدين، الى المتصرف عريضة. وأبرز ما جاء فيها:

أ) إعلان الدستور العثماني في لبنان وانتخاب ممثلين عنه الى مجلس «المبعوثان» شرط الا يناقش هؤلاء المندوبون المسائل التي تمس بالامتيازات الا بناء على طلب اللبنانيين انفسهم.

ب) حل مجلس الادارة مع احتفاظ اللبنانيين بحق اعادة انتخاب من يجدونه مناسباً من الاعضاء الحاليين.

ج) تطهير الادارة بفصل الموظفين المرتكبين على غرار ما يحدث في كل ولايات السلطنة.

د) الغاء الرسوم الجديدة وتشكيل لجنة مؤقتة من ثمانية اعضاء يعينهم الاهالي من الاقضية بما فيها دير القمر. ومهمة هذه اللجنة مراجعة حسابات الادارة اللبنانية وتحديد ما يجب إلغاؤه من الرسوم وعدد الموظفين ومرتباتهم، ووضع موازنة لبنان[1].

في ١٢ و ١٣ أيلول ١٩٠٨ عاد وفد المعارضة للضغط على المتصرف بعد إحجامه عن الاستجابة للمطالب المقدمة وكانت تؤازره تظاهرات شعبية واسعة زحفت الى قصر بيت الدين. فكان ان اقسم يوسف باشا يمين الولاء والأمانة والاخلاص للدستور العثماني، واكد الالتزام بتطبيق بنوده القائمة على مبادئ الحرية والإصلاح[2]. ومن نتائج هذا الانتصار استبدال المير قبلان ابي اللمع بسليم عمون في رئاسة مجلس الادارة «على انه ممثل الهيئات الماسونية المتطرفة واحرار اللبنانيين»[3]. كما أقال الامير توفيق ارسلان قائمقام الشوف وعيّن الامير شكيب ارسلان، وأقال الشيخ رشيد الخازن قائمقام البترون وعيّن بدلاً عنه كنعان الضاهر، وعزل مصطفى العماد رئيس دائرة الجزاء[4].

في ٢٥ ايلول ١٩٠٨، أعلنت الهيئة الإدارية لجمعية الاتحاد والترقي في جريدة «لسان الحال» ما يلي: «ان اهتمام حاكم لبنان ورغبته في نشر الدستور في الجبل يستحقان بكل تأكيد آيات الشكر والتقدير من جمعيتنا. وحيث ان عدد رجال لبنان يقدرون بحوالي ٢٠٠ الف نفس

١. أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية Adel Ismail, op. cit. v. 18, p.98
٢. جريدة البرق، العدد ٢٠٨، ١١ كانون الثاني ١٩١٣.
٣. الشيخ بشارة الخوري، حقائق لبنانية ج ١، ص ٥٨.
٤. يمكن مراجعة ارشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول، ولاسيما الوثيقة المجودة تحت الرقم ١٣٢٧/٤ A.M.T.Z.C.L.

فان المتصرف سيباشر بعملية الانتخاب لاختيار اربعة نواب لبنانيين[1]. وهكذا دعا المتصرف اللبنانيين الى انتخاب ممثليهم قبل ١٥ تشرين الاول ١٩٠٨. وارسل مأمورين الى الاقضية كي يستعجل الانتخابات وبلّغ الباب العالي بانه قام بواجبة[2].

ما هي الأسانيد التي طرحها المؤيّدون لإجراء انتخابات مجلس المبعوثان في جبل لبنان؟ طرح مؤيدو تمثيل لبنان في مجلس المبعوثان جملة أسباب منها على سبيل المثال:

- تحل مشكلة لبنان الاقتصادية وتفتح أمامه المجال الحيوي وتمكنه من الاستفادة من المرافئ والحنطة من ولايتي سوريا وبيروت.
- تؤمن للبنان العناية بالزراعة والتعليم وتنمية الصناعة.
- ثمة فائدة سياسية للبنان اذا ما شارك في تشريعات السلطنة. ولا تخوّف من خسارة لبنان لاستقلاله الذاتي. ولبنان تحميه الراية العثمانية. ولا حق للبنان بان يشترع بنفسه. ووجود نواب عن لبنان في مجلس المبعوثان يكفل عدم التعرض لنظامه والمدافعة عنه.

ب) صحفيون مع الدخول الى مجلس المبعوثان:

هكذا يتضح ان التيار المؤيد للمشاركة في انتخابات مجلس المبعوثان لا يقتصر فقط على المشاركين في تظاهرة بيت الدين، وانما تعداهم الى قيادات أخرى. ومن ابرز الصحفيين الذين دعوا الى تبني فكرة الاشتراك: جرجي عطية صاحب جريدة «المراقب»، وداود مجاعص[3] صاحب «الحرية» ونعوم لبكي صاحب جريدة «المناظر»، وعبود ابي راشد صاحب جريدة «النصير».

وفي واقع الامر كان هؤلاء الصحافيون من التيار الماسوني الذي ينتسب في معظمه الى محفل صنين. وقد دعم هذه المجموعة حزب الاتحاد والترقي في بيروت والسلطنة[4]. كما كان لبعض الشخصيات المسيحية في بيروت والخارج مواقف مماثلة ومنهم شارل دباس وندرة مطران وادوار بسترس.

١. لسان الحال، ٢٥ ايلول، ١٩٠٨.
٢. د. جوزف لبكي، المرجع السابق، نقلاً عن لسان الحال ٢٦ أيلول ١٩٠٨، ولسان الحال ١٣ تشرين الاول ١٩٠٨.
٣. كانت منشورة الحرية من ابرز المنابر لطرح الفكر التحرري والاشتراكي.
٤. ارشيف الخارجية الفرنسية، المرجع السابق، مجلد ١٨ ص ٢٠٤. وكذلك د. جوزف لبكي، المرجع السابق، ص ١٦.

ج) تعاطف نخب درزية:

على صعيد آخر كان التيار الارسلاني، وبعض القوى ضمن الطائفة الدرزية مؤيداً لتمثيل لبنان في مجلس المبعوثان. واعتبر شكيب ارسلان ان النائب الذي يملأ كرسيه، في هذا المجلس، أهم من والٍ. كما ان أهالي بمريم الدروز وأهالي كفرمتى رفضوا الدعوة لهم بعدم المشاركة واكدوا انهم عثمانيون أحرار ويريدون المشاركة في مجلس المبعوثان كما قدمت عرائض من قضاء الشوف الى القائمقامية تطالب بالمشاركة أيضاً[1].

وعن موقف الدروز في هذه المرحلة كتب القنصل الفرنسي في بيروت:

«... يجد الدروز في الانضمام الى الدستور وسيلة لمحاربة ما يدعونه العنصر الماروني في لبنان. انهم يأملون، في خضوعهم للقانون العام السائد في الولايات، ان يتمكنوا من الاتحاد مع اخوانهم في حوران حيث تتمتع عائلة ارسلان بوضع ممتاز وبهذا سيشكلون في المستقبل اكثرية تجد نفسها في وضع تستطيع معه استعادة نفوذها في لبنان، هذا النفوذ الذي قضت عليه، حسب رأيهم، أحداث ١٨٦٠»[2].

وثمة نخب ارثوذكسية وتيارات شيعية وسنية مؤيدة للانخراط في العملية الانتخابية.

د) نخب اسلامية:

جريدة المفيد البيروتية ذات التوجه العروبي الإسلامي اعتبرت انه ينبغي على اللبنانيين ان يسعوا الى إرضاء السلطنة والاحتفاظ بما بقي لديهم من امتيازات، والإسراع في إجراء عملية الانتخاب بالتنسيق مع الدولة العثمانية، وقطع العلاقات مع القناصل الأجانب.

اما جريدة «الاتحاد العثماني» فقد اعتبرت انه بدون مشاركة لبنان في «مجلس المبعوثان»، لا يمكن ان يستفيد اللبنانيون من الدستور في المجال السياسي ولا في مجالات المواصلات البرية والبحرية ولا في الإيرادات، بل تبقى السلطة محصورة عندهم بشخص. ولذا فالمشاركة لا تعني حسب «الاتحاد العثماني» نقصاً من شرف لبنان ولا مساساً بامتيازه بل تشريفاً وتكريماً وفتحاً لأبواب الإصلاح فيه[3].

١. د. جوزف لبكي، المرجع السابق، ص ١٨، نقلاً عن جريدة الصفاء، ١١ كانون الثاني ١٩٠٩.
٢. وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ – ١٩٢٠، بيروت ١٩٧٨، ص ١٧٥.
٣. د. جوزف لبكي، المرجع السابق، ص ٢٣، نقلاً عن جريدة «الاتحاد العثماني»، العدد ٣٢، ٣١ تشرين الاول ١٩٠٨.

١. تيار معارضة المشاركة في انتخابات مجلس المبعوثان:

البطريركية المارونية:

بمواجهة التيارات الليبرالية الداعية الى اندماج المتصرفية في حركة التحرر التي كانت تعيشها السلطنة، وبخاصة المشاركة في انتخابات مجلس المبعوثان والمساهمة في اعماله في اسطنبول، برز تيار قوي يتمحور حول البطريركية المارونية دافع عن الخصوصية اللبنانية وطرح المسألة اللبنانية كقضية لها اسانيدها على مستوى القانون الدولي. ومن متزعمي هذا التيار المؤيد لرجال الدين الموارنة يوسف خطار غانم صاحب مؤلف برنامج اخوية القديس مارون، والذي حاول ان يجسد هذا التيار في حركة دعاها «المارونية الفتاة»[1]. وإزاء الضغط المستمر من التيارات الليبرالية وبخاصة من قيادة الاتحاد والترقي، فقد ارسلت هذه الاخيرة رسولاً الى البطريرك الماروني في قنوبين بتاريخ ٤ تشرين الاول ١٩٠٨ لاقناعه بوجهة نظرها. فما كان من البطريرك الا ان تحرك باتجاه فرنسا وارسل وفداً من ثلاثة مطارنة: دريان (القاهرة) شكرالله خوري (صور) شبلي (بيروت). واجتمعوا بوزير الخارجية الفرنسي S. Pichon وطرح الوفد اربع نقاط بالنسبة للمسألة اللبنانية:

أ) حول مستقبل لبنان:

- المطالبة بمحافظة لبنان على امتيازاته وهذا مطلب جميع الطوائف والاحزاب (بحسب المذكرة)
- يدفع لبنان حالياً (١٩٠٨) ٣٤ الف ليرة تركية كضرائب.

ولكن اذا طبق الدستور عليه يجب ان يدفع ٤٠٠ – ٥٠٠ الف ليرة تركية وهذا يعني الخراب.

- الموارنة أصدقاء فرنسا. وهي التي كانت في أساس تسوية ١٨٦٤. ولا يمكن تغيير هذه التسوية دون ضمانات.

ب) مطالبة فرنسا بالمساعدة في الضغط على الحكم الجديد في اسطنبول لعدم اجبار البطريرك والمطارنة بطلب الفرمان من السلطان.

ج) المطالبة بترجمان ماروني في القنصلية الفرنسية في بيروت (الإيحاء ببولس نجيم).

د) مطالبة تدخل فرنسا لموافقة العثمانيين على إنشاء محكمة تجارة في لبنان.

١. الأب جوزف حجار، المرجع السابق، ص ٥٠٣.

ولقد اجاب الوزير بيشون على مذكرة الوفد بتأكيده على رسوخ الصداقة بين الموارنة وفرنسا. وان فرنسا ستسعى للاهتمام بمصير ومصالح هذا الشعب الذي يتكلم البطريرك باسمه. وهذا التأكيد يطمح للحفاظ على استمرار العلاقات التقليدية بين فرنسا والموارنة[1].

على صعيد آخر تحركت البطريركية باتجاه القوى الشعبية فتقبّلت المواقف الرافضة للانتخاب من قبل بلدية دير القمر، واوحت للتيارات السياسية ان تتحرك داخل لبنان وفي الخارج. ثم أرسلت البطريركية، باسم أكثرية الشعب اللبناني، المطران يوسف نجم في آب سنة ١٩٠٩ للتباحث مع القنصل الفرنسي في بيروت في موضوع رفض الانتخاب وفي غيره من المواضيع[2].

وبشكل عام استنفر البطريرك الحويك صداقاته الدولية وبخاصة مع بول كامبون سفير فرنسا في لندن، فارسل له في ٣٠ كانون الاول ١٩٠٩ رسالة هامة طلب فيها جواباً واضحاً بالنسبة لمستقبل الاستقلال الذاتي للبنان (الذي دافعت عنه فرنسا عام ١٨٦٠)، وحيث يطرح البعض دمج لبنان بالدولة العثمانية. ويتساءَل هل ان فرنسا موافقة على هذا الدمج ام ما زالت متمسكة باستقلال لبنان؟

في كانون الثاني ١٩٠٩ يتلقى البطريرك الحويك رسالة من رئيس الجمهورية الفرنسية يؤكد فيها رسوخ سياسة الصداقة بين فرنسا والموارنة برغم تغير الاحوال السياسية. وفي ١١ كانون الثاني ١٩٠٩ يذكّر بول كامبون باهتمامه، عند تسلمه مسؤوليات ديبلوماسية في اسطنبول، بمصير الطائفة المارونية.

وفي ٨ نيسان ١٩١٠ يرسل كامبون رسالة جوابية الى البطريرك يؤكد فيها عطف بيشون وزير الخارجية وعطف فرنسا على الموارنة، كما يؤكد على الدفاع عن البروتوكول[3].

ورداً على إلحاح وزارة الداخلية العثمانية باجراء الانتخابات اصدر مجلس الادارة في شباط ١٩٠٩ القرار التالي: «صار التشرف بمطالعة تعريب تلغراف نظارة الداخلية الجليلة المؤرخ في ٢٧ تشرين الثاني سنة ٣٢٤ بخصوص انتخاب اعضاء لمجلس المبعوثان المتضمن انه اذا وجد من اهالي جبل لبنان من يرغب الاشتراك بالمجلس المشار اليه يمكنهم الاستفادة من هذا الحق.

---

١. المرجع السابق، ص ٥١٢ – ٥١٣ وكذلك ميشال شبلي، المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٩، ص ١٢٣.
٢. عادل اسماعيل، المرجع السابق، مجلد ١٨، ص٢٠٠.
٣. ارشيف البطريرك المارونية، خزانة البطريرك الياس الحويك.

فبعد ان أصدرت متصرفية جبل لبنان الجليلة أوامرها الكريمة الى كافة قائمقاميات الاقضية والملحقات لإعلان التلغراف الموما اليه على عموم الأهالي مع إبداء التشويقات والترغيبات فوردت اجوبة القائمقاميات تتضمن ان عموم الأهالي يرفضون انتخاب اعضاء للمجلس المشار اليه عن جبل لبنان. ووردت عرائض من عموم الأهالي تتضمن رفضهم بتاتاً انتخاب أعضاء للمجلس المشار اليه عن جبل لبنان محافظة على نظامه المخصوص وتأييداً لاعتراضاتهم السابقة التي صدر بمقتضاها مضبطة من هذا المجلس مؤرخة ٢٩ ايلول سنة ٣٢٤ عدد ٢١٢٥ إلا ان نفراً قليلاً جداً من اهالي بعض قرايا يطلبون الامهال ريثما يتم الاتفاق من عموم اهالي الجبل.

بناءً عليه وحيث مضى على طلبهم هذا وقت طويل يكفي للمخابرة وحتى الان لم يتقدم احد منهم للانتخاب كان والحالة هذه ان عموم أهالي الجبل يرفضون انتخاب اعضا عنهم للمجلس المشار اليه. فأمر تقديم التحريرات المقتضاة بهذا الخصوص لمحل الايجاب منوط بأمر حضرة من له الأمر...» ١٧ محرّم ١٣٢٧[1].

وأصدر مجلس الإدارة اوامره للمأمورين الذين كلفوا بالاشراف على الانتخابات بالعودة الى مزاولة أعمالهم الرسمية[2].

لكن بعد حصول تحرك شعبي بقيادة الكنيسة المارونية وارسال العرائض الى ممثلي الدول الأوروبية وخاصة الى قنصلي فرنسا وانكلترا[3]. حصل تحول في موقف مجلس الادارة.

وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٠٨ عقد اجتماعاً وفحص العرائض المحالة اليه من المتصرف والجمعيات والاهلين وافادات المأمورين الذين ارسلوا الى الاقضية وقد جاء في هذه الاخيرة: انه رغماً عن التشويقات التي أبديت للأهالي منهم ومن هيئة الحكومة المحلية بالانتخاب، فكان الأهالي يرفضون ذلك، فتبيّن للمجلس بأن اهالي الجبل يرفضون انتخاب اعضاء لمجلس المبعوثان محافظة منهم على امتيازاتهم وحرصاً عليها. ورفع المجلس مطالعته الى المقامات الإيجابية[4].

---

١. سجلات مجلس الادارة، دفتر ٧٠، مضبطة ٣٠٧٣، ص ١٨٣.
٢. جريدة لسان الحال، العدد ٥٨٤٠، ١٣ تشرين الأول ١٩٠٨.
٣. في اواسط تشرين الثاني ١٩٠٨ تسلم (كمبر باتش) ١٩٥ من هذه العرائض موقعة من قبل ٣٠ الف شخص.
٤. سجلات مجلس الادارة، دفتر ٧٠، مضبطة ٢١٢٥، ص ٣٦. وقع عليها الاعضاء: الحاج محمد محسن، محمد صبرا الاعور، فؤاد عبد الملك، محمود جنبلاط، سعدالله الحويك، عمر الخطيب، ووكيل الرئاسة سليم عمون.

ب) موقف مجلس ادارة المتصرفية:

كان موقف مجلس الإدارة محرجاً فبعد ان وافق بتاريخ ١٣ ايلول ١٩٠٨ على مبدأ المشاركة واتخذ القرار التالي:

«صار التشرّف بتلاوة التلغراف السامي الصادر من مقام الصدارة العظمى ومآله الوسيم هو انه صار شرف صدور ارادة ملجى الخلافة السنية بدعوة مجلس المبعوثان وانه تحرر لعموم الولايات والمتصرفيات الغير الملحقة ليصير انتخاب اعضاء حائزين الصفات المبينة في القانون المذكور. وعليه نعرض انه لما كان انتخاب الاعضاء للمجلس المشار اليه من حقوق افراد الاهالي كما هو مصرّح في نظام الانتخاب فأمر ابلاغهم ذلك عائد للأمر الكريم. اما ما يراه هؤلاء العاجزون على سبيل الرأي فهو انه اذا اخذت الضمانات الكافية من المراجع الايجابية على حفظ نظام جبل لبنان وان ما يصدر من القرارات من المجلس المشار اليه وكان مغايراً لنظامه المخصوص سواء كان بالاتفاق مع مبعوثي جبل لبنان او بمخالفتهم لا يسري على الجبل، فلا مانع ثمة من انتخاب مبعوثين عن جبل لبنان على هذا الوجه...» وقد وقّع هذا القرار كل من الأعضاء: محمد الحاج محسن، يوسف بريدي، نجم الأسود، فؤاد عبد الملك، شكيب جنبلاط، مسعود العازوري، جرجي زوين، سعدالله الحويك، عمر الخطيب، وكيل الرئاسة قبلان ابي اللمع[1].

ان الضغط الشعبي حمل مجلس الإدارة بكامل أعضائه من كل الطوائف على رفض انتخاب نواب عن جبل لبنان في مجلس المبعوثان. وفي كانون الأول ١٩٠٨ اعلم وزير الداخلية الحاكم في اسطنبول ان مجلس الوزراء أعطاه التعليمات كي: «يتخذ التدابير الهادفة الى انتخاب النواب، كون لبنان جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية ويقع ضمن سلطاتها»[2].

لكن اللبنانيين في اكثريتهم اصروا على المقاطعة ولم يشارك جبل لبنان في الانتخاب وبقي دون تمثيل في البرلمان العثماني، بينما ولاية بيروت تمثلت، وكان من بين نوابها سليمان البستاني.

١. د. جوزف لبكي، المرجع السابق، ص ٣٠ – ٣١، نقلاً عن كميل خباز واستناداً على سجلات مجلس الادارة، دفتر رقم ٦٤، مضبطة ١٧٧٧، ص ٢٣٨.
٢. الارشيف البريطاني: F.O. 371/762 331/331, n 895, const. 29 dec. 1908

ج) موقف بلديتي دير القمر وزحلة:

لقد كان لاهالي دير القمر الموقف الواضح في رفض دعوة السلطات المركزية العثمانية انتخاب نواب مجلس المبعوثان. وقدموا المذكرة التالية الى الصدر الاعظم.

« بتاريخ ٣١ آب ١٣٢٤ مالية (١٩٠٨م) رقم ٣٢٤، وبناء على تعليمات جلالتكم، دعا المتصرّف اللبنانيين لانتخاب ممثلين عنهم الى البرلمان القادم «مجلس المبعوثان».

بما ان لبنان يتمتع، تحت رعاية الحكومة العليّة، بنظام اساسي ممتاز وافقت عليه الدول الستّ العظمى، نعتبر أنفسنا كما كنّا في السابق من هكذا انتخاب. وقررنا بالاتفاق مع غالبية الشعب اللبناني، ألا نشارك في انتخاب نواب، وخوفاً من ان يتهور أصحاب النوايا السيئة ويشتركوا في هكذا انتخاب، مدعين استئذاننا بذلك، كي يضفوا الصحة على عملهم، نرجو من جلالتكم ألاّ تصّدقوا ذلك، لأننا مصممون على ان نبقى ضمن امتيازاتنا المقدسة[1].

وأرسل اهالي دير القمر ايضاً برقيات مماثلة لسفراء فرنسا وروسيا وانكلترا والمانيا والنمسا المعتمدين في الآستانة والى قناصل هذه الدول في بيروت[2].

ورفع القومسيون البلدي في دير القمر كذلك باسم عموم مديرية دير القمر برقية الى المتصرف يوسف باشا جاء فيها:

«دولتلو أفندم حضرتلري،

المعروض تشرفنا بالأمر المتصرفي رقم ٣١ أغسطس سنة ١٣٢٤ (الموافقة ١٩٠٨م.) نومرو ١٠٦ المبني على تلغراف من مقام الصدارة العظمى بلزوم انتخاب اعضاء «مجلس المبعوثان»، ولما كان جبل لبنان ممتازاً بنظامه المخصوص الممنوح له من الذات الشاهانية والمصدق عليه من الدول الست العظام، فإننا نحافظ على نظامنا ولا ندخل بأمر انتخاب مبعوثان ولا بغير ذلك مما يمسّ نظامنا هذا. وبكل الأحوال الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر أفندم»[3].

إمضاء عموم مديرية دير القمر

وقدمت بلدية دير القمر باسم الاهالي احتجاجاً الى البطريرك الماروني جاء فيه: «...اما نحن اولادكم عموم اهالي قصبة دير القمر وتوابعها قد قرّ رأينا بالاجماع باننا لا ننتخب ولا نرسل مبعوثان

١. عادل اسماعيل، المرجع السابق، مجلد ١٨، ص ١٠٧.
٢. جوزف لبكي، المرجع السابق، ص ٢٤ – ٢٦.
٣. جريدة «لسان الحال» عدد ٥٨٢٤ تاريخ ٢٤ ايلول ١٩٠٨، وجريدة البشير عدد ١٨٧٧، ٢٨ ايلول ١٩٠٨، وجريدة الهدى عدد ١٩٩، ١٥ تشرين الاول ١٩٠٨.

لأن جبل لبنان ممتاز مربوط بنظام خاص ممنوح من لدن الدولة العلية... مصدّق عليه من الدول الست المتحابة. نحافظ على امتيازنا غاية جهدنا وبمنتهى الطاقة البشرية».

وطلبت البلدية من البطريرك اتخاذ كل الوسائل اللازمة لصون امتياز لبنان والامتناع عن ارسال مبعوثين الى مجلس النواب العثماني ورفض أي شيء من احكام الدستور «مخالف لنظامنا» ودعته الى إصدار اوامره لإرشاد الشعب الى هذا الواجب وحضّته على مراجعة الباب العالي وسفراء الدول العظمى والتعاضد والتكاتف مع سائر رؤساء الاكليروس اللبناني لصيانة النظام والإبقاء عليه[1].

أما بالنسبة لبلدية زحلة:

فحين طلب المتصرف من البلدية استمزاج الاراء حول الامر واعطاءه الجواب تشكلت لجنة من اعضاء القوميسيون البلدي وهم: يوسف عبدالله قادري ويوسف البردويل واديب الهاشم ونجيب شمعون لاجراء المخابرات الضرورية ونقل رغبات الزحليين الى مراجع المتصرفية... ولكن هذه الهيئة عادت لتراسل المتصرفية بعدم استلام أي طلب انتخاب من الزحالنة لمجلس المبعوثان ويظن بان «اللهجة العامة بعدم القبول: (جلسة البلدية في ٦ كانون الاول ١٩٠٨) وجاء في النص ما مفاده:

«الى المتصرفية بعد اذاعة امركم المبني على تلغراف نظارة الداخلية الجليلة المتعلقة بانتخاب المبعوثين عن جبل لبنان على عموم الاهالي ونشر الاعلانات في الاسواق والحارات والمناداة والتشويقات المقتضاة لم يتقدم للآن احد بطلب انتخاب المبعوثان بل اللهجة العامة بعدم القبول»[2].

٤. حزب الاتحاد اللبناني:

قام المثقفون اللبنانيون في القاهرة بشكل اساسي وفي بعض مدن مصر، وتالياً في بلدان الاغتراب، بتأليف حزب يدعى (حزب الاتحاد اللبناني). وكان الهدف الأساسي له اثارة رأي عام لبناني في الوطن والمهجر ضد الانضمام الى الدولة العثمانية[3]. أي بمعنى آخر

١. رسالة من رئيس بلدية دير القمر واعضائها الى البطريرك الياس الحويك في ٢٣ ايلول ١٩٠٨ (ارشيف الصرح البطريركي في بكركي).
٢. حياة القرى، السلطة والعائلة والطائفة عند العائلات السبع الكاثوليكية في زحلة ١٧١١ – ١٩٢٦، رسالة ديبلوم معمقة اعدت باشراف د. سهيل القش، الجامعة اللبنانية معهد العلوم الاجتماعية، ١٩٨٧، ص ٢٠٤.
٣. يوسف السودا، في سبيل الاستقلال، دار الريحاني للطباعة والنشر، لا.ت ص ٢٦.

رفض انتخاب مندوبين للبنان في مجلس المبعوثان والمحافظة على امتيازات بروتوكول المتصرفية.

لقد اذاع انطون الجميل نداء في القاهرة للاجتماع فلبى اللبنانيون النداء وانتخبوا لجنة اقرت انشاء (الاتحاد اللبناني) ووضعت القانون الاساسي في ١٩٠٩/٢/٢٦[1].

لقد اكد الحزب على ضرورة انتخاب اعضاء مجلس الادارة في جبل لبنان عن طريق الشعب مباشرة، مع مضاعفة عدد اعضاء المجلس. ثم توسيع سلطة مجلس الادارة. ووضع نظام صحيح للقضاء يتماشى مع روح العصر. اباحة فتح موانئ تجارية للجبل. ثم التأكيد على جنسية اللبناني. وتصحيح حدود الجبل حسب طبيعتها بقدر الامكان خصوصاً من الجهة الشرقية. والاستغناء عن حاكم الجبل برئيس مجلس الادارة. ويكون انتخابه لمدة خمس سنوات واكثر مع جواز تجديدها.

على صعيد آخر وجه الحزب عنايته الى مواجهة روح الطائفية، والعمل على تنشيط المشروعات المؤدية الى تعمير البلاد ونشر العلوم والمعارف بين الناس.

وسيلعب هذا الحزب لاحقاً دوراً محورياً في الدفاع عن المسألة اللبنانية: ان لجهة استقلال الدولة اللبنانية، وتدويل حدودها، ووضع دستور لها.

وقد قدّم هذا الحزب المذكرات الى المراجع العثمانية والى الدول الكبرى للحيلولة دون اجراء انتخابات مجلس المبعوثان في جبل لبنان، وللتأكيد على مجمل المطالب المشار اليها. وتزايد عدد فروعه ضمن مصر وفي لبنان وفي بلدان الاغتراب وزاد عدد اعضائه المنضمين على المئات والألوف.

وقد أدت قوة هذا الحزب بجمعية الاتحاد والترقي لإرسال احد كبار أعضائها الى القاهرة في سنة ١٩١٠ للحوار معه. لكن هذا المندوب لم ينظر بعين الرضى الى المطالب المرفوعة. وسيلعب هذا الحزب لاحقاً دوراً محورياً في الدفاع عن المسألة اللبنانية، ان لجهة استقلال الدولة اللبنانية، من خلال اعادتها الى حدودها الطبيعية والتاريخية عام ١٩٢٠، ام من خلال اعلان دستورها عام ١٩٢٦.

١. من اعضاء هذه اللجنة: اسكندر عمون رئيساً، انطون الجميل سكرتير عام، حيدر المعلوف امين صندوق، اعضاؤها: جبرائيل تقلا وداود بركات وحبيب غانم، محمد تلحوق، خليل ابي اللمع، بولس مسعد، حبيب يزبك، جرجس حنا، سليم بو عز الدين، سليم البستاني، سامي جريديني، ويوسف السودا كان سكرتير لجنة الاسكندرية في الحزب.

مواقف بعض النخب السياسية المختلفة:

التزم فيليب وفريد الخازن من خلال جريدة الارز برفض الالتحاق بمجلس المبعوثان، واكد محمد تقي الدين باسم عدد كبير من اهالي بعقلين وجوارها (دروز)، رفض انتخاب المجلس والحفاظ على امتيازات لبنان. وهكذا فعل نسيب بك جنبلاط والاديب امين الريحاني وصاحب الهدى نعوم مكرزل، وخيرالله خيرالله المثقف اللامع الذي سيقود حركة الدفاع عن القضية اللبنانية في باريس.

لقد تشجع التيار المعارض لانتخاب مجلس المبعوثان بتأييد القنصل الفرنسي في بيروت، وكذلك كان موقف القنصل البريطاني ايضاً وربما لتخوفه من ان يفتح ذلك الباب امام الدولة العثمانية للمطالبة بتمثيل مصر. اما الموقف الروسي فكان على الحياد. لقد انتصر التيار المعارض لإجراء انتخاب مندوبين لجبل لبنان في مجلس المبعوثان. ولم يشارك الجبل في الانتخاب وبقي بدون تمثيل في البرلمان العثماني.

خلاصة عامة :

في جبل لبنان وبيروت كان هناك ترحيب شبه شامل بإعادة احياء الدستور في تموز ١٩٠٨. وقد عرضنا عينات من ردات الفعل الايجابية على ذلك لدى مروحة واسعة من النخب الثقافية والسياسية ولكن جاءَت عوامل كثيرة لتدخل تعقيدات على العلاقات بين السلطة المركزية في اسطنبول وبين اللبنانيين. فإضافة الى مشكلة مشاركة اهل الجبل في انتخابات مجلس المبعوثان، طرحت قضية زيادة الضرائب من قبل المتصرف يوسف باشا رغم معارضة مجلس الادارة، وقضية اصدار هويات جديدة حيث تمسك اللبنانيون بهويتهم. وقضية الخدمة الإلزامية العسكرية او البدل العسكري واصرار السلطات العثمانية على دفع ضريبة البدل كاملة مع الخدمة في الجيش العثماني للبنانيين الساكنين في ولاية بيروت[1].

وان المصاعب التي كانت تواجهها السلطنة داخلياً وخارجياً وبخاصة السياسة المتبعة من جماعة الاتحاد والترقي، شجعت اغلبية التيارات اللبنانية للاتجاه نحو برامج اصلاحية لبنانية مدعومة من فرنسا خاصة، او نحو توجهات سورية او عروبية.

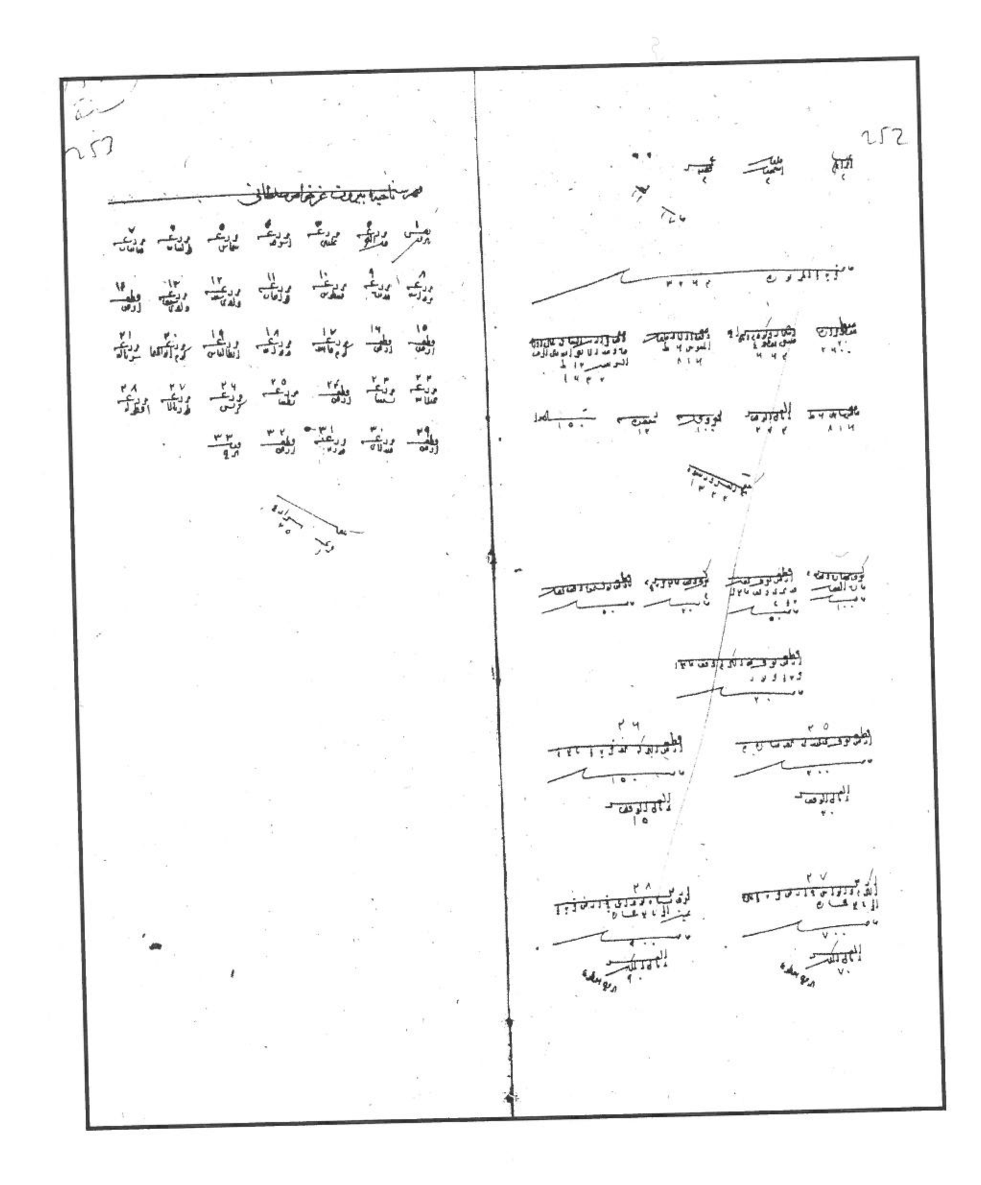
١. راجع عصام خليفة وثائق لبنانية من الأرشيف العثماني ١٨١٤ – ١٩١٣، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٥٢ نقلاً عن أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول، جبل لبنان مسائل مهمة.

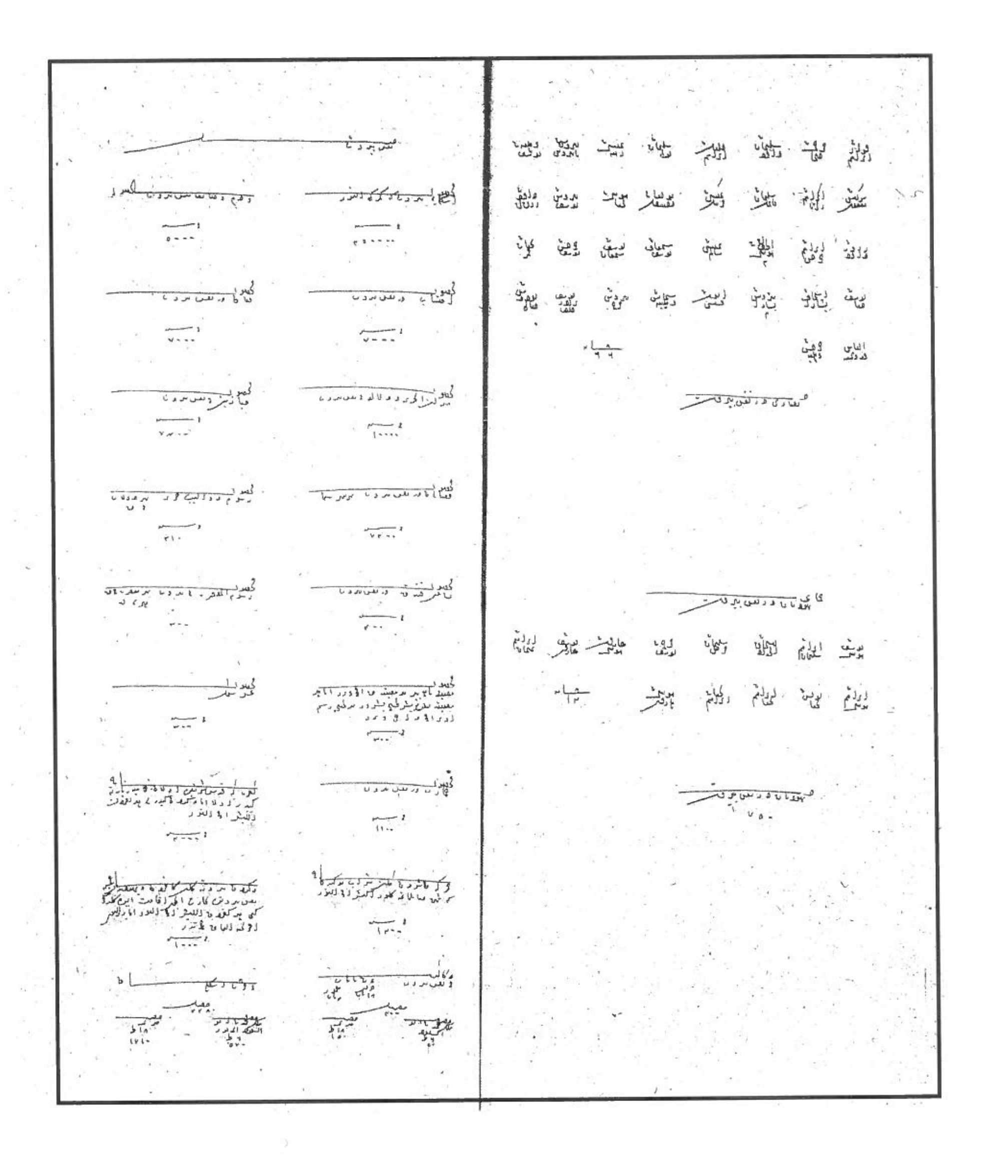
ولقد شكلت المواقف التي تميزت بها (جمعية الاتحاد والترقي) عامل اثارة في العلاقات العربية – التركية عموماً والعلاقات اللبنانية – التركية خصوصاً. وساهمت في تعميق الهوة من منطلقات عرقية ولغوية[1]. خاصة وان مصالح الدول الكبرى كانت تتصاعد لتقاسم مناطق النفوذ على انقاض السلطنة مع بدايات المشروع الاستيطاني الصهيوني على ارض فلسطين. ولا شك ان مجمل هذه العوامل الداخلية والدولية ستكون هي الخلفية المؤثرة على التحولات التي ستحصل لاحقاً بالنسبة لمصير السلطنة العثمانية، ام بالنسبة لمصير الدول التي قامت على أنقاضها بعد معاهدة لوزان ١٩٢٣.

١. راجع حسن قابالي، الحركة القومية العربية بعيون عثمانية ١٩٠٨ – ١٩١٨، ترجمة فاضل جنكر، دار قدمس للنشر، دمشق – بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٣٩.

الدفتر الأول (رقم ٤٣٠ – عام ١٥٢٥ م.)

الدفتر الثاني (رقم ٣٨٣-عام ١٥٥٠م.)





255

256

257

الدفتر الثالث



الدكتور عصام خليفة

سيرة ذاتية

(C.V.)

الاسم والشهرة : عصام خليفة

اسم الأب : كمال

محل الولادة وتاريخها : حدتون – قضاء البترون 1948.

الوضع العائلي : متزوج من الدكتورة دايزي غازي (استاذة أدب فرنسي في الجامعة اللبنانية).

العنوان الكامل : صيفاً: حدتون قضاء البترون

شتاءً: الفنار – بناية نبيل قربان – شارع الأب عفيف عسيران ط.2

رقم الهاتف : 03/755302

نوع العمل : استاذ في قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم الانسانية – الجامعة اللبنانية

الرتبة العلمية : استاذ مساعد

عنوان الأطروحة : À la recherche d'une politique ou d'un concept de sécularisation dans le Liban multiconfessionnel 1958- 1975

الاختصاص الدقيق: - تاريخ الدولة العثمانية

- تاريخ لبنان الحديث والمعاصر
- تاريخ العرب المعاصر

- التعليم الابتدائي والتكميلي والثانوي : معهد سيدة ميفوق .
- البكالوريا – قسم ثاني (فلسفة) : ثانوية جبيل الرسمية .
- التعليم الجامعي : كفاءة في التاريخ من كلية التربية الجامعة اللبنانية 1972.
- ليسانس تاريخ من كلية التربية الجامعة اللبنانية ، 1970 .
- ديبلوم دراسات عليا من جامعة السوربون – باريس 4 ، 1978 .
- دكتوراه في التاريخ ، جامعة السوربون – باريس 4 ، 1980.
- أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الفرع 2) 1980 – 2010 (مادة الدولة العثمانية والعرب المعاصر).
- أستاذ في كلية الأركان التابعة للجيش اللبناني. وفي المدرسة الحربية (سابقاً).

أولاً : الكتب .

1. مقدمات أولية حول مقولة الطائفة – الطبقة ، منشورات الديمقراطيون العلمانيون، بيروت، 1977
2. مقدمات أولية حول مقولة التعددية الحضارية ، منشورات الديمقراطيون العلمانيون، بيروت، 1978.
3. الإيديولوجية الطائفية والنظرة الى التاريخ اللبناني ، منشورات الديمقراطيون العلمانيون ، بيروت، 1979.
4. الحدود الجنوبية للبنان بين مواقف نخب الطوائف والصراع الدولي 1908 – 1936، بيروت ، 1985 .
5. في معترك القضية اللبنانية ، توزيع دار الجيل ، 1985 .
6. أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر ، دار الجيل ، 1985 .
7. ميشال اسمر ، 1914 – 1984 ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، 1985 .
8. الأعلام شيوخ الفكر والأدب في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج 1 ، 1983 .
9. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج2 ، 1986 .
10. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج3 ، 1987 .
11. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج4 ، 1988 .
12. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج5 ، 1989 .
13. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج6 ، 1991 .
14. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج7 ، 1992 .
15. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج8 ، 1993 .
16. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج9 ، 1994 .
17. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج10 ، 1995 .
18. استقلال لبنان ، كتاب وثائقي صدر بمناسبة اليوبيل الذهبي 1943 – 1993 ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، 1993 .
19. أبحاث في تاريخ شمال لبنان في العهد العثماني ، بيروت ، 1995 .
20. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج11 ، 1996 .
21. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج12 ، 1997 .
22. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج13 ، 1998 .
23. أعلام الثقافة في لبنان ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج14 ، 1999 .
24. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج15 ، 2000 .
25. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج16 ، 2001 .
26. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، ج17 ، 2002 .
27. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 18، 2003 .
28. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 19، 2004.
29. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 20، 2005.
30. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 21، 2006.
31. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 22، 2007.
32. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 23، 2008.
33. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 24، 2009.
34. أعلام الثقافة في لبنان والعالم العربي، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، ج 25، 2010.
35. لبنان المياه والحدود 1914 – 1975 ، بيروت ، 1996 .
36. لبنان في أرشيف اسطنبول ، بيروت ، 1996 .
37. شخصيات بارزة في تاريخ لبنان المعاصر ، بيروت ، 1997 .
38. لبنان من الميثاق الوطني الى الجلاء 1938 – 1947 ، بيروت ، 1998 .
39. شمال لبنان في القرن السادس عشر جوانب من الحضارة المادية ، بيروت ، 1999.
40. الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر ، بيروت ، 2000.
41. لبنان في مواجهة مفاوضات التسوية ، بيروت ، 2000.
42. Des étapes décisives dans l`histoire du Liban . Beyrouth . 1997
43. لبنان المياه والحدود ، ج2، بيروت، 2001 .
44. شخصيات بارزة في تاريخ لبنان المعاصر ، ج2 ، 2002.
45. فلاحو ناحية البترون في القرن السادس عشر، بيروت، 2003
46. نواحي لبنان في القرن 16 – اطلس تاريخي بيروت، 2004.
47. لبنان 1914 – 1918 من خلال أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بيروت 2005.
48. الحدود اللبنانية – السورية بين التحديد والترسيم، بيروت 2006.
49. لبنان في القرن السادس عشر – اوقاف وبلدات، بيروت 2007.
50. تحية إلى الأب يوحنا قمير، منشورات الحركة الثقافية- انطلياس، 2007.
51. وثائق لبنانية من الأرشيف العثماني (1861 – 1913)، بيروت، 2008.
52. لبنان المياه والحدود، ج 3، بيروت، 2008.
53. ناحية كسروان والجردين (حالياً كسروان والمتن الشمالي) من خلال احصاء عثماني 1550 م – الضرائب، بيروت، 2008.
54. الحدود الجنوبية للبنان بين مواقف نخب الطوائف والصراع الدولي 1908 – 1936، بيروت، 2009.
55. اعداد الكتب التالية:

أ- ابراهيم عبد العال، سيرة حياته، مقتطفات من أقواله، منشورات جمعية عبد العال.

ب- مئوية الهلال، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، 1992.

ج- استقلال لبنان – اليوبيل الذهبي 1943 – 1993، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، 1993.

د- امين نخله، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس، 2001.

ه- أمين الريحاني، منشوران الحركة الثقافية – انطلياس، 2002.

- كتب مدرسية .

1. التاريخ العلمي ، السنة الثالثة ثانوي ، تأليف مشترك ، مكتبة حبيب ، بيروت ، 1981 ص 325.
2. التاريخ العلمي ، السنة الثانية ثانوي ، تأليف مشترك ، مكتبة حبيب ، بيروت ، 1983 ص 330.
3. التاريخ العلمي ، الصف الأول ثانوي ، تأليف مشترك ، مكتبة حبيب ، 1984 .
4. دليل لطلاب البر يفيه ، تأليف مشترك ، دار حاتم ، 1992.

ثانياً : المقالات والأبحاث .

1. التربية والوفاق في لبنان مجلة الواقع ، العدد 1 ، 1981 .
2. مدخل إلى تحديد العلمانية وتطورها التاريخي في الغرب ، مجلة الجندي ، نيسان 1982 .
3. بعض المظاهر العلمانية في الدول الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر ، مجلة الجندي ، أيار 1982 .
4. أضواء جديدة على المسألة اللبنانية (1919 – 1920) ، مجلة الجندي ، تشرين الثاني ، 1982
5. وثائق عن حزب الاتحاد اللبناني ، مجلة الجندي ، كانون الأول 1982 .
6. نعوم مكرزل وجمعية النهضة اللبنانية (1911 – 1914) ، مجلة الجندي ، آذار 1983 .
7. خيرالله والرابطة اللبنانية (1912 – 1914) ، مجلة الجندي أيار 1983 .
8. خيرالله والرابطة اللبنانية (1914 – 1920) ، مجلة الجندي حزيران 1983 .
9. وثائق جديدة حول جبران السياسي ، مجلة دراسات ، كلية التربية في الجامعة اللبنانية ، العدد 1، 1983 .
10. مواقف بعض النخب الإسلامية (1918 – 1943) من رفض الدولة اللبنانية الى التعايش الميثاقي ، مجلة الواقع ، العدد 5 و6 ، تشرين الأول 1983 .
11. حول أطماع إسرائيل في جنوب لبنان ، مجلة المستقبل ، العدد 322 ، 23 نيسان 1983 .
12. دور لبنان الحضاري بين الحرب والسلم ، مجلة الواقع ، 7 – 8 ، 1984 .
13. المشاركة في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية حول القومية والإسلام ، بيروت ، 1981 .
14. أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (1918 – 1945) وأهميته في كتابة التاريخ اللبناني، بحث مقدم الى المؤتمر الأول حول أرشيف تاريخ لبنان ، 29-28-27 نيسان 1983 . أعدّ للمؤتمر قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الفرع الثاني) ، الفنار .
15. المشاركة في المؤتمر الذي عقد حول العلمنة والهوية العربية مؤسسة الدراسات والأبحاث اللبنانية، بيروت ، 1976 .
16. دور المدرسة المارونية في قيام لبنان كدولة ، جامعة الروح القدس ، 6 كانون الأول 1984 .
17. مسالة السلطة في حركة كسروان 1858 – 1860 من خلال أرشيف البطريركية المارونية . بحث مقدم الى مؤتمر الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، تونس 1986 . وقد نشر في كتاب أعمال المؤتمر . جمع وتقديم د. عبد الجليل التميمي ، زغوان 1988 (ص 312 – 338).
18. La France . l`Angleterre et les projets de partition du Levant (1914 - 1918) d`après les archives du ministère français des Affaires Etrangères (Quai d`Orsay). Xth Turkish Congress of history . Ankara . 22- 26 sept .1986.
19. خيرالله خيرالله والمسألة الوطنية ، مجلة دراسات ، العدد 21 ، 1986 ، كلية التربية ، الجامعة اللبنانية
20. تاريخ جبل لبنان 1914 – 1919 من خلال مذكرات الخوري اسطفان البشعلاني ، مجلة الواقع ، العدد 9 ، نيسان 1986 ، (ص 174 – 207).
21. امين الريحاني : العروبة العلمانية هي الطريق ، بحث مقدم الى ندوة الدراسية اللبنانية العربية بمناسبة الكرى العاشرة بعد المئة لميلاد امين الريحاني ، 16 آبار 1987 . نشر في كتاب : امين الريحاني رائد نهضوي من لبنان ، دار العلم للملايين ، أيلول 1988 (ص 35 –48).
22. مشكلة الاقليات والعددية في لبنان ، محاضرة ألقيت في الجامعة الأميركية – بيروت. 25/3/1987 .
23. Les Politiques de la France et de l`Angleterre et la Question du Grand liban 1914_ 1920 بحث مقدم الى مؤتمر أعده المركز اللبناني للأبحاث في اوكسفورد بريطانيا (ايلول 1987) ، وكان بعنوان Lebanon : a history of conflict and cocensus وقد نشر في مجلة : Phares . العدد 9 – 10 ، تشرين الثاني 1989 (ص 163 – 196).
24. نظرة جديدة الى الميثاق الوطني اللبناني ، المنبر ، عدد خاص بالميثاق الوطني اللبناني ، ايار 1988 .
25. " الثقافة والتغيير " ، نص نشر في كتاب أعمال المؤتمر الذي أعدته الحركة الثقافية – انطلياس بعنوان الثقافة والتغيير ، ايار 1988 .
26. الخوري قسطنطين الباشا : حياته ومنهجيته ، مجلة المسرّة ، السنة 75 ، العددان 757 – 758 كانون الثاني- شباط 1989 (ص 52 – 66) ؛ والأعداد 759 – 763 ، آذار – تموز 1989 (ص 202 – 216).
27. قضية المياه وتوسيع الحدود في مخطط الحركة الصهيونية (1917 – 1923) ، مجلة الدفاع الوطني ، العدد 1 ، السنة الأولى ، 1989 (ص 173 – 150)
28. La Révolution Française et les révoltes sociales au Mont_ Liban بحث قُدّم في مؤتمر أعدته الحركة الثقافية – انطلياس والحركة الثقافية – فرنسا بمناسبة الذكرى المئوية الثانية للثورة الفرنسية ، والمؤتمر عُقد في باريس بمقر معهد العالم العربي . وقد نشر في كتاب مع سائر أعمال المؤتمر: la Révolution Française et l`Orient . Paris . Cariscript . 1989 . (pp.49 - 62).
29. الحركة الثقافية – انطلياس : دفاعاً عن حقوق الإنسان والوطن والسلام . بحث مقدم الى مؤتمر « السلام وانماء لبنان « ، الاونيسكو ، باريس 11 – 13 نيسان 1990 .
30. التقسيمات الإدارية في شمال لبنان اوائل القرن السادس عشر (1519م – 925 هـ). بحث مقدم الى " مؤتمر الأوضاع الإدارية في الولايات العربية في العهد العثماني ، تونس، 1990 وقد نشر في كتاب أعمال المؤتمر ، جمع وتقديم د. عبد الجليل التميمي ، زغوان 1992 .
31. الثقافة والتنمية ، مجلة الرابطة ، البترون ، 1992 (نص مداخلة ألقيت في 30 أيار 1991).
32. مياه جنوب لبنان والليطاني هدف ثابت للمطامع الإسرائيلية ، مجلة الشمس ، السنة الاولى ، العدد 5 ، تشرين الثاني 1991 .
33. الاخطل الصغير : المثقف الملتزم بالوطن والإنسان . نصّ محاضرة ألقيت ونشرت بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية للأخطل الصغير أثناء المهرجان اللبناني للكتاب – الحركة الثقافية – انطلياس ، آذار 1991 .
34. مستقبل العلاقات اللبنانية – السورية . صدرت في كتاب بعنوان : لبنان وآفاق المستقبل ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، 1991 (ص 185 – 191).
35. من اجل سياسة مائية لبنانية في مؤتمر السلام ، جريدة الحياة ، الأعداد 10581 ،10582 و 10583 ، 27 و28و29 كانون الأول 1992
36. كرّاس بمناسبة مرور مئة سنة على صدور مجلة الهلال ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، 1992 .
37. الإلتزام في شمال لبنان من خلال بعض وثائق الأرشيف العثماني ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الاول الذي عقدته الجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية و وكان بعنوان " لبنان في القرن الثامن عشر " (19 – 20 كانون الاول 1991).
38. Les Wakfs du Liban _Nord d`après le Tapu _ Defteri N: 68 ( 1519 ): Rôle social et économique . Sixième congrès international économique et social de l`Empire Ottoman et de la Turquie (1326 _ 1960) وهو بحث قدم في المؤتمر الدولي السادس للدراسات العثمانية (إكس – ان بروفانس) ، تموز 1992 .
39. استقلال لبنان واسرائيل ، بحث مقدم الى المؤتمر الوطني الذي نظمته الحركة الثقافية – انطلياس في 27 و 28 ايار 1993 ، والذي صدر في كتاب تحت عنوان استقلال لبنان وتحديات المرحلة الراهنة (ص 130 – 167).
40. مدخل حول دور الجنرال سبيرز في معركة استقلال لبنان 1943 ، بحث مقدم الى المؤتمر الذي نظمه قسم التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الفرع الثاني) ، بمناسبة اليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان.
41. الديمغرافيا التاريخية لناحية الكورة وانفه في القرن السادس عشر ، بحث مقدم الى المؤتمر الذي اعد حول تاريخ الكورة إبّان العهد العثماني ، بترومين ، ايار 1993 .
42. الديمغرافيا التاريخية لناحية بشري في القرن السادس عشر ، بحث مقدم الى المؤتمر الذي اعد حول تاريخ جبة بشري ابان العهد العثماني ،بشري ، تشرين الثاني 1994 .
43. الاتفاقيات السرية وخريطة المشرق العربي 1914 – 1918 ، مجلة أوراق جامعية ، العدد 2 ، تصدرها رابطة الأساتذة المتفرغين في الجامعة اللبنانية (ص 171 – 200).
44. المساهمة في عدة كتب مدرسية للمرحلة الثانوية .
45. بمناسبة مرور 75 سنة على اعلان دولة لبنان الكبير : تحية الى البطريرك الحويك ، دليل المهرجان ، الحركة الثقافية- انطلياس ، آذار 1995 .
46. عشرات المحاضرات والمقالات نشرت في عدد من الصحف والمجلات اللبنانية .
47. Les Moulins . les pressoirs d`huile et de raisin et les roues à soie dans les nawahis du nord

du Liban au XVIeme siecle . Aram . 9_ 10 . 1997 _1998 .PP. 377 _418 .

48. استقلال الدولة اللبنانية ومفاوضات السلام المحتملة ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس 1999.
49. تحية إلى أمين نخلة ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس 2001.
50. أمين الريحاني ، منشورات الحركة الثقافية – انطلياس ، 2002.
51. بحث قدم في مجلس النواب اللبناني ، 29/10/20021 ، بعنوان " التعليم العالي والجامعة اللبنانية، من اجل ميثاق أكاديمي جديد ".
52. 27 نيسان – 1 أيار 2001 .La Conception de l`Etat Libanais d`après les Elites des communautés Libanaises 1914 - 1920. بحث قدم في مؤتمر (ذاكرة الحرب العالمية الأولى في شرق المتوسط) تنظيم المعهد الألماني للأبحاث الشرقية – بيروت.
53. 16-13 ايار 2001 – ندوة الأرشيف العثماني – الرياض البحث المقدم : لبنان في أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول.
54. اين نحن من الحريات النقابية والاكاديمية واين يجب ان نكون ، الملتقى الثقافي التربوي للمدارس الخاصة – عمان – الاردن في 2-3/5/2003.
55. الاوقاف الاسلامية في بعض النواحي اللبنانية من خلال الدفاتر العثمانية في القرن 16، مؤتمر تاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية – عمان، 12-5 ايلول 2006.
56. رد فعل النخب الثقافية والسياسية في بيروت وجبل لبنان على إعلان الدستور العثماني 1908 – 1909، مركز الابحاث الاسلامي URCICA اسطنبول ، 7/10 أيار 2008 – مؤتمر حول مرور مئة عام على الدستور.
57. الجغرافيا البشرية والاجتماعية والاقتصادية للبنان في ابحاث د. محمد عدنان البخيت مؤتمر نظمته مؤسسة عبد الحميد شومان عن الدكتور محمد البخيت 17 - 20 تشرين الاول 2008.
58. بحث مقدّم في جامعة Bordeaux 3 بعنوان: l'eau. la paix entre le Liban et Israel (كانون الأول 2008).
59. اوقاف المدارس في نواحي لبنان في القرن السادس عشر. بحث قدم إلى مؤتمر أعد من قبل الجامعة اللبنانية وجامعة البلمند والمعهد الألماني في الجامعة اللبنانية الفرع الثالث من كلية الآداب، وكان عنوان المؤتمر: نظام التعليم من العهد المملوكي الى العهد العثماني 19 و 21 تشرين الثاني 2008.
60. الديمغرافية التاريخية بيروت في القرن 16، بحث قدم الى مؤتمر قراءات متعدّدة لمدينة بيروت 28- 29- 30 نيسان 2009.
61. الديمغرافية التاريخية والضرائب في لحفد في القرن 16، بحث قدم الى مؤتمر لحفد في التاريخ 23 آب 2009.

ثالثاً : الجمعيات التي ينتمي إليها :

1. الأمين العام للحركة الثقافية – انطلياس ــ 1995 ، وأمين عام سابق للحركة (2000- 2002 / 2008-2006) وأمين النشاطات حالياً.
2. عضو مجلس الجامعة اللبنانية، منتخب من الهيئة التعليمية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية للعام 1995 وللعام 1996 .
3. أمين سر رابطة الأساتذة المتفرغين في الجامعة اللبنانية (1992 – 1996)، 2008 – 2010
4. عضو الجمعية الدولية للدراسات العثمانية .
5. عضو الجمعية العربية للدراسات العثمانية .
6. أمين الإعلام في الجمعية اللبنانية للدراسات العثمانية .
7. أمين النشر سابقاً في جمعية أصدقاء ابراهيم عبد العال .
8. أمين الإعلام في الجمعية التاريخية اللبنانية .
9. رئيس لرابطة الأساتذة المتفرغين في الجامعة اللبنانية (1996 – 1998).
10. عضو مجلس كلية الآداب في الجامعة اللبنانية حالياً 2001 – 2010 منتخب من أساتذة الكلية.
11. عضو مؤسس لجمعية لبنان الأخضر.

